

# آيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية

بعض المبادئ التربوية المستنبطة
من آيات الخشوع وتطبيقاتها التربوية

تقديم فضيلة الشيخ الدكتور
سعود بن إبراهيم الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

تأليف

عبد الله بن حسين المغربي

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير من قسم التربية الإسلامية بجامعة أم القرى

بيت الأفكار الدولية




حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة
All Copyrights © Reserved

الأر

هاتف 0201 566 6 962+
فاكس 0209 566 6 962+
ص.ب 927435 عمان 11190 الأردن

ال

هاتف 2555 404 1 966+
فاكس 4238 403 1 966+
ص.ب 220705 الرياض 11311 السعودية

## المؤتمن للتوزيع

هاتف 2555 404 1 966+ / 6688 464 1 966+
فاكس 4238 403 1 966+ / 2919 464 1 966+
ص.ب 69786 الرياض 11557 السعودية

نداء 19416414
مستودع 2435421 / 2435423
مكة المكرمة 02 5742532
المدينة المنورة 04 8344355
القصيم 06 3260350
جدة 02 6873547
الدمام 03 8264282
أبها 07 2296615

www.afkar.ws
e-mail:ideashome@afkar.ws


آيات الخشوع
في القرآن وأثرها في التربية
بعض المبادئ التربوية المستنبطة
من آيات الخشوع وتطبيقاتها التربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

[الحديد: ١٦-١٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

سعود بن ابراهيم بن محمد الشريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

التاريخ : ١٤٢٣/٧/١٩هـ
الرقم : ٦١/ت
المشفوعات :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ( بعض المبادىء التربوية المستنبطة من آيات الخشوع وتطبيقاتها التربوية ) ، والذي ألفه الأخ في الله / عبدالله بن حسين بن محمد مغربي ، والذي يهدف من خلاله إلى إبراز مكانة الخشوع في العبادة وفي الصلاة بصفة خاصة ، وأثر ذلك على تربية النشىء ، كل ذلك من خلال التحدث عن الخشوع وأثره في سلوك الفرد المسلم ، متبعاً ذلك بالآيات الدالة على الخشوع ، وبيان تفسيرها ، ومكانة الخشوع في السنة النبوية ، مع إيراد بعض المواقف من خشوع النبي صلى الله عليه وسلم ، إضافة إلى بعض المواقف عند بعض الصحابة وغيرهم ، حتى ظهر كتابه هذا في صورة قشيبة ، يستحق الكتاب من خلالها الثناء والإشادة ، فجزاالله مؤلفه خير الجزاء ، وجعل ذلك في ميزان حسناته ، ونفع بكتابه المسلمين إنه سميع مجيب . وبالله التوفيق .

قاله مقيده
د .سعود بن ابراهيم بن محمد الشريم

المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة – ص .ب: ٧٥٤٥ – هاتف: ٥٢٧٥٨٧٤ فاكس: ٥٢٧٥٨٩٩

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقريظ

فضيلة الشيخ الدكتور

## سعود بن إبراهيم الشريم

إمام وخطيب في المسجد الحرام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فقد اطلعت على الكتاب الموسوم بـ (بعض المبادىء التربوية المستنبطة من آيات الخشوع وتطبيقاتها التربوية)، والذي ألفه الأخ في الله / عبد الله بن حسين بن محمد المغربي، والذي يهدف من خلاله إلى إبراز مكانة الخشوع في العبادة وفي الصلاة بصفة خاصة؛ وأثر ذلك على تربية النشىء، كل ذلك من خلال التحدث عن الخشوع وأثره في سلوك الفرد المسلم، متبعاً ذلك بالآيات الدالة على الخشوع، وبيان تفسيرها، ومكانة الخشوع في السنة النبوية، مع إيراد بعض المواقف من خشوع النبي ﷺ، إضافة إلى بعض المواقف عند بعض الصحابة وغيرهم، حتى ظهر كتابه هذا في صورة قشيبة، يستحق الكتاب من خلالها الثناء والإشادة، فجزا الله مؤلفه خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته، ونفع بكتابه المسلمين إنه سميع مجيب. وبالله التوفيق.

قاله مقيده

الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم

# الفصل الأول

# الإطار العام للدراسة

المقدمة .

أهمية الدراسة .

موضوع الدراسة .

أهداف الدراسة .

تساؤلات الدراسة .

منهج الدراسة .

حدود الدراسة .

مصطلحات الدراسة .

# المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد: فعندما يتصف العبد المؤمن بصفات الذلّ والخشوع والإنابة لربه فإنه يزداد إيماناً ويقيناً. ولقد شرع الله تعالىٰ لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه من خشوع الأبدان الناشئ عن خشوع القلب وذُلّه وانكساره، ومِن أعظم ذلك الصلاة. والخشوع في الصلاة يحصل لِمن فرغ قلبه عما عداها، وآثرها علىٰ غيرها، وحينئذٍ تكون له راحة وقرّة عين كما قال الرسول ﷺ: «وجُعلت الصلاة قرّة عين لي»(١).

من هذا المنطلق فإنّ هذا الجانب الإيماني المهمّ، وهو مبدأ الخشوع وآثاره علىٰ النفس المؤمنة يكتسب أهمية كبيرة، ولا سيما أثناء أداء الصلاة وممارسة الشعائر التعبدية المختلفة؛ لأنّ روح الصلاة ولبّها هو الخشوع وحضور القلب.

(١) صحيح مسلم، باب: المساجد، حديث رقم: ٤٦١٦.

ولقد كان من ذكر النبي ﷺ في ركوعه قوله: «خشع لك سمعي وبصري ومُخّي وعظمي وعصبي»[١].

ولا شكّ أنّ الخشوع يؤدي إلىٰ عزوف النفس عن العصيان والتذلل لله تبارك وتعالىٰ وانكسارها وافتقارها إليه. والخاشعون هم الذين عوّدوا أنفسهم «أن تطمئن إلىٰ أمرِ الله وذِكره، وتطلب حُسن العاقبة ووعد الآخرة، ولا تغترّ بما تزينه الشهوات والملذات العابرة»[٢].

ولا شكّ أنّ تحقق الخشوع يكون من خلال تعمق الإيمان في القلب، ويزيد الإيمان بكثرة الطاعات التي تحمِي القلب، وذلك بالاشتغال بالعِلم النافع والعمل الصالح، كما أنه ينقص بمرض القلب، ويذهب بجذوته، وذلك بالانصراف إلىٰ الشبهات والشهوات، فإنها إذا استبدت به منعته الخشوع.

والله عزّ وجلّ يريد من عباده الترقي في شعب الإيمان ودرجات اليقين، ولِذا؛ عاتبَ المؤمنين لينالوا الخشوع؛ عاتبهم فقال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]. وفي الآية إشارة إلىٰ ما كان عليه أهل الكتاب من قسوة أورثتهم الفسق في الأعمال، ومن هنا كان التحذير الشديد من مآلهم، حيث طالَ عليهم الزمان، واستمرّت بهم الغفلة، فاضمحلّ إيمانهم، وذهبَ إيقانهم.

ثم بيّن السياق القرآني الكريم أنّ القلب القاسي يمكن عودته إلىٰ الله وإقباله عليه، كالأرض يحييها الله بعد موتها. قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ

---

(١) الترمذي، كتاب: الدعوات، حديث رقم: ٢٧٢١.

(٢) الهلالي، ١٤٠٢هـ، ص٣٠.

﴿ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]. خاطبهم بكلّ ذلك؛ ليزدادوا قُرباً منه تعالىٰ، فتوجل قلوبهم لذكره، وتسكن قلوبهم لأمره؛ ليكونوا من المخبتين، فيتأهلوا لِدار كرامته، ويصيروا من أهل النفوس المطمئنة لِتنادَى بالنداء الكريم العظيم ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

هذا هو خشوع الإيمان الذي يريده الله من عباده، وإذا كان الخشوع كما ذكرنا، فإنه لا يتأتَّى إلا بصفاء الإيمان وقوّته، وصدق العِلْم بمنهاج الله. فالعلم الحق يزيد الخشوع من ناحية ويحفظه من أن ينحرف من ناحية أخرى.

وقسوة القلب هي عكس الخشوع، ومرضه هو النفاق، ولا بدَّ أن يعي المسلم ما هو ضدّ الخشوع حتى يتجنبه، وما مظاهر النفاق حتى يتركها.

ولذلك كان منهاج الله يعرض دائماً صورة الخاشعين المخبتين، ويعرض مقابلها مرض القلوب وقساوتها، فالخشوع الحقيقي الذي ينبثق من صدق الإيمان والتوحيد، وصدق العِلْم بمنهاج الله والواقع، ليس مجرد إحساس وشعور، ولا مجرد عاطفة تهيج وتخمد. إنه يقين يجمع الفكر والعاطفة جمعاً قوياً.

ومن هذا اليقين الذي يجمع التصور والفكر والعاطفة والشعور؛ من هذا اليقين تتولّد اليقظة والوعي والإدراك، وتنشأ المسؤولية، وعلى ذلك يقوم الحساب.

«إنَّ الإيمان حياة ووعي، يقظة وقوّة وعِزّة.

وهو يربط المؤمنين ويعالج أمراضهم، ويجمعهم على كلمة الحق والصراط المستقيم. إنه أساس للقاء المؤمنين الصادقين الذي كان ولاؤهم الأول لله، وعهدهم الأول مع الله، وحبّهم الأكبر لله ولرسوله.

والخشوع هو الذي يساعد المؤمن على أن ترتبط ولاءاته وعهوده وحبّه في الدنيا مع ولائه لله وعهده مع الله، وحبّه الأكبر لله ولرسوله»[١].

والاهتمام بمثل هذه الدراسة في الميدان التربوي والتعليمي يثمر عن نتائج إيجابية متعددة، فالحاجة ماسّة في الميدان التربوي إلى بلورة تصور تربوي لهذا المبدأ الهامّ وترسيخه ضمن العملية التربوية، وذلك من خلال استشعار المعلم قبل الطالب بأهمية هذا المبدأ الذي يُعدّ من أنجع الأساليب التربوية لتهذيب النفس المؤمنة واستغلال الأهداف الوجدانية في مواد التربية الإسلامية للتأكيد عليه وضرورة الاهتمام به.

وهذه الدراسة هي محاولة لتغطية جزء لهذا الجانب الإيماني المهمّ، وإبراز الجوانب الإيمانية والتربوية لهذا المبدأ التربوي، واستنباط الأهداف التربوية من خلال الآيات الدالّة على الخشوع ومدى إمكانية تطبيقها في الميدان التربوي من خلال عدّة جوانب ستبيّنها هذه الدراسة التي تبحث عن الآثار التربوية في الآيات الدالّة على الخشوع.

## ١ ـ أهمية الدراسة

يستمدّ هذا البحث العِلْمي أهميته من الفائدة المرجوّة منه وما يحققه من نتائج في المجالات التي سوف تستفيد ـ بإذن الله ـ من هذه الدراسة التي تسعى لتقديم تصور تربوي لأهمية الخشوع. ويتوخّى الباحث من هذه الدراسة أن تكون من الدراسات المهمة، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ لا يخفى على كل مسلم أهمية كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وأهمية البحث فيهما، فاكتسبَ هذا البحث أهميته من هذا الجانب.

٢ ـ تقوم هذه الدراسة بتناول جانب إيماني وتربوي يتعلق بتهذيب النفس المؤمنة، واستشعارها للعبادة وصدق التوجّه إلى الله تعالى، وأنّ العبادة

(١) النحوي، ١٤١٥هـ، ص٣٥، ٣٦، بتصرف.

بدون خشوع لا أثر لها إلا إذا أخضع المؤمن جوارحه وقلبه لله تعالى واشتغلَ بالمناجاة والإنابة.

٣ ـ تُعَدّ هذه الدراسة ـ وحسب المعلومات المتوفّرة ـ هي الدراسة الأولى في الميدان التربوي، والتي تتناول هذا الجانب المهمّ ومدى إسهامه في تهذيب النفس والسلوك، ولا سيما في الميدان التعليمي والتربوي.

٤ ـ كما تتبيّن أهمية الدراسة من خلال الآتي:

أ ـ أنّ الخشوع يبعث الحياة في العمل؛ فيؤتي ثمرته المرجوّة وغايته المقصودة.

ب ـ أنه يجعل العبادة محببة للنفس، خفيفة غير ثقيلة.

جـ ـ المسارعة إلى الإذعان للحق والدعوة إليه، وبذل غاية الوسع في التعليم والدعوة والتربية ونشر ذلك في الميدان التعليمي والتربوية.

د ـ توحيد المشاعر والاتّجاهات والمقاصد نحو الله تعالى لا شريك له؛ فيتوجّه العمل والنشاط والعبادة نحو غاية واحدة، فيحصل من ذلك:

هـ ـ إحياء الأمّة وقوّتها وانتصارها بصلاة الخاشعين ودعائهم وإخلاصهم، ولا يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أوّلها.

و ـ وقد لمسنا آثار الخشوع في حياة سلَف هذه الأمّة الذين قاموا بأمر الله خير قيام، وحملوا لِواء العِلْم والعبادة والدعوة، وما كان ليحصل ذلك لولا ما تحمله قلوبهم من تعظيم الله ومحبته وخشيته.

٥ ـ ولا شكَّ أنّ ترسيخ هذا المبدأ الإيماني المهمّ ـ وهو الخشوع ـ وبيان أبعاده الإيمانية ونشر ذلك في الميدان التربوي وفق التصور الذي

تقترحه هذه الدراسة سيكون له أطيب الأثر ـ بإذن الله ـ في الميدان التربوي بشكل عامّ.

٦ ـ وسوف تبرز الدراسة ـ بإذن الله ـ مدى أهمية إسهام البيت والمدرسة والمسجد والأُسرة في ترسيخ مبدأ الخشوع في قلوب الناشئة والشباب، والأسباب المؤدية إلى ذلك من خلال عدّة أساليب تربوية.

## ٢ ـ موضوع الدراسة

تناقش هذه الدراسة موضوع الخشوع من خلال الآيات الدالّة عليه في القرآن الكريم، ومِن ثَمّ استنباط المبادئ التربوية المستفادة منها، كما أنّ الدراسة تبحث في هذا المبدأ الإيماني والتربوي المهمّ من عدّة جوانب، ويعتبر الخشوع من المبادىء الإيمانية المهمّة التي لا يمكن إغفالها، فهو روح العبادة ولبّها، ويهمُّ كل مسلم ومسلمة في حياتهم اليومية. كما تركِّز الدراسة على استنباط المبادئ التربوية من الآيات الدالّة على الخشوع.

كما تبيّن الدراسة موجبات الخشوع (الطرق الموصلة إليه)، ومنها:

١ ـ تلقِّي أوامر الله تعالى بالقبول والامتثال، وعدم معارضتها بشهوة أو رأي.

٢ ـ الحرص على الإخلاص، وإخفاء الأعمال عن الخَلق قدر المستطاع، ومطالعة عيوب النفس ونقائص الأعمال ومفسداتها، مِن الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق، والتقصير في إكمال العمل وإتمامه.

٣ ـ الإشفاق من ردّ الأعمال وعدم قبولها.

٤ ـ مشاهدة فضل الله وإحسانه، والحياء منه؛ لاطّلاعه على تفاصيل ما في القلوب، وتذكر الموقف والمقام بين يديه، والخوف منه، وإظهار الضعف والافتقار إليه، والتعلق به دون غيره.

٥ ـ طلب هدايته وتوفيقه وتسديده.

٦ ـ ومن أعظم الطرق الموصلة إليه: معرفة الله جل جلاله بأسمائه الحسنى وصِفاته العُلا. والعلم النافع، وهو العِلْم بآيات الله الكونية والشرعية، وهو العِلْم الذي يربط القلب بالله سبحانه وتعالى. وكذلك الإكثار من ذِكر الموت، والجنة والنار، والإكثار من ذِكر الله تضرُّعاً وخيفة، ودعائه تضرُّعاً وخيفة، فإنّ ذلك أعظم إيماناً، وأبلغ في الأدب والتعظيم والتضرع والخشوع والإخلاص. كما تبيّن الدراسة أهمية الخشوع في حياة الفرد المؤمن، وأنه علم نافع، وهو أول ما يُرفع عن هذه الأمة، كما جاء في الحديث قوله ﷺ: «أول ما يرفع من الناس الخشوع»[1].

ويرتبط الخشوع أكثر ما يرتبط بالصلاة؛ لأنّ أعمالها تتضمن الذِّكر والدعاء وقراءة القرآن، والركوع والسجود. وهي مواطن الخضوع والبكاء والخشية والتخشع.

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة، وإقامتها تعني أداءها كما أمر الله ورسوله، بتوجّه القلب والجسد كلية إلى الله تعالى. وبالخشوع فيها يجمع المصلي بين طهارة الظاهر والباطن. ثم إنّ المغفرة وتكفير السيئات ورفعة الدرجات مرتبة على قدر الإحسان في أداء الصلاة. وقد بلغ من منزلة الخشوع فيها أنّ الله سبحانه جعل الصلاة الخاشعة أول صفات المؤمنين المفلحين الوارثين للفردوس، حتى اختلف الفقهاء في الاعتداد بالصلاة التي لا خشوع فيها، وإنْ كان يسقط أداؤها، لكنّ الأجر بعيد، والصلاة مرآة لإيمان المصلي، فخشوعها الباطن مرآة القلب، وخشوعها الظاهر مرآة الجوارح. وفي بيان صِلة الخشوع بالإيمان قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]. وكما أنّ كل زيادة في الإيمان تزيد في الخشوع، فإن الصلاة من أعظم أعمال الإيمان، وخشوعها يزيد الإيمان.

(١) الألباني، ١٤٠٨هـ، حديث رقم: ٢٥٧٦.

كما يبيّن موضوعُ الدراسة الخشوعَ الحقيقي المؤدي إلى العبادة الحقّة كما كان يمارسها سلَفُنا الصالح. «وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم ـ وهو حذيفة ـ يقول: «إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: «أن ترى الجسدَ خاشعاً والقلبُ ليس بخاشع». ورأى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: «يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب». ويقول رضي الله عنه: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورُبَّ مُصلٍّ لا خير فيه»[(١)].

كما توضّح الدراسة المفاهيم الخاطئة حول هذا المبدأ الإيماني المهمّ.

نعم، إنّ هذا المفهوم هو السائد عند بعض المسلمين، سواء أقالوه بلسان مقالهم أَم بلسان حالهم وأعمالهم، ولا أَدَلّ على ذلك من أننا قد نجد ذلك العبد المصلي الصائم القارئ للقرآن بعد فراغه من هذه الشعائر التعبدية لا يتورع أن يغشّ، أو يرابي، أو يظلم، أو يملأ بيته من آلات اللهو ووسائل الإفساد ما اللهُ به عليم.

«وكذلك قد نرى المرأة المصلية الصائمة لا تتورع من التصرف في نفسها بما يخالف الشرع من سفور أو زينة محرّمة أو اختلاط أو غيره. وإذا نُصح مثل هؤلاء الناس قالوا: بأنهم من المصلين العابدين. وقد انتهى وقت العبادة»[(٢)].

وتهتمّ الدراسة من خلال هذا المبدأ الإيماني المهمّ ببيان الأسباب المؤدية إلى العبادة الحقة وكمال التذلّل لله تعالى، وأنها لا يمكن أن تتحقق إلا بالخشوع الذي يروِّض النفس المؤمنة ويهذّبها؛ فتحبّ ما أحبّ الله،

---

(١) ابن القيم، ١٣٩٢هـ، ج١، ص٥٢١.

(٢) الجليل، ١٤١٩هـ، ص٣٣٠، ٣٣١.

وتبغض ما أبغض الله. والخشوع يسوق إلى العبادة الحقّة التي تفرض على المؤمن أن يكون في كلٍّ أوقاته وتحركاته وسكناته مصبوغاً بصبغة العبودية لا يخرج عنها أبداً، وهذا هو فحوى هذه الدراسة، وذلك وفق المنظور التربوي.

## ٣ ـ أهداف الدراسة

تسعى الدراسة التربوية إلى تحقيق الأهداف التالية بإذن الله:

١ ـ بيان معنى الخشوع لغةً واصطلاحاً.

٢ ـ توضيح درجات الخشوع وصِفات الخاشعين، والأسباب المعينة ـ بعد عون الله تعالى ـ على تحقيق هذا المبدأ التربوي.

٣ ـ بيان أثر الخشوع في العبادة وعلاقة ذلك بتهذيب النفس وترويضها على فعل الطاعات.

٤ ـ بيان الآيات الدالّة على الخشوع وأهمّ المبادئ التربوية المستنبطة منها.

٥ ـ معرفة هدي النبي ﷺ وحرصه على الخشوع من خلال تطبيقه له في حياته ﷺ وتعليمه لصحابته هذا المبدأ الإيماني المهمّ.

٦ ـ معرفة بعض التطبيقات التربوية لبعض الصحابة رضي الله عنهم في الخشوع.

٧ ـ بَلْوَرة تصوّر تربوي تطبيقي لهذا المبدأ الإيماني يسهم في توجيه المعلّم للاهتمام به من خلال عدّة أساليب تربوية يتمّ استعراضها في ثنايا هذه الدراسة.

## ٤ ـ تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الإجمالي التالي:

ما أهمّ المبادىء التربوية المستنبَطة مِن آيات الخشوع؟ وما مجالات تطبيقاتها تربوياً؟

ويتمخض من هذا السؤال الأسئلة التفريقية التالية:

١ ـ ما المقصود بالخشوع، وما أثره، وما الأسباب المؤدّية إليه؟

٢ ـ ما أهمّ المبادئ التي تَمّ استنباطها من الآيات الدالّة على الخشوع ومجالات الاستفادة منها في الميدان التربوي؟

٣ ـ ما الجوانب التربوية في حياة سيد الخاشعين ﷺ الدالّة على الخشوع؟

٤ ـ ما المواقف التطبيقية لبعض الصحابة رضي الله عنهم؟

٥ ـ ما التطبيقات التربوية التي يمكن استنباطها من بعض فصول ومحاور هذه الدراسة؟

## ٥ ـ منهج الدراسة

المنهج الذي اعتمد عليه الباحث في دراسته هو المنهج الاستنباطي، «وهو الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جُهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعَّمة بالأدلة الواضحة»[١].

وقام الباحث من خلال تطبيقه هذا المنهج في ثنايا هذه الدراسة بالخطوات التالية:

١ ـ تمَّ التعريف بالخشوع لغةً واصطلاحاً، وكذلك بعض المصطلحات المتعلقة به، مثل: كلمة العبادة، وكلمة الإخبات، وبيان علاقتها بالخشوع.

٢ ـ جمع الآيات المتعلقة أو الدالّة على الخشوع، والتي وردَ الخشوع فيها لفظاً.

٣ ـ الرجوع إلى تفسير هذه الآيات الدالّة على الخشوع واستنباط ما بها مِن مبادئ تربوية، وذلك من خلال كُتب التفسير وغيرها، مع مراعاة ما يلي:

---

(١) فودة، ١٤٠٨هـ، ص٤٣.

ـ أن تكون هذه التفاسير شاملة للبعد الزمني القديم والحديث.

ـ أن تكون ممثّلة للاتجاهين اللذَين اهتمّا بالتفسير، كالتفسير بالرواية، والتفسير بالدراية.

ـ أن تكون ممثّلة لبعض الاتجاهات العِلْمية، مثل: التفسير اللغوي، تفسير الأحكام، تفسير الآداب، والتفسير الموضوعي.. إلخ.

ـ أن تكونَ التفاسير من المصنفات المشهورة في عِلم التفسير، والمعروفة بسلامتها الإيمانية، مثل: تفسير الإمام الطبري، تفسير الإمام الحافظ ابن كثير، تفسير المحرر الوجيز، لابن عطية، تفسير الإمام القرطبي، تفسير الشيخ: عبد الرحمٰن ابن سعدي. وغيرها.

٤ ـ تَمّ عرض الأحاديث الشريفة الدالة على الخشوع لفظاً ومعنىً، وبيان بعض المواقف التطبيقية للخشوع في حياته ﷺ، وبيان بعض المواقف التطبيقية للخشوع في حياة الصحابة رضي الله عنهم وبعض المربِّين المسلمين.

٥ ـ الاستفادة من المبادئ التي تَمّ استنباطها من الآيات والأحاديث المتعلقة بالخشوع، وبلورتها في شكل برامج ووسائل تربوية يمكن تطبيقها في الميدان التربوي والتعليمي.

## ٦ ـ حدود الدراسة

تركّز هذه الدراسة على استنباط بعض المبادئ التربوية من الآيات الدالّة على الخشوع في العبادة وتطبيقاتها التربوية.

وقد بلغت (٢١) إحدى وعشرين آية، وهي على النحو التالي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ [الشورىٰ: ٤٥-٤٦].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ [النازعات: ١-٩].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٤-٨].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٠-٤٤].

١٢ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٨].

١٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

١٥ ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٢-٧].

١٦ـ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

١٧ـ قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

١٨ـ قوله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣١-٣٥].

١٩ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [هود: ٢٣].

٢٠ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤].

٢١ـ قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤].

وحيث إنّ سيرة الرسول ﷺ هي القدوة الحسنة لكل عبادة يقوم بها العبد المؤمن؛ فكان لزاماً من بيان هديه ﷺ وسيرته، وخاصة فيما يتعلق بجانب الخشوع في حياته ﷺ، ولأنّ السنة مفسّرة للقرآن، وقد كان خُلقه القرآن، فكان لا بدَّ من بيان سيرته وحياته التطبيقية في الخشوع، وكذلك بيان مدى تأثر صحابته رضي الله عنهم بحياته العملية بصفة عامّة وبجانب الخشوع بصفة خاصة. كما بيّنت الدراسة أيضاً اهتمام بعض المربِّين المسلمين بهذا المبدأ التربوي المهمّ.

## ٧ ـ مصطلحات الدراسة

١ ـ **الخشوع لغةً**: من مصدر (خشع)، «وهو مأخوذ من مادة (خ ش ع)، وهي تدلّ على معنى واحد، وهو التطامن. فيقال إذا خشع فلان إذا تطامن وطأطأ رأسه، وهو قريب المعنى مِنَ الخضوع، إلا أنّ الخضوع في البدن، وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع في البدن والصوت والبصر. قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ [القلم: ٤٣][(١)].

**والخشوع اصطلاحاً**:

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمة الله عليه ـ: «الخشوع: خمود النفس وهمود الطباع». وقال: «الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذلّ والانكسار، والاستسلام للتحكُّم، والإخضاع لفطر الحقّ». وقال: «والخشوع هو قيام القلب بين يدي الربّ بالخشوع»[(٢)].

٢ ـ **العبادة**: يقول ابن فارس: «مصدر عبدَ: عبادة، أي: أطاع، وهذا المصدر مأخوذ من مادة (ع ب د) التي تدلّ على معنيين: الأول: لين وذُلّ، والآخَر: شدّة وغلظة»[(٣)].

**والعبادة اصطلاحاً**:

يقول ابن تيمية: «العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(٤)].

---

(١) ابن فارس، ١٩٩٦م، ج٢، ص١٨٢.

(٢) الجوزية، ١٣٩٢هـ، ج١، ص٥٢٢.

(٣) ابن فارس، مرجع سابق، ج٤، ص٢٠٦.

(٤) ابن تيمية، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص١٥٠.

وقال الجرجاني: «هي الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرِّضا بالموجود، والصبر على المفقود»[١].

«والفرق بين الطاعة والعبادة: أنّ العبادة غاية الخضوع، ولا تستحقّ إلا بغاية الإنعام؛ ولهذا لا يجوز أن يُعبد غيرُ الله تعالى، ولا تكون العبادة إلا بمعرفة المعبود.

أما الطاعة فهي الفعل الواقع على حسب إرادة المريد، كما أنّ الطاعة قد لا يصحبها مقصد الاتّباع»[٢].

٣ ـ **الإخبات**: والإخبات من (خَبت)، ومنه المُخبت من الناس، وأخبت إلى ربِّه: أي: اطمأنّ إليه.

ورُوي عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] قال: المطمئن، وقيل: هم المتواضعون، وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣] أي: تواضعوا.

وقال الفرّاء: أي: تخشّعوا لربهم، وفيه: خبت: أي تواضع، وأخبت لله: أي خشع وتواضع، وكِلاهما من الخبت.

وفي التنزيل العزيز: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]. وفي حديث الدعاء: «واجعلني لك مخبتاً» أي: خاشعاً مطيعاً.

والإخبات: الخشوع والتواضع. وفي حديث ابن عباس: (فيجعلها مخبتة منيبة، وأصلُ ذلك من الخبت المطمئنّ من الأرض)[٣].

---

(١) الجرجاني، ١٤٠٣هـ، ص١٥١.

(٢) أبو هلال العسكري، ١٤٠٣هـ، ص١٨٢، بتصرف.

(٣) ابن منظور، ١٤١٧هـ، ج٢، ص٢٧، ٢٨.

وبذلك يتبيّن معنى الخشوع في العبادة والطاعة والإخبات، وأنها تؤدي إلى معنى التذلل والخضوع وتأثر النفس والجوارح بهذه الصفات. كما يتضح ذلك من خلال ثنايا هذه الدراسة، ولا سيما عند الحديث عن صفات الخاشعين.

**والخشوع شرعاً** هو: «هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكونه ووقاره، وهو تأثّر القلب بجلال الله، واستحضار عظمته وهيبته، وهو إشراق أنوار التعظيم في القلب، وخمود نار الشهوات والشبهات، وهو قبولٌ وانقياد للحق إذا خالف الهوى والمراد»[١].

❑ ❑ ❑

---

(١) الهلالي، ١٤١٠هـ، ص١٢.



# الفصل الثاني

# الخشوع وأثره على سلوك الفرد المسلم

**المبحث الأول: أهمية الخشوع ومكانته في العبادات**، وفيه أربعة محاور:

**المحور الأول:** بيان منزلة الصلاة.

**المحور الثاني:** أهمية الخشوع في الصلاة.

**المحور الثالث:** لماذا الخشوع في الصلاة؟

**المحور الرابع:** الصلاة الخاشعة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

**المبحث الثاني: صفات الخاشعين ودرجاتهم**، وفيه خمسة محاور:

**المحور الأول:** الخوف من الله وأثره على الخشوع.

**المحور الثاني:** البكاء من خشية الله.

**المحور الثالث:** الصبر على المصائب.

**المحور الرابع:** تعظيم شعائر الله.

**المحور الخامس:** اليقين بلقاء الله.

**المبحث الثالث: الوسائل المؤدية إلى الخشوع في العبادة**، وفيه خمسة محاور:

**المحور الأول:** معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا.

**المحور الثاني:** تدبّر القرآن الكريم ومعرفة طرق تحصيله.

**المحور الثالث:** التفكر في ملكوت الله والنظر إلى إعجاز الله في الكون وأثره في الخشوع.

**المحور الرابع:** بعض الوسائل المعينة على الخشوع في الصلاة.

**المحور الخامس:** بعض أنواع الخشوع غير السوي.



# المبحث الأول

# أهمية الخشوع ومكانته في العبادات

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

عندما نتأمل هذه الآية الكريمة فإنها تقف بنا في أسلوبٍ بليغ على غاية خلق الخلق؛ فهناك غاية محدّدة لوجود الجن والإنس تتمثل في أداء مهمة سامية مَن قام بها فقد حقق غاية وجوده، ومَن قصّر فيها باتت حياته فارغةً من القصد، خاوية من معناها الأصيل. هذه الغاية المحدّدة هي عبادة الله وحده كما شرع لعباده أن يعبدوه، ولا تستقيم حياة العبد كلها إلا على ضوء هذه المهمة وهذه الغاية. وهذه العبادة تحتاج إلى قوّة إيمانية لتحقّق مقاصدها، والتي تتمثل في تحقيق الخشوع في أعماق النفس المؤمنة.

والخشوع محلُّه القلب، ولا بدّ أن تظهر آثاره على الجوارح وعلى الوجه والجسم. والعبادة هي: «اسمٌ جامع لكلّ ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[١].

وإنّ أول ما يتطلّبه الإسلام من المسلم أن يكون مؤمناً بالله حق الإيمان، وثيق الصلة به، دائم الذكر له والتوكل عليه، يستمدّ العون من الله تعالى، مع الأخذ بالأسباب، ويحسّ في أعماقه أنه بحاجة دوماً إلى عون الله وتأييده مهما بذل مِن جُهد ومهما اتّخذ من أسباب. فهو متذلل إلى الله تعالى مطيعاً له في أمره كله، مخبتاً خاشعاً، وقّافاً عند حدودهِ، ممتثلاً أمره ولو خالف

---

(١) ابن تيمية، ١٣٩٢هـ، ج٢، ص١٥٠.

هواه، مُتمسكاً لِهديه في جميع أموره. وضابط هذا الإيمان وهذا التذلل هو القبول والامتثال لله تبارك وتعالى في كل أمرٍ ونهي. وهو يسير في حياته كلها وهمّه الأول هو مرضاة الله تعالى في كل خطوة من خطواته، وفي كل عمل من أعماله؛ لأن ذلك العبد عرف حقيقة الحياة الدنيا، وعمِل لِما بعد الموت، ومِن ثَمّ فهو يزن أعماله بميزان مرضاة الله تعالى، وبذلك يستقيم سلوك المسلم، وتتضح أمام عينيه معالم الطريق والسبيل القويم. وهذه هي العبادة الحقّة التي تُشرق بالحس الإيماني الصادق وبالخشوع المتَّقد.

والخشوع هو ضراعة القلب وطمأنينته وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه سبحانه، ذُلاً وافتقاراً وإيماناً بلقائه. «ومحلّ الخشوع القلب، وثمرته تظهر على الجوارح، وإذا ضرع القلب خشعت الجوارح، ذلك لأن القلب هو أساس الجسد، وبقية الأعضاء تصلح بصلاحه وتفسد بفساده. كما صحّ ذلك في الحديث الصحيح: «ألاَ وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحتْ صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسدُ كله».

والخشوع من الإيمان الذي هو في القلب، ويزيد الإيمان بالطاعات التي تحيي القلوب، وذلك بالاشتغال بالعمل الصالح والعلم النافع، كما أنه ينقص بمرض القلب ويذهب بموته. ومن خلال ذلك تتضح مكانة الخشوع في العبادة ومدى الارتباط الوثيق بين الخشوع وصدق العبادة لله ربِّ العالمين في جميع الأحوال»[١].

ويمكن بيان أهمية الخشوع ومكانته في العبادات من خلال المحاور التالية:

## المحور الأول: بيان منزلة الصلاة

للصلاة منزلة كبيرة في الإسلام لا تصل إليها أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به.

---

(١) الهاشمي، ١٤١٠هـ، ص١٣-١٦، بتصرف.

وفي الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبركَ برأس الأمر كلِّه وعموده وذِروة سنامه»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذِروة سنامه الجهاد...»(١).

وتأتي منزلتها بعد الشهادتين؛ لتكونَ دليلاً على صِحة الاعتقاد وسلامته، وبرهاناً على صدق ما وقرَ في القلب وتصديقاً له. قال رسول الله ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت، وصوم رمضان»(٢).

ومعنى إقام الصلاة في الحديث: أداؤها كاملة بأقوالها وأفعالها في أوقاتها المعيّنة، كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣].

وتتقدمّ الصلاة على جميع الأركان بعد الشهادتين؛ لمكانتها وعظيم شأنها، فهي أول عبادة فرضها الله على عبادهِ بمكة. وتكتسب الصلاة مكانة خاصة لمكان فرضيَّتها، فلم ينزل بها ملَكٌ إلى الأرض، ولكن شاء الله أن يُنعم على رسوله محمد ﷺ بمعراجه إلى السماء، وبين يدي ربه في أسمى منزلة وأعظم لقاء، يتلقَّى الرسول الكريم ﷺ هذا التكليف العظيم.

«والصلاة هي أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم»(٣). تصوم فيها نفس الإنسان وجوارحه عن جميع المخالفات التي تفسد تمامها وكمَالها، ويتوجه المصلي شطرِ المسجد الحرام. قال تعالى:

---

(١) الترمذي، كتاب: الإيمان، حديث رقم: ٢٦١٦.

(٢) مسلم، كتاب: الإيمان، حديث رقم: ٢١.

(٣) الطيار، ١٤١٦هـ، ص٢١.

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

## المحور الثاني: أهمية الخشوع في الصلاة

منزلة الصلاة في الإسلام منزلة عظيمة القدر، وهي الركن الثاني بعد الشهادتين. وتتضح أهمية الخشوع في الصلاة من خلال أهمية ومنزلة الصلاة في الشرع المطهر. فهي علامة الإيمان، وبها يفرّق بين المسلم والكافر، وفيها قرّة العين وراحة الضمير. فالصلاة عبادة تحقق دوام ذكر الله ودوام الاتّصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام والتجرد له سبحانه بلا شريك. وهي تربي النفوس وتهذّب الروح، وتنير القلب بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، وتحلي المرء وتجمّله بمكارم الأخلاق، ولذلك كانت سنّة مطّردة على تعاقب الرسل بعد التوحيد، بها تتواثق أسباب الاتّصال بالله، ويتزوّد العبد خلالها بِطاقة روحية تعينه على مشقة التكليف، فرضها الله تعالى على المسلمين للثناء عليه بما يستحقه، وليذكرهم بأوامره، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا.

فيها يقف العبد المؤمن بين يدي ربه في خشوع وخضوع، مستشعراً بقلبه عظَمة المعبود سبحانه وتعالى، مع الحب والخوف والرجاء له سبحانه وتعالى، يقف العبد بين يدي ربه في صلاته طامعاً فيما عنده من الخير، وراغباً في كشف الضر، وَجِلاً من عقابه الشديد، فهو يقيم الصلوات الخمس في أوقاتها؛ لأنّ الصلاة صِلة بين العبد وربه ينقطع فيها الإنسان عن الدنيا وصخبها وهمومها، ويتّجه بكيانه كله إلى ربه، يستمدّ منه الهداية والعون والتسديد، ويسأله الثبات على الصراط المستقيم، فلا غرو أن تكون الصلاة أجلّ الأعمال وأفضلها؛ لأنّها المورد الشريف الذي يتزوّد منه المسلم تقواه، ولأنها المنهل العذب النقي الذي يغسل بخيره خطاياه. ففي الحديث

الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء»؟ قالوا: لا يبقى من درنه، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا»(١).

## المحور الثالث: لماذا الخشوع في الصلاة؟

ارتبط الخشوع بالصلاة أكثر من غيرها، فلا يُذكر الخشوع إلا وينصرف الذهن إليها؛ لأنّ أعمالها تتضمن الذكر والدعاء وقراءة القرآن، والركوع والسجود، وهي مَواطن الخشوع والبكاء والخشية والتخشع.

وقد أمر الله تعالى بإقامة الصلاة، وإقامتها تعني: أداءَها كما أمر الله ورسوله ﷺ بتوجّه القلب والجسد كُليّةً إلى الله تعالى. وبالخشوع يجمع المصلي بين طهارة الظاهر والباطن، ثم إن المغفرة وتكفير السيئات ورفعة الدرجات مرتّبة على قدر الإحسان في أداء الصلاة.

وقد بلغ من منزلة الخشوع فيها أن الله تبارك وتعالى جعل الصلاة الخاشعة أول صفات المؤمنين الوارثين للفردوس، «حتى اختلف الفقهاء في الاعتداد بالصلاة التي لا خشوع فيها، وإنْ كان يسقط أداؤُها، لكن الأجر على قدر الخشوع فيها» والله أعلم(٢).

والصلاة مرآة حقيقية لإيمان المصلي، فخشوعها الباطن مرآة القلب، وخشوعها الظاهر مرآة الجوارح، وفي بيان صلة الخشوع بالإيمان قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

---

(١) الترمذي، كتاب: الإيمان حديث رقم: ٢٦١٦.

(٢) توفيق، ١٤١٤هـ، ص١٦، بتصرف.

وكما أن كل زيادة في الإيمان تزيد في الخشوع، فإنّ الصلاة من أعظم أعمال الإيمان، وخشوعها بلا شكّ ـ بإذن الله ـ يزيد الإيمان، «وكما هو مقرر عند علماء السلف أنّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

إنّ تفاعل المسلم مع صلاته لا ينبغي أن ينفصل عن تفاعله مع بقية أمور دينه علماً وعبادةً ودعوةً، بل عليه أن يحقق إيمانه في حياته وفي شخصه ومجتمعه، حتى تتفتح له آفاق من الخشوع عند الصلاة والذكر والتلاوة والتفكر والدعاء لا تنفتح لغيره، فيجد لعبادته هذه حلاوةً وطعماً إيمانياً لا يساوره مثله مهما كان حجمه أو قيمته.

## المحور الرابع: الصلاة الخاشعة تنهى عن الفحشاء والمنكر

الصلاة الخاشعة تذكّر بالله تعالى وبعظمته، فيقف المصلي بين يدي الله، ليس بينه وبين الله واسطة، فيشعر بالقرب منه، ويشعر بمعيّة الله له، فتشعر جوارحه بالأمن والطمأنينة والثقة واليقين، فيخشع راكعاً، ويخشع ساجداً، ويستمدّ من الله تعالى العون والتأييد. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ويتوالى فرض الصلاة ونوافلها على المسلم، لا يمنعه عنها عذر مِن مرض، أو سفر، وحيثما انتقل لازمته فريضة الصلاة، يؤديها أينما تيسّر له. قال ﷺ: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيُّما رجلٌ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ...»[٢].

---

(١) ابن تيمية، ١٤١٩هـ، ج٤، ص٣١٠.

(٢) مسلم، كتاب: المساجد وموضع الصلاة، حديث رقم: ٥٢١.

فالأرض كلها مكان عبادة، وبين صلاة وصلاة يشعر المسلم أنه منذ قليل كان بين يدي الله، يرفع يديه ويستمدّ منه هداه، وبعد قليل سيحين موعد الصلاة، ليقف من جديد بين يدي الله، ولا يليق بمن هذا حاله أن يغيب أو يغفل عن ذكر الله، فيظل العبد واقعاً في مجال تأثير الصلاة، فيقوى الإيمان ويزداد، وتشتدّ العزائم، فتنزع صاحبها عن شاغل الحياة، وتنتصر النفس على المغريات. قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

وبعد ذلك الشعور الإيماني الفيّاض تأتي الصلاة لتعالج النفس البشرية من نوازع الشرّ، حتى تصفو من الرذائل، ويبتعد صاحبها عن كل منكر، فعندما يقف المسلم بين يدي ربه خاشعاً، راكعاً وساجداً، فإنه يرتبط بخالقه، فيسمو بنفسه ويشعر بعلوّ مكانته، فيبتعد عمّا يغضب خالقه، حيث استقرَّ في نفسه مراقبة الله، فكلما حدّثته نفسه بسوء تذَكَّرَ نعم الله تعالى عليه. فالله سبحانه هو الذي أحسن إليه بنعمة الوجود، وأكرمه بالإسلام، وشرّفه بلقائه والقرب منه بالصلوات، فلا تطاوعه نفسه بفعل الآثام.

ويقرأ الخاشع في صلاته القرآن، ويتأمل الآيات، ويتدبّر المعاني، فترد آيات العذاب وأنّ الله شديد العقاب، فترتعد نفسه، وتلتفت عن غيِّها، فإذا تمكَّن من نفسه الخوف من الله زجـرَهُ ذلك عن كل فحشاء ومنكـر. وتردِ آيات الرحمة والنعيم والجنات، فتهفو نفسه إلى ما عند الله من الفضل العظيم والفوز برضاه سبحانه وبما أعدّه لعباده المؤمنين الصادقين، فتزداد خشيته لله، فيتقي عذابه، ويسعى لنيـل رضاه والفوز بنعيمه بالتواضـع لأوامره واجتناب نواهيه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وهكذا يتفاوت المصلون في الأجر والثواب وفي مدى استقامتهم في صلاتهم وإنابتهم فيها. وبقدر حضور القلب تكون إقامتها، وذلك لأنّ الصلاة مفتاح كل خير، تُعطي القلب أُنساً وسعادةً، والروحَ بشراً وطمأنينةً، وتعطي الجسد نشاطاً وحيوية.

«وتتعدّد هيئات الصلاة عند الحضر والسفر والمرض والخوف والجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والقيام والضحى.. وكأنها بهذا التعدد تُطَبِّب الإنسان وتداوي أسقامه، وتعالج علله وهمومه المتنوِّعة والمتغيرة، وتتكرر الصلوات المفروضة لتكون بمثابة صيانة مستمرة للعبد، يعرض المسلم نفسه على خالقه، فيظل في رحاب الله، تحرسه مراقبته، وقلبه ينبض بالطاعة وصدق الإيمان، تُنمي فيه دوافع الخير، وتقضي على دوافع الشر..»[١].

ولقد ارتبط الخشوع بالصلاة أكثر من غيرها من العبادات، فلا يذكر الخشوع في جانبٍ إلا ويتبادر إلى الذِّهن حال الصلاة وأهمية الخشوع فيها. ذلك لأنّ مكانة الصلاة في الإسلام لا تخفى، فهي الركن الثاني بعد الشهادَتين كما جاء في حديث جبريل: «الإسلام: أن تشهدَ أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة...» الحديث[٢]. بل إنها عمود الأمر (والأمر هو الدين). يقول ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذِروة سنامه الجهاد»[٣].

ولا غرابة أن تكون أول ما فُرض من أركان الإسلام العملية، وآخر ما يفقد منها ومن الإسلام كله. قال النبي ﷺ: «لتُنقض عرى الإسلام عروة

---

(١) الطيار، ١٤١٠هـ، ص٢٤، بتصرف.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ١٢٢١.

(٣) رواه الترمذي، حديث رقم: ٢٥٨.

عروة، فكلما انتقضت عروة تشبَّثَ الناس بالتي تليها، فأوّلهنّ نقضاً الحكم، وآخرهنّ الصلاة»[١].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة عليها في كلِّ الأحوال، كما قال تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وجعلها سبحانه وتعالى علامة الإيمان بالله واليوم الآخر: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

كما جعل التهاون بها علامة النفاق. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وقد كانت الصلاة عبادة الأنبياء من قبل، أقاموها وأمروا بها، فلما جاء الإسلام أخذت فيه أكمل صورة، بل أصبحت ذكراً ودعاءً وقياماً وركوعاً وسجوداً، وتناسقت أقوالها وأفعالها بشكل تحقق به عبودية القلب، وعبودية اللسان، وعبودية الجوارح، كما صارت لها شروط وأركان ومواقيت وأذان وإقامة وجماعة.. وغير ذلك.

وقد فُرضت على الأمّة قبل الهجرة بثلاث سنين، فرضها الله تعالى على نبيه ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج، فكانت الفريضة الوحيدة التي شرعت في السماء، وكانت هديّة الله لهذه الأمّة في تلك الرحلة المباركة. ومنذ فرضها الله تعالى ورسول الله ﷺ يأمر بها ويعلِّمها، حتى كانت آخر وصاياه قبل أن يفارق الدنيا، فقد أوصى الناس فقال ﷺ: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» كرّر ذلك مراراً[٢].

---

(١) رواه ابن حبان، حديث رقم: ٦٧١٥.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٣٨٨.

والأصل في الصلاة وغيرها من العبادات أنها تؤدّى امتثالاً لأمر الله وقياماً بحقّ عبوديته، غير أنّ الله سبحانه أرشدنا إلى ما يعود علينا من هذه العبادات في عاجلتنا وآخرتنا بالخير والفلاح، وتلك من محاسن دين الله وموافقته للفطرة، فإنّ الإنسان مجبول على حُبِّ الخير. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

ودين الله تعالى حقّ أوّلاً، وخير ثانياً.

والإلمام بطرف من حكمة هذه الفريضة العظيمة وأسرارها هو من العِلْم النافع الذي يثمر الإحسان في العمل الصالح، والفرق واضح بين صلاةٍ يستحضر صاحبُها معنى هذه الفريضة وأسرار تشريعها، وصلاةٍ يؤدّيها صاحبُها على جهة التقليد[1].

وقد أمر الله بالصلاة وامتدح سبحانه وأثنى على الخاشعين فيها، وذلك لمقاصد كثيرة، منها:

١ ـ أنّ الله سبحانه وتعالى أمر بإقامة الصلاة، وإقامتها تعني أداءها كما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ. «وإنّ إقامة الصلاة شيء غير التولي قِبَلَ المشرق والمغرب، إنها توجّه الإنسان بكلِّيته إلى ربه ظاهراً وباطناً، جسماً وعقلاً وروحاً، إنها ليست مجرد حركات رياضية بالجسم، وليست مجرد توجّه صوفيّ بالروح، فالصلاة الخاشعة تحقق مقاصد الشريعة في أبهى صورها.

والإسلام يلبي رغبات الجسم والعقل، ولا يكبت الجسم لتنطلق الروح؛ لأنّ هذا الكبت لا يحقق التكامل للروح، ومِن ثَمّ تكون الصلاة هي العبادة التي تجمع جوارح الجسم كلها، وتوجهها إلى خالقها جميعاً في ترابط واتّساق، يجعلها قياماً وركوعاً وسجوداً تحقيقاً لحركة الجسم، ويجعلها قراءةً

(١) توفيق، ١٤١٤هـ، ص٢٠-٢٢، بتصرف.

وتدبّراً وتفكيراً في المعنى والمبنى تحقيقاً لنشاط العقل، ويجعلها توجّهاً واستسلاماً لله تحقيقاً لنشاط الروح»[١].

٢ ـ أنّ الصلاةَ جزء من ميراث النبوة توارثها المسلمون خَلَفاً عن سلَف. والواجب على الأمّة في كل جيل أن تحفظها من الضياع. وتضييعها لا يكون بتركها فقط، بل يكون أيضاً بتغيير كيفيتها الواردة عن النبي ﷺ. وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «وصلوا كما رأيتموني أصلي»[٢]، لا يختصّ بالأعمال الظاهرة من الصلاة فحسب، مِن شروط وأركان وسُنن، بل يشمل الأمور الباطنة من إخلاص وخشوع وسكينة واعتدال.

والاقتصار في تفسير الحديث والاستشهاد به على أعمال الصلاة الظاهرة فيه قصور؛ لأنّ الاقتداء بالنبي ﷺ ومتابعته في صلاته لا يكون على الوجه المطلوب إلا إذا كانت هيئة الصلاة في ظاهرها وباطنها نحو صلاته ﷺ.

ومما يؤكّد أهمية الخشوع في الصلاة، قوله ﷺ: «الصلاة خير موضوع، فمَن استطاع أن يستكثر فليستكثر»[٣]. «لأنّ بها تبدو قوّة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان، ومَن كان أقواهم إيماناً كان أكثرهم وأطولهم صلاةً وقنوتاً»[٤].

واتصال الخشوع بالصلاة يجعل المصلي طاهراً طهارةً حسية وطهارة معنوية. فإذا كان قبل الدخول في الصلاة قد حقق معنى الطهارة الحسّية، فاغتسل وتوضأ، وطهر الثوب والبدن والمكان، فيبقى عليه إذا دخل في الصلاة أن يطهر قلبه بالإخلاص والخشوع، حتى إذا توجّه إلى البيت توجّه

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٣، ص١٦٠، بتصرف.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٠٠٨.

(٣) صحيح الجامع، حديث رقم: ٣٧٦٤.

(٤) المناوي، ١٣٩١هـ، ج٤، ص٢٤٧.

القلب إلى ربّ البيت سبحانه وتعالى، وإذا اجتمعت له شروط الصحّة اجتمعت لها إلى جانبها شروط القبول.

«ولم يكن في منهج السلَف الفصل بين جوانب الإخلاص والخشوع وجوانب المتابعة والموافقة للسُّنة في الأحكام وغيرها؛ لأنّ ذلك كله متابعة للسُّنّة وموافقة لها، فالحفاظ على المواقيت من السنّة، والحفاظ على صلاة الجماعة أوجبه النبي ﷺ إلا لِعذر، وأيضاً الخشوع من السنّة، وإنما حصل هذا التفريق بعد أن حدث هذا التفريع في العلوم الإسلامية، فاختُصّ الفقه بالجانب الظاهر من أعمال الصلاة، وآن الوقت لإحياء منهج السلَف في الحديث عن الجانِبَين والمساواة بينهما»[١].

وقد تحدّث ابن القيم ـ رحمه الله ـ في حُكم تارك الصلاة عن الجانبين ـ أي: الجانب الظاهر من أحكام الصلاة وما يتعلق بها من الجوانب الفقهية، وكذلك من الجوانب الإيمانية وما يرغب العبد المؤمن في إتمامه لأركان وواجبات وسنن ومستحبات الصلاة، فقال ـ رحمه الله ـ:

«وأقر بالسجود خضوعاً لعظمة ربه وفاطره، وخشوعاً له وتذلُّلاً بين يديه وانكساراً له، فيكون هذا الخشوع والخضوع والتذلُّل ردّاً له إلى حُكم العبودية، ويتدارك ما حصل له من الهفوة والغفلة والإعراض الذي خرج به عن أصله، فتمثّل له حقيقة التراب الذي خُلق منه وهو يضع أشرف شيء منه وأعلاه ـ وهو الوجه ـ، وقد صار أعلاه أسفله خضوعاً بين يدي ربه الأعلى، وخشوعاً له وتذللاً لعظمته، واستكانةً لعزّته، وهذا غاية خشوع الظاهر، فإنّ الله سبحانه خلقه من الأرض التي هي مذلّلة للوطء بالأقدام، واستعمله فيها وردّه إليها، ووعده بالإخراج منها، فهي أُمّهُ وأبوه وأصله وفصله، فضمَّته على ظهرها، وميتاً في بطنها، وجُعلت له طُهراً ومسجداً، فأُمر بالسجود إذْ

---

(١) توفيق، ١٤١٤هـ، ص١٥، بتصرف.

هو غاية خشوع الظاهر، وأجمع العبودية لسائر الأعضاء، فيُعفِّر وجهه في التراب استكانةً وتواضعاً وخضوعاً وإلقاء باليدين»(١).

فالسجودُ أمرهُ عظيم، ويتحقق فيه كمال الخضوع والذلّ لله ربِّ العالَمين سبحانه وتعالى، فإذا علِم العبد الأجر المترتب على تمكين الأعضاء من السجود الصحيح الذي أرشد إليه النبي ﷺ وحقق فيه الأحكام الفقهية الظاهرة للسجود، وكذلك احتسب الأجر العظيم للسجود، حصلَ ـ بإذن الله ـ الخشوع والخضوع، وتحقق مراد الله تعالى من أمره عبادَه بالسجود له عز وجل تذلّلاً وخضوعاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۩﴾ [السجدة: ١٥].

فالسجود أعظم ما يظهر فيه ذلّ العبد لربه عز وجل، حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزّها عليه وأعلاها عليه حقيقةً أوضح ما يمكنه، فيضعه على التراب متعفّراً، ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عزوجل، ولهذا كان جزاء المؤمن إذا فعل ذلك أن يقرّبه الله عز وجل إليه، فإنّ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»(٢). وقال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩].

والسجود أيضاً مما كان يأنف منه المشركون المستكبرون عن عبادة الله عز وجل، وإبليس إنما طرده الله لَمّا استكبر عن السجود لِمن أمره الله بالسجود له، ولهذا يبكي إذا سجد المؤمن ويقول: «أُمِر ابنُ آدم بالسجود ففعل فله الجنة، وأُمرتُ بالسجود فعصيتُ فلي النار»(٣).

---

(١) ابن القيم، ١٤١٦هـ.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٤٨٢.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ١٢٨٧.

ومن تمام خشوع العبد لله عز وجلّ وتواضعه له في ركوعه وسجوده؛ أنه إذا ذلَّ لربّه بالركوع والسجود وَصف ربَّه حينئذٍ بصفات العزّ والكبرياء والعظمة والعلوّ، فكأنه يقول: الذلّ والتواضع وصفي، والعلوّ والعظمة والكبرياء وصفُك. ولهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول: سبحان ربيَ العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى»[١].

ومِن خلال ما تقدّم يتبين مدى الترابط الوثيق بينَ الأحكام الظاهرة للصلاة والأحكام الباطنة لها، وأنه من الضرورة أن يُذكر الأمران معاً عند الحديث عن أحكام الصلاة ومكانتها وسننها وواجباتها، وذلك لعدّة أمور سبق بيانها وتفصيلها.

ومما يؤكّد ارتباط الخشوع بالصلاة أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الفلاح وبلوغ المراتب العليا في الدار الآخرة، ووراثة جنات الفردوس الأعلى بإذن الله لِمن أدّى الصلاةَ بخشوع وتذلّل لله سبحانه وتعالى، فالخشوع بِلا شكّ هو ثمرة معرفة الله وتعظيمه والإيمان به والإقبال عليه، فهو علامة فلاح وفوز في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ويلاحظ في سياق الآيات الكريمات في صدر سورة (المؤمنون) أنّ الله تعالى ذكرَ أعمال البرّ التي أوجب لأهلها الخلود في الفردوس الأعلى، فافتتح تلك الأعمال بالصلاة، وختمها بالصلاة، وجعل تلك الأعمال التي جعل لأهلها الخلود في الفردوس بين ذكر الصلاة مرتين: قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، فبدأ من صفتهم بالصلاة عند مديحه إياهم، ثم وصفهم بالأعمال الطاهرة الزاكية المرضيّة إلى قوله تعالى:

---

(١) الحنبلي، ١٤٠٨هـ، ص٥٥-٥٦.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٨-١١].

فأوجبَ الله تعالى لأهل هذه الأعمال الشريفة الزاكية المرضية الخلود في الفردوس، وجعل هذه الأعمال بين ذِكر الصلاة مرّتين. ثم ندبَ الله تعالى رسولَه ﷺ إلى الطاعة كلها جملة دون تخصيص، وأفردَ الصلاة بالذِّكر من بين الطاعة كلها. والصلاة ـ ولا شكّ ـ مِن أعلى مراتب الطاعات، فقال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ففي تلاوة الكتاب فعل جميع الطاعات، واجتناب جميع المعصية، فخصَّ الصلاة بالذِّكر، فقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥-٤٦].

وإلى الصلاةِ خاصة ندب الله تعالى نبيه محمداً ﷺ، فقال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

ثم أمر الله تعالى جميع المؤمنين بالاستعانة على طاعته كلِّها بالصبر، ثم خصَّ الصلاةَ بالذكر من بين الطاعة كلها فقرنها مع الصبر بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ومثل ذلك ما أخبر الله عز وجل به من حكمه سبحانه ووصيته خليله إبراهيم ولوطاً وإسحاق ويعقوب، فقال تعالى: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٣].

«فالصلاة من أهمّ الأمور التي تؤمنّ للعبد السكينة النفسية، فيها يناجي المؤمن ربَّه كلّ يوم خمس مرات، والصلاة لحظات ارتقاء روحي يفرغ المرء

شواغله في دنياه، ليقف بين يدي ربّه ومولاه، ويثني عليه بما هو أهلُه، ويفضي إليه بذات نفسه داعياً راغباً ضارعاً، يحاسب نفسه ويرغمها على فعل الطاعات»[١].

ومما تقدَّم يتّضح أنّ الصلاة الخاشعة المُفعمة بالإيمان الصادق هي بمثابة الوقود الإيماني الذي لا يمكن لمؤمن ولا مؤمنة الاستغناء عنه، فكلما كانت جذوة الخشوع تصدع في الصلاة بالإنابة والخشية والتضرع والتذلّل كانت الصلاة عوناً لصاحبها على مواجهة الصعاب، والصبر على شظف الحياة الدنيا وما فيها من مكاره وهموم ومنغصات. كلّ ذلك يؤكد العلاقة الكبيرة بين السعادة في الدنيا والآخرة وبين خشوع العبد في صلاته.

إنّ أوّل ما يقصده المصلي من إقباله على الصلاة أن يمنّ الله تعالى عليه بمغفرة الذنوب، كما قال ﷺ: «أرأيتم لو أنَّ نهراً ببابِ أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء»؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[٢].

ولا شكَّ أنّ تكفير السيئات ومضاعفة الأجور والحسنات المترتِّبة على أداء الصلاة تكون بقدر إحسان العبد في صلاته، ولا يمكن للعبد أن يحسنها بدون خشوع وتذلّل واطمئنان. قال ﷺ: «ما من امرىءٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارةً لِما قبلها من الذنوب ما لم يؤتَ كبيرة، وذلك الدهرَ كلّه»[٣].

فكان لِزاماً على مَن أراد أن تكونَ صلاته ذات أثر في محو سيئاته بإذن الله، وتكون سبباً في زيادة حسناته، فليؤدّها بإحسان ظاهراً وباطناً، ولتكن أحسن صلاة يستطيعها؛ لترتّب الأجر على مدى الخشوع فيها.

---

(١) زمرلي، ١٤١٨هـ، ص٢٤، ٢٨، بتصرف.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٦٨.

(٣) رواه الإمام أحمد، باب: الوضوء، ج١، حديث رقم: ٣٠٤.

كما أنّ الخشوع في الصلاة يترتّب عليه مدى قُرب المصلّي من ربّه أو بُعده عنه. يقول تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩﴾ [العلق: ١٩]. فعلى قَدر إقباله على ربه وخشوعه بين يديه يكون اقتراب ربه منه، كما جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ: «لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه»(١). فالالتفات بالعين أو بالقلب يقطع هذه المناجاة ويذهب بهذا القرب، كما أنّ الانصراف بالفكر خارج الصلاة يُضعف تحقق الخشوع.

ومما يحصّله العبد المؤمن الخاشع في صلاته أن له البشارة من الله تعالى للمخبتين بقوله تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وحتى يتمّ تصوّر حقيقة الإحسان أو الإخبات لله سبحانه وتعالى، فإنّ العبد المصلي يكون منقطعاً عن الدنيا متوجّهاً إلى صلاته، «مستأنساً إليها بقلبه وعقله وجميع جوارحه، حتى لا يرجو إلا ربّه، ولا يخاف إلا ذنبه، وترسخ محبته في قلبه حتى لا يُؤْثر عليها شيئاً، وكان شوقه بلقاء الحبيب شوق الظمآن إلى الماء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذِكر الله عزَّ وجلّ عنده أحلى من العسل، وأشهى من الماء الصافي عند العطشان في اليوم الصائف»(٢).

ولا شكَّ أن الصلاة الخاشعة تكون سبباً لمغفرة الذنوب ـ كما تقدّم ـ، وأيضاً سبب لاستقرار محبة الله تعالى ومراقبته في قلب المؤمن، «وإشعار النفس تقوى الله في امتثال أوامره، واتّقاؤه في اجتناب زواجره، وإلزامها ما أُلزم من طاعته، وتحذيرها ما حذر من معصيته، وإعلامُها أنه لا يخفى عليه

---

(١) النسائي، حديث رقم: ٧٣٣.

(٢) الحنبلي، ١٤١١هـ، ص٧٨، بتصرف.

ضمير، ولا يعزب عنه قطمير، وأنه يجازي المحسن، ويكافىء المسيء، وبذلك نزلت كُتبه، وبلّغت رسلُه»[١].

ومن ثمرات ذلك واستشعار المصلي بلذّة المناجاة في صلاته وطعمه في مغفرة الذنوب؛ أنّ إدمان التفكر في العبادة واستحضار عظمة الله تبارك وتعالى تزيد المؤمن صدقاً ويقيناً وإيماناً. فإنّ التدبر والتفكّر «مفتاح خِلال الخير كله، وبه يخص الله كل موفقٍ، وأنّ خير ما ظفر به مدرك من تفكَّر بإخلاصٍ ويقين، وأنّ أولياء الله هم الذين ظفروا بطيب الحياة، وذاقوا لذّة نعيمها بما وصلوا إليه من مناجاة حبيبهم، وما وجدوا من حلاوة حُبّه في قلوبهم، ولا سيّما إذا خطر على بال أحدهم ذِكر مشافهته وكشف ستور الحُجب عنه في المقام الأمين والسرور الدائم، وأراهم جلاله، وأسمعهم لذّة منطقه، وردّ عليهم جواب ما ناجوه به أيام حياتهم، إذْ قلوبهم به مشغوفة، وإذْ مودّتهم إليه معطوفة، وإذْ هم له مؤثرون، وإليه منقطعون، فوالله ما أراه يحلّ لعاقل ولا يجمل به أن يستوعبه حُبّ أحد سِوى حُبّ الله عزَّ وجلّ»[٢].

ومما يؤكّد أن الصلاة الخاشعة سبب لغفران الذنوب؛ أنها توبة مفتوحة متجددة يجدد بها المسلم إيمانه، ويترقى بها إلى درجة الإحسان. وفي الحديث قوله ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفِّرات لِما بينهنّ إذا اجتَنَبَ الكبائر»[٣].

وكذلك البكاء من خشية الله له منزلة عالية عند الله تبارك وتعالى، ولا سيما في الصلاة، وهو سبب لمغفرة الذنوب بإذن الله، ولن يتحقق هذا الشعور الإيماني العميق إلا بخشوعٍ تامّ في العبادة والصلاة.

---

(١) البصري، ١٤١٥هـ، ص٥١٠.

(٢) الحنبلي، ١٤١١هـ، ص٥٦، بتصرف.

(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٣٣.

قال ﷺ: «لا يلج النار رجُلٌ بكَى مِن خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»[١].

ويقول ﷺ في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظِلّه، وذكر منهم: «ورجُلٌ ذَكرَ الله خالياً ففاضت عيناه»[٢].

فالحديث يبيّن الفضل العظيم الذي يحظى به مَن ذكر الله خالياً، أي «خالياً من الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ»[٣]. أوَ كذلك البعد عن الرياء!

فكيف يكون الحال لِمن فاضت عيناه في الصلاةِ يناجي ربَّه سبحانه وتعالى، راجياً رحمته، خائفاً من عذابه. وهو يتّصف بصِفات الصالحين الخاشعين، الذين «حبسوا النفوس في سجن المحاسبة، وبسطوا عليها ألسن المعاتبة، ومدّوا نحوها أكفّ المعاقبة، فارتفعت بالمعاتبة عيوبهم ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، إذا جنّهم الليل فقيامٌ على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم، قد باتوا لله سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله عزَّ وجلّ فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبلّ ثيابهم»[٤].

وفسّر الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ قول الله تعالى: «﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] بالخوف الدائم في القلب»[٥].

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ١٦٣٣.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٦٠.

(٣) العفاني، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص١٣٤.

(٤) ابن الجوزي، ١٤٠٧هـ، ج١، ص٣٩٥.

(٥) ابن المبارك، ١٤١٥هـ، ج١، ص٢١٣، ٢١٤.

وإذا قُرن الخشوع بكلّ حركة يؤدّيها المصلي بَدْءاً بذهابه إلى المسجد لأداء صلاة الجماعة وانتهاءً بكلّ حركة يؤديها في الصلاة، فإنها تكون له بإذن الله كفارةً من الذنوب. وفي هذا السياق يقول عقبة بن عامر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يعجَبُ ربُّك من راعي غنم في رأس شظيّة بجبل، يؤذِّن للصلاة ويُصلي، فيقول الله عز وجل: انظروا إلى عبدي هذا يؤذِّن ويقيم الصلاة، قد غفرتُ لعبدي وأدخلتُه الجنة»[١].

فهذا الحديث الشريف يبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد تجاوز وغفر لهذا الرجُل وهو يصلي خائفاً وَجِلاً خاشعاً وليس معه أحد، فكيف بِمن حافظ على صلاة الجماعة وواظبَ عليها، وأخلص النية والعمل لله سبحانه وتعالى؟!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاةُ الرجُل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة، وذلك أنّ أحدكم إذا توضأ فأحسنَ الوضوء، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يَخطُ خطوةً إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، وتصلي الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه، يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تُب عليه، ما لم يؤذِ فيه، أو يُحدِث فيه»[٢].

وقوله ﷺ من حديث أبي أيوب الأنصاري: «إن كل صلاة تحطّ ما بين يديها من خطيئة»[٣].

---

(١) صحيح الجامع، حديث رقم: ٨١٠٢.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٤٩.

(٣) صحيح الجامع، حديث رقم: ٢١٤٤.

كما أن الصلاة في الصفّ الأول، ووصل الصفوف، والسجود، وغُسل الجمعة، وصلاة الجُمعة، وقيام الليل، وصلاة ثنتي عشرة ركعة غير الفريضة كل يوم، وكذلك الغدوِّ إلى المسجد والرواح. كلّ ذلك مما دلّت عليها الأحاديث الشريفة بأنها سبب لغفران الذنوب(١).

ولا شكّ أن حرص العبد المؤمن على الأجر والثواب، ولا سيما أجر الصلاة الفريضة وصلاة النافلة يكبح جماح نفسه الأمّارة بالسوء، ويردعها عن الإتيان بالمنكرات أو ارتكاب المعاصي والآثام.

❑ ❑ ❑

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذه القضايا، راجع ـ على سبيل المثال ـ:
العفاني، البحار الزاخرة في أسباب المغفرة، ١٤١٧هـ، ص٥٤-٨٤.
والرملي، الفرار إلى الله، ١٤١٧هـ، ص٨٧-١١٦.

# المبحث الثاني

# صفات الخاشعين ودرجاتهم

عرف المسلمون أسلوب التلقي المباشر في الأمور العملية للعبادات كما عرفوه في الأمور العِلْمية. واهتمّ العلماء أيّما اهتمام بتدوين نماذج القدوة بدءاً بسيرة أشرف الخلق نبينا محمد ﷺ وسِيَر الصحابة رضي الله عنهم والسلَف الصالح ومَن جاء بعدهم منَ التابعين وتابعي التابعين؛ لأنّ تلك الصورَ الإيمانية المشرِقة تكشف مجالاً واسعاً للاقتداء والاتّباع والتشبّه، فعندما ينظر المسلم في سِيَر الخاشعين ويخالطهم أحياءً بصحبتهم وبالصلاة خلفهم والتربي على أيديهم، وبالنظر في مآثرهم الإيمانية وما كانوا عليه من خشوع وإنابة وخشية. كلّ ذلك يدعوه إلى مَحاولة اللحاق بهم وإدراك بعض ما أدركوه من مراتب ودرجات، فيتأمل في تلك النماذج المضيئة، وتهفو نفسه وتتوق إلى معرفة أخبارهم وسيَرهم، فتخبت نفسه وتزداد إيماناً وخشوعاً ويقيناً بإذن الله.

وعندما نتحدّث عن القدوة في أي خُلق من أخلاق الإيمان، يأتي الأنبياء في المقدمة، ومِن بعدهم التابعون لهم بإحسان.

ولقد كان الأنبياء أشدّ خشيةً وخشوعاً وبكاءً لا يلحقهم أحدٌ في ذلك. وقد شهد الله سبحانه وتعالى لهم بذلك، فقال سبحانه عقب حديث مفصّل عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، والمقصود بـ(خاشعين): «الخوف الدائم في القلب»[1].

---

(١) ابن المبارك، ١٤١٥هـ، ص٥٥.

وفيما يلي بيان درجات الخاشعين واستنباط بعض الدروس التربوية المستفادة، وذلك على النحو التالي:

## المحور الأول: الخوف من الله وأثره على الخشوع

وصفَ الله سبحانه وتعالى الخاشعين بالخوف من الله، ومِن وعيده وعقابه، بل لربما خافوا بمجرد ذِكر الله، فيتحرك فيهم الوجل، وتسري في قلوبهم الخشية والخوف، وتقشعرّ جلودهم، وذلك لِما تحويه تلك القلوب من طهارة وقوة إيمان، وصيانتها لتكون أوعية صالحة متأثرة بكلام الله تعالى وبهدي رسوله ﷺ.

وقد وردَ الخوف في القرآن الكريم على وجوه، منها: «الخوف بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة، مثل قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]»(١).

وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تبيّن الخوف منه سبحانه، وكذلك الخوف من مقام اللهِ ووعيده، أو الخوف من يوم القيامة، والخوف من العذاب. وذلك مثل قوله تعالى في شأن الخاشعين والمخبتين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. ومثل قوله تعالى مبشراً المخبتين الخاشعين: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

فالخوف يكون من صفات الخاشعين؛ لأنّهم يتمثلون أنّ هذه الآيات وخاصة آيات الوعيد وسوء العاقبة، فإنهم ينزلون أنفسهم أنهم من المعنيين

(١) الفيروز آبادي، ١٣٩٠هـ، ج٢، ص٥٧٩.

بها، فيزداد خوفهم وخشوعهم ودعاؤهم وتذلّلهم وافتقارهم إلى الله تعالى، «فصاحب القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن، فيجدها كأنها قد كُتبت فيه»[(١)].

«وأخوف الناس أعرفهم بربّه، ولذلك قال النبي ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدّكم له خشية»[(٢)]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وإذا كملت المعرفة أثرت الخوف، ففاضَ أثره على القلب، ثم ظهر على الجوارح. وأما ظهور أثره على الجوارح، فبكفّها عن المعاصي وإلزامها الطاعات.

واعلم أنّ مقامات الخائفين تختلف، فمنهم مَن يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة، ومنهم مَن يغلب عليه خوف الاستدراج بالنِّعم، أو خوف الميل عن الاستقامة، ومَن يغلب عليه خوف سوء الخاتِمة. وأعلى مِن هذا خوف السابقة؛ لأنّ الخاتمة فرع السابقة.

ومن أقسام الخائفين: مَن يخاف سكرات الموت وشدّته أو عذاب القبر، ومنهم مَن يخاف هيبة الوقوف بين يدي الله تعالى، والخوف من المناقشة والعبور على الصراط، والخوف من النار وأهوالها أو حِرمان الجنة، أو الحجاب عن الله سبحانه وتعالى. وكلّ هذه الأسباب مكروهة في أنفسها مخوّفة. فأعلاها رتبة خوف الحجاب عن الله تعالى، وهو خوف العارفين، وما قبل ذلك خوف الزاهدين والعابدين»[(٣)].

---

(١) الجوزية، ١٤١٨هـ، ص١٧.
(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٧٧٦.
(٣) الحنبلي، ١٤١٤هـ، ص٣٠٣-٣٠٨، بتصرف.

والآيات الكريمة في باب الخوف كثيرة، وكذلك الأحاديث الشريفة، فقد امتدح الله سبحانه وتعالى الخائفين وأثنى عليهم في كتابه الكريم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

ومما وردَ في فضائل الخوف؛ ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «سبعةٌ يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه..»، وذكر منهم: «ورجُلٌ ذَكرَ الله َخالياً ففاضت عيناه»(١).

«فهذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة المتعددة في ذِكر الخائفين وأحوالهم هي التي أقضّت مضاجع السلَف، فلم يستلذّوا طعاماً، وأنحلَتْ أجسامَهم، وأضرّت بعيونهم من كثرة البكاء»(٢).

وقد تحدّث جمعٌ من السلَف عن صِفات الخاشعين وعباد الله الخائفين بأوصافٍ كثيرة لا نستطيع هنا حصرها. ولكن حسبُنا أن نشير إلى بعضٍ منها إشارات مختصرة بقدر ما يفي بالغرض المطلوب. وقد وصف الحسن البصري ـ رحمه الله ـ المؤمنين وصفاً إيمانياً عظيماً فقال: «إنّ المؤمنين قومٌ ذلّت ـ والله ـ منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتى حسبَهم الجاهل مرضى، وهم ـ واللهِ ـ أصحاب القلوب، ألاَ تراه يقول: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]؟ والله لقد كابدوا في الدنيا حزناً شديداً، وجرى عليهم ما جرى لمن كان قبلهم»(٣).

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٨٩١.

(٢) السلمان، ١٤١٦هـ، ج٢، ص٤٤٩، بتصرّف.

(٣) الحنبلي، ١٤١٣هـ، ص٢٤.

«وقد جمع الله للخائفين الهدى والرحمة والعلم، وهي مجامع مقامات أهل الجنة. قال تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: ٨].

وكلّ ما دلَّ على فضيلة العِلْم دلّ على فضيلة الخوف؛ لأنّ الخوف غرة العِلْم. وقال عز وجل: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان، فلذلك لا يتصور أن ينفكّ مؤمن عن خوف وإن ضَعُف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه. وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]، أي: خافونِ خوفاً معه تحرُّز فيما تأتون وتذرون. وفي الآية أنّ المؤمن لا يخاف أحداً إلا الله.

وقال تعالى قاصّاً عن المؤمنين الصادقين الذي امتنّ الله عليهم بدخول الجنات، فيقول سبحانه: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[1] [الطور: ٢٥-٢٨].

هكذا كان الخاشعون في تلقّيهم لأوامر ربِّهم سبحانه وتعالى والعناية بها والإقبال عليها بقلوب منيبة مخبتة، فحازوا على الثمار الإيمانية العظيمة.

«والخوف يحرق الشهوات المحرّمة، فتصير المعاصي المحبوبة كما يصير العسل مكروهاً عند مَن يشتهيه إذا عرف أنّ فيه سُمّاً، فتُحرق الشهواتُ بالخوف، وتتأدّب الجوارح، ويحصل في القلب الخشوع والذلّة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات»[2].

---

(١) فريد، ١٤١١هـ، ص٢٢١، ٢٢٢ باختصار.

(٢) المرجع السابق، ص٢٢٢، بتصرف.

## المحور الثاني: البكاء من خشية الله

لقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على البكّائين من خشية الله وفي طاعته، الأتقياء الأنقياء، ذوي الحساسية المرهفة، الذين لا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم مِن حُبِّ الله وتعظيمٍ له وخشيةٍ وإجلال، فتفيض عيونهم بالدموع. وقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال له: «اقرأ عليَّ القرآن»، فقال: أقرأ عليك القرآن وعليك أُنزل؟! قال: «إنّي أُحبّ أن أسمعه من غيري»، فقرأ من سورة النساء، حتى بلغ قول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، فقال رسول الله ﷺ: «حسبُك»، فإذا عيناه تذرفان)[١].

وقد كان ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بكَ من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومِن دعوة لا يُستجاب لها»[٢].

ويدلّ هذا الحديث الشريف على أنّ القلب الغافل وبالٌ على صاحبه، ولا يُرجَى منه أن يفيض بالخوف والإنابة والإخبات المفضية إلى البكاء من خشيةِ الله تعالى، ذلك لأنّ «القلب السليم ليس بينه وبين قبول الحقّ ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق، تامّ الانقياد والقبول له»[٣].

وبالتالي فهو يتأثر بما يؤمر به ويُخبر عنه من خلال كتاب الله تعالى أو هدي نبيِّه ﷺ، ولذلك كان من صفات الخاشعين: البكاء من خشية الله. وقد كان صحابة رسول الله ﷺ أرقّ الناس أفئدة وألين قلوباً، فقد كانوا يعيشون

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٥٨٢.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٢٢.

(٣) ابن القيم، ١٣٩١هـ، ص١٠.

حياةً إيمانية صادقة مع الله، فقد أرّق الخوفُ مضاجعهم، وأسال مدامعهم. كانت تؤثّر فيهم المواعظ وتلهبهم بسياطها، فتدمع العيون، وتلتهب جذوة الإيمان في قلوبهم، فلا تسمع منهم عندئذٍ إلاّ أنّاتٍ مكتومة. فعن العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً وجِلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودّع، فأوصِنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبدٌ حبشيّ، وإنه مَن يعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدِثات الأمور، فإنّ كل محدثةٍ بدعة، وكلّ بدعةٍ ضلالة»)(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله ﷺ خطبةً ما سمعتُ مثلها قطّ، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولَبكيتم كثيراً»، قال: فغطّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم حنين ـ وفي رواية: فأكثر الناس البكاء ـ)(٢).

وقد كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه «رقيق القلب، غزير الدمع، كان إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، فتنسكب من عينيه العبرات، ويكاد صوته أن ينحبس حتى لا يكاد يُسمع»(٣).

ولذا عندما قدّمه النبي ﷺ ليصلي بالناس إماماً ورسول الله ﷺ في مرضِ موته بقوله: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، قالت عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه . . .) الحديث(٤). وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح.

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٢٦٧٦.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٩٣.

(٣) الأتربي، ١٤١٣هـ، ص٣٢.

(٤) رواه النسائي، باب صلاة الإمام خلف أحد من رعيته، حديث رقم: ١٦٠٦١.

ولذلك يطول الحديث عن بيان صِفات عباد الرحمٰن الخاشعين الذين يذرفون الدمع الهتون، «أي: قطرة قطرة»(١).

«وقد ذكرنا عدّة نماذج في الفصل السابق تُبيّن خشية وبكاء عباد الله الخاشعين رهبةً من الله تعالى ووجلاً وخوفاً.

يُذكَر أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما شربَ ذات يومٍ ماءً بارداً فبكى واشتدَّ بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرتُ قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤](٢).

«وروي عن محمد بن المنكدر ـ رحمه الله ـ أنه قام ليلة يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية من كتاب الله أبكتني، فقالوا: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧](٣).

«وبكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعد سفري وقلّة زادي، وإني أمسيتُ في صعود على جنّة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذُ بي»(٤).

وقال سريّ السَّقطي: «للخائف مقامات، منها: الحزن اللازم، والهمّ الغالب، والخشية المقلقة، وكثرة البكاء، والتضرع في الليل والنهار، والهرب من مواطن الراحة، ووجل القلب»(٥).

هكذا كانت قلوب الخاشعين، تنطلق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من وجلٍ وخشية لعظمة الله تعالى وصدق وعده، ويغلبهم التأثر، فلا تكفي

---

(١) مسعود، ١٩٨١م، ص٩٤٩.
(٢) السيوطي، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص٢٧٣.
(٣) ابن الجوزي، ١٤١٢هـ، ص٤٣.
(٤) البغوي، ١٤٠٠هـ، ج١٤، ص٣٧٣.
(٥) هنّاد، ١٤٠٦هـ، ص٨.

الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه، فإنّ الدموع تنطلق معبرةً عن ذلك التأثر الغامر الذي تعجز الألفاظ عن الإفصاح به.

لقد عجزت ألسنتهم عن التعبير، ففاضت أعينهم بالدمع الغزير. لقد بلغ التأثر أعلى مِن أن يفي بها القول. فرضي الله عنهم ورحمهم الله.

## المحور الثالث: الصبر على المصائب

يقول تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

«إنّ الله تعالى جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يُهزم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرَج مع الكرب، والعُسر مع اليُسر»(١).

والخاشعون من سِماتهم الأساسية: الصبر على ما أصابهم؛ لأنّهم يعلمون علم اليقين أنّ المسلم عندما يتحلى بهذا الخُلق فهو يقتدي بالنبي ﷺ الذي صبر وصابر على أذى قومه في سبيل تبليغ دعوة الله عز وجل، وهم يعلمون جزاء الصبر على العزاء، ويستعينون بذكر الله تعالى؛ لأنّ الجزاء الحسن على تلك الابتلاءات، وما أعدّ الله تعالى لأهلها من جزيل المثوبات يكون همّهم الأوّل، ويتذكّرون وعيد الله تعالى على مَن تضجّر ولم يصبر، ويتذكرون أنّ أقدار الله جارية، وأنّ قضاءَه تعالى عدل، وأن حُكمه نافذٌ صَبَرَ العبدُ أم لم يصبر. فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن، إنْ أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضرّاء صبر، فكان خيراً له»(٢).

---

(١) ابن القيم، ١٤١٠هـ، ص١٨.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٩٩٩.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . والصبرُ ضياء. . . »[١].

والمؤمنون الخاشعون يتمثل الصبر في حياتهم حول حقيقتين هامّتين:

أما الأولى: فتتعلق بطبيعة الحياة، فإنّ الله لم يجعلها دار جزاء وقرار، بل جعلها دار تمحيص وامتحان، والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات، يخرج من امتحان ليدخُل في امتحان آخر، وقد يكتب الله على البعض صنوفاً من الابتلاءات ربما انتهت بمصارعهم، وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء بالصبر والتسليم. وما دامت الحياة امتحاناً فليكرس جهوده للظفر بالأجر.

والحقيقة الثانية: تتعلق بطبيعة الإيمان. فالإيمان صِلة بين الإنسان وبين خالقه سبحانه وتعالى، وخضوع هذه الصلة للابتلاء ما هو إلا تمحيص لها، فإما أن يكشف عن طيّبها، وإما أن يكشف عن زيغها. قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

ويتّصف المؤمنون الخاشعون بالصبر على البلاء؛ لأنّه من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الصادقة، فإنّ أثقال الحياة لا يطبقها المهازيل، فالحياة لا ينهض برسالتها الكبرى ولا ينقلها من طَور إلى طَور إلاّ رجال عمالقة وأبطال صبّارون، ومِن ثَمّ كان نصيب المؤمنين الخاشعين، ولا سيما مَن كانوا أئمة في الدين، كالأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل أكثر الناس بلاءً. فأكثر الناسِ بلاءً هم الأنبياء بطبيعة مهمّتهم في هذه الحياة، وهي تبليغ دعوة الله تعالى، وهو طريقٌ شاقّ مليء بالعقبات والعوائق، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان فحسب، بل هي حقيقة كبرى ينبغي أن يعيها السالكون، والسائرون على

(١) المرجع السابق، حديث رقم: ٢٢٣.

طريق الأنبياء والمرسلين. وفي مقدمة هؤلاء السالكين هم المؤمنون الخاشعون الذين يقتفون أثر الأنبياء والصالحين وأئمة الهدى، الذين كان الصبر من أبرز ملامحهم وجهادهم. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

كما يتصف الخاشعون المنيبون إلى الله بالصبر على البلاء؛ لأنّهم يتوقّفون عند تضحيات وجهاد وصبر الأنبياء بدءاً بنبينا محمد ﷺ الذي صبرَ واحتسب. فقد أوذِي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أشدّ الأذى، ووضع قومُه سلا الجزور على رأسه الشريف، ووضعوا على رأسه التراب وهو راكع، وضغط عقبة بن أبي معيط على عُنق النبي ﷺ وهو ساجد، حتى قال الرسول ﷺ: «ظننتُ أنّي قُبِضْتُ». وأُخرِج الرسول ﷺ من بلده مكة، وضُيِّق الخناق على دعوته وأتباعه، فذهب إلى الطائف علّهُ يجد مَن يؤمن برسالته، لكنّ سفهاء الطائف وصبيانها قذفوا الرسولَ ﷺ بالحجارة بتسليط من كبرائهم، حتى سالَ الدَّمُ من عقبهِ الطاهر، ومع ذلك كلّه صَبر، وكان يصبّر أصحابَه، فيقول لبعضهم: «صبراً آلَ ياسر، فإنّ موعدكم الجنة»[1].

وهكذا تمتلىء قلوب الخاشعين عِبراً وصدقاً، حتى إذا ما أُصيبوا بفتنة أو بِضُرّ فإنهم يَلجَؤُون إلى أرحم الراحمين، ومغيث المستغيثين، ويثبتون على إيمانهم ولا يتزعزع، ويثقون برحمة الله وعونه، وقدرته على كشف الضرّاء، ويعلمون أن الذي يفقد الثقة في نصر الله ووعد الله ويقنط مِن عون الله له في المحنة حين تشتدّ به، فليذهب بنفسه كل مذهب، فما شيء من ذلك بمبدل ما به من البلاء. يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج: ١٥].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإكراه، حديث رقم: ٥٤.

والذي ييأس في الضرّ مِن عون الله يفقد كل نافذة مضيئة، وكلّ نسمة رخيّة، وكلّ رجاء في الفرَج، ويستبدّ به الضيق، ويثقل عن صدرهِ الكرب، فيزيد هذا كله من موقع الكرب والبلاء.

أما الخاشعون المنيبون المتذلّلون إلى ربهم، والذين صبروا على بلاء الله وعلى فتنة الناس وفتنة النفس، وجاهدوا في سبيل الله، فأولئك لن يَتِرهم الله تعالى أعمالهم، ولن يضيّعها لهم سبحانه، وسينظر إليهم من علياء سمائه فيرضيهم، وسينظر إلى جهادهم في سبيلهِ فيهديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم. يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وعلى ضوء هذه القبسات الإيمانية الصادقة والصوَر المشرقة والأمثلة الحية من الصبر والتحمُّل، يعيش المسلم الخاشع الصابر مُحتسباً متحمّلاً، لا يشكو ولا يتسخّط، ولا يدفع المكروه بالمكروه، ولكن يدفع السيئة بالحسنة، ويعفو ويصبر ويغفر. قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال بعض الصابرين الخاشعين المخبتين إلى ربهم:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري ... وأصبر حتى يأذنَ الله في أمري

وأصبِر حتى يعلمَ الصبرُ أني صابر ... على شيءٍ أمرّ من الصبر[1]

## المحور الرابع: تعظيم شعائر الله

إنّ تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى وحدوده هي من أبرز صِفات الخاشعين، ذلك لأنّ الخشوع من أجلّ الأعمال القلبية. وتعظيم شعائر الله تأخذ الحيّز الأكبر من اهتمام تلك القلوب المؤمنة الخاشعة والتي ينبغي

(١) الطيار، ١٤١٧هـ، ص٥٥-٦٢، بتصرف.

تحقيقها وتربية الناس عليها. ونحن في أمسّ الحاجة إلى هذا المطلب الإيماني المهمّ، ألاَ وهو (تعظيم شعائر الله تعالى) وإبراز صورته المشرقة، وتعظيم الخاشعين لهذا الجانب المهمّ؛ لأنّنا نعيش في زمان ظهرَ فيه الاستخفاف والاستهزاء بشعائر الله، والتسفيه والازدراء لدين الله تعالى وأولياء الله الصالحين.

ولا شكّ فإنّ دين الله تعالى «مبنيّ على التعظيم والإجلال له عز وجل»(١).

ويبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أهمية تعظيم الله سبحانه وتعالى وشعائره، فيقول ـ رحمه الله ـ (١٤١٧هـ): «فمَن اعتقدَ الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبَهُ من الإجلال والإكرام الذي هو حالٌ في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنة الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لِما فيه من المنفعة والصلاح».

فلهذا كانت هذه المنزلة العظيمة عند الخاشعين منزلة عالية في قلوبهم، فلا يمكن أن يكون هناك خشوع وذلّة وإنابة وإخبات لله تبارك وتعالى دون تعظيم لشعائره، أو دون وجود أثر لذلك الخشوع في تعظيم حُرمات الله وشعائره؛ لأنّ المؤمنين الخاشعين وبما منَّ الله تعالى عليهم من فضل، وبصّرهم بطريق الإيمان والخير والصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) السعدي، ١٤١١هـ، ج٣، ص٢٥٩.

أي: «فهذا مِمّن كتب في قلبه الإيمان وزيّنه في بصيرته»[(١)].

فبما منَّ الله تعالى عليهم من معرفة وإيمان فهم أعرف الناس بمنزلة التعظيم لشعائر الله؛ لأنّ هذه المنزلة «تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدّهم تعظيماً وإجلالاً. وقد ذمّ الله تعالى مَن لم يعظّمه حقّ تعظيمه، ولا عرفه حقّ معرفته، ولا وصفه حقّ صِفته. قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]. قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: مالكم لا تعظِّمون الله حقّ عظمته، وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلّى أحدهما عن الآخر فسدت»[(٢)].

وتعظيم الله تعالى وإجلاله لا يتحقق إلا بإثبات الصفات لله تعالى كما يليق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. والذين ينكرون بعض صفاته تعالى ما قدروا الله عز وجل حق قدرِه وما عرفوه حقّ معرفته. ولَمّا كان من أسماء الله تعالى الحسنى: المجيد والكبير والعظيم، فإنّ معنى هذه الأسماء أنّ الله عز وجل هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلالة، الذي هو أكبر من كلِّ شيء وأعظم من كلِّ شيء وأجلّ وأعلى.

«وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه الخاشعين المخبتين الذين مُلئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له، والتذلل لكبريائه». إنّ الإنسان إذا سمع وصفاً وَصَف به خالقُ السماوات والأرضِ نَفْسَهُ أو وَصفَه به رسولُه ﷺ، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأنّ ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلوّ ما يقطع جميع علائق أوهام

---

(١) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص٣٢٨.

(٢) ابن القيم، ١٣٩٣هـ، ج٢، ص٤٩٥.

المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، ويكون القلب منزِّهاً معظِّماً له جلَّ وعلا، غير متنجس بأقذار الشبيه.

ومما يوجب تعظيم الله تعالى وإجلاله: التعرّف على نِعم الله تعالى وما أسدى من النعم الظاهرة والباطنة.

«ومما قاله أبو الوفاء ابن عقيل في شأن تعظيم شعائر الله تعالى وتعظيم ذاته سبحانه وتعالى: لقد عظم الله ابن آدم، حيث أباح له الشرك عند الإكراه وخوف الضرر على نفسه ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]. مَن قدّم حُرمة نفسك على حرمته، حتى أباحك تتوقّى وتحامي عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لَحقيقٌ أن تعظّم شعائره وتوقِّر أوامره وزواجره، وعصم عِرضك بإيجاد الحدّ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقّتك، وأباحك الميتة سدّاً لرمقك وحفظاً لحياتك، وزجرك عن مضارّك بحدٍّ عاجل ووعيد آجلٍ، وخرق العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك. أيحسنُ بك مع هذا الإكرام أن تُرى على ما نهاك الله منهمكاً، وعما أمرك متنكّباً، وعن داعيه مُعرضاً، ولسنّته هاجراً، ولِداعي عدوّك فيه مطيعاً، يعظمك أمره وهو حط رتب عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض مَن امتنع مِن سجدة يسجدها لك.

ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان، ينما يكون بحضرة الحق وملائكة السماء سجود له، تترامى به الأحوال والجهالات بالمبدأ والمآل، ما أوحش زوال النعم وتغيّر الأحوال، والحوْر بعد الكوْر»[١].

«ولقد كان نبينا ﷺ يربي أمّته على وجوب تعظيم الله تعالى وشعائره. ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أنّ الله يجعل السماوات على أصبع،

---

(١) الحنبلي، ١٤١٥هـ، ج١، ص١٥٣.

والأرضين على أصبع، والشجر على أصبع، والماء على أصبع، والثرى على أصبع. فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بَدَتْ نواجذُه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ. . .﴾ [الزمر: ٦٧][1].

وما في الآية يدلّ على عظمة الله تعالى أعظم مما وصف له ذلك الحبر. ففي الآية الكريمة تقرير لعظمة الله تعالى نفسه، وما يستحقه من الصفات، وأنّ للهِ تعالى قدراً عظيماً، فيجب على كلِّ مؤمن أن يقدر الله حقَّ قدره»[2].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية الكريمة: «ما ذَكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قدر ما تحتمله العقول، وإلاّ فعظمة الله وجلاله أجلّ مِن أن يحيط بها عقل، فمِن هذا بعض عظمته وجلاله، كيف يُجعل في رُتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضَرّاً»[3].

ولما قال الأعرابي لرسول الله ﷺ: (فإنّا نستشفع بالله عليك، فقال النبيُّ ﷺ: «سبحان الله! سبحان الله!»، فما زال يسبّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك، أتدري ما الله؟! إنّ شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه»)[4].

وقد اقتفى الصحابة رضي الله عنهم ومَن تبعهم بإحسان هذا المسلك، فعظّموا الله حقّ تعظيمه، وعُمرت قلوبهم بإجلال الله تعالى وتوقيره، فهذا ابن عباس رضي الله عنهما «يقول لبعض أصحاب المِراء والجدل: أما علمتم

---

(١) البخاري، حديث رقم: ٢٨٥.

(٢) ابن تيمية، ١٤١٩هـ، ج١٣، ص١٦٠-١٦٢.

(٣) عبد اللطيف، ١٤١٧هـ، ص١٠١.

(٤) رواه أبو داود، باب: في الجهمية، حديث رقم: ٤٧٢٦.

أنّ لله عباداً أصمّتهم خشية الله تعالى من غير عيّ ولا بُكم؟ وإنهم لهم العلماء والنبلاء الطلقاء، غير أنهم إذا تذكّروا عظمة الله تعالى انكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا بالأعمال الزاكية.

«وهكذا تكون صِفات الخاشعين في معرفتهم لربهم وتعظيمهم لشعائره، فقد كانوا يعظّمون ربهم ويقدّرونه عزّ وجلّ حقّ قدره، حتى قال عون بن عبدالله: «ليعظّم أحدكم ربَّهُ، أن يُذكر اسْمُه في كلِّ شيء حتى يقول: أخزى اللهُ الكلبَ، وفعل اللهُ به كذا»[1].

ومن أروع الأمثلة التي دوّنها التاريخ عن سلفنـا الصالح وتعظيمهم لله عز وجل؛ ما وقع لإمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ:

«لَمّا سأله أحدهم عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فما كان موقف الإمام مالك إزاء هذا السؤال؟!

يقول الراوي: فما رأيته وجِد ـ غَضِبَ ـ من شيء كوجده من مقالته، وعلاهُ الرُّحضاء ـ العَرَق ـ، وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الأمر فيه، ثم سُرّي عن مالك، فقال: الاستواء معلوم، والكيفُ مجهول، والإيمانُ به واجب، والسؤال عنه بدعة. وإني لأخافُ عليك أن تكونَ ضالاً، ثم أُمر به فأُخرِج.

فتأمل ما أصاب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من شدّة الغضب وتصبُّب العرَق إجلالاً وتعظيماً لله تعالى، وإنكاراً لهذا السؤال عن كيفية استواء الربّ سبحانه وتعالى.

ومِن المواقف التي تجسِّد لنا صِفات الخاشعين: ما جرى للإمام أحمد ابن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ لَمّا مرَّ مع ابنه عبد الله على قاصّ يقصّ حديث النزول «فيقول: إذا كان ليلة النصف من شعبان، ينزل الله عز وجل إلى

---

(١) الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ج٢، ص٢٠٩.

سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغيّر حال. يقول عبد الله: فارتعدَ أبي واصفرَّ لونه، ولزم يدي، وأمسكته حتى سكن، ثم قال: قف بنا على هذا المتخرِّص، فلما حاذاه قال: يا هذا، رسولُ الله ﷺ أغْيَر على ربه عز وجل منك، قُلْ كما قال رسول الله ﷺ»[1].

«ومن تعظيم الله تعالى: تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوةً وتدبراً وعملاً. وقد راعى الخاشعون هذا الأمر واهتموا به أيّما اهتمام، فكانوا يعظّمون كتاب الله تعالى تلاوةً وعملاً واعتقاداً صادقاً بما فيه من أحكام وقصص ووعد ووعيد وتشريع وغير ذلك. حتى إنّ بعض السلَف كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف»[2].

ومما يوجب تعظيم شعائر الله وتوقيرها؛ تعظيم رسول الله ﷺ وتعظيم سنّته وحديثه؛ «لأنّ الله أمر بتعزيره وتوقيره وإجلاله فقال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كلِّ ما يؤذيه، والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يُعامَل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كلِّ ما يخرجه عن حدِّ الوقار، ومن ذلك أنه خصّه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو: يا أحمد، أو: يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبيَّ الله. وكيف لا يخاطبونه بذلك واللهُ سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه في القرآن قط، ومن ذلك أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرّم رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجُل للرجُل. ومن ذلك

(١) الأصبهاني، ١٤١٨هـ، ج٤، ص٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ج٤، ص٢٣٠.

التعظيم لرسول الله ﷺ: أنّ الله تعالى رفعَ له ذكره، فلا يُذكر الله سبحانه إلا ذُكر معه، وأوجب ذِكرَه في الشهادتين اللتين هُما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين»(١).

وقد عقد الدارمي ـ رحمه الله ـ في «سننه» جملة من الآثار التي تضمنت عقوبات ومثلات في حق مَن لم يعظّم حديث رسول الله ﷺ، ومنها: «أنّ أبا هريرة رضي الله عنه كان يحدّث عن النبي ﷺ، فقال: عن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجلٌ يتبختر في بردَيْن خسفَ الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»، فقال له فتى قد سَمّاه وهو في حُلَّة: يا أبا هريرة، أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به؟ ثم ضرب بيده فعثر عثرةً كاد يتكسر منها، فقال أبو هريرة: للمنخرين والفم، إنا كفيناك المستهزئين»(٢).

وقد عنى السلَف بتعظيم السنّة النبوية وإجلال رسول الله ﷺ، ومِن ذلك: ما قاله عبد الله بن المبارك عن الإمام مالك بن أنس: «كنتُ عند مالك وهو يحدّثنا حديث رسول الله ﷺ، فلدغته عقرب ستّ عشرة مرّة، ومالك يتغيّر لونه ويصفرّ، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس وتفرّق الناس، قلت: يا أبا عبد الله، لقد رأيتُ منكَ عجباً، فقال: نعم، إنما صبرتُ إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ. وكان بعض السلَف يكره للرجلُ أن يقول: قال رسول الله ﷺ، بل يقول: يقول رسول الله ﷺ»(٣).

وممن يجب تعظيمهم وإجلالهم: صحابة رسول الله ﷺ، فالمؤمنون الخاشعون يحفظون حقوق صحابة رسول الله ﷺ ويوقّرونهم ويقدّرونهم حقّ

---

(١) ابن تيمية، ١٤١٧هـ، ص٤٢٢-٤٢٤، بتصرف.

(٢) رواه مسلم، باب: تحريم التبختر، حديث رقم: ٢٠٨٨، الدارمي، حديث رقم: ٤٣٧.

(٣) عبد اللطيف، ١٤١٧هـ، ص١٤.

التقدير، ويقدّمون بحقوقهم رضي الله عنهم. وقد خرج جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه وعدي بن حاتم وحنظلة الكاتب من الكوفة حتى نزلوا (قِرْقيساء) وقالوا: لا نقيم ببلدة يُشتم فيها عثمان بن عفان.

وباعد محمد بن عبد العزيز التيمي داره وقال: لا أقيم ببلدة يُشتم فيها أصحاب رسول الله ﷺ. ولما ظهر ابن الصاحب الرفض ببغداد سنة ٥٨٣هـ، جاء الطالقاني إلى صديق فودّعه، وذكر أنه متوجّه إلى بلاد قزوين، فقال صديقه: إنّك هاهنا تنفع الناس، فقال الطالقاني: معاذ الله أن أُقيم ببلدة يُجبر فيها بِسبّ أصحاب رسول الله ﷺ، ثم خرج من بغداد وأقام بها إلى أن توفي بها[١].

بهذه الصوَر الإيمانية الجميلة كان حال العلماء الخاشعين في تعظيمهم لشعائر الله وكلّ ما يتعلّق بها؛ لأنّ ذلك من تقوى القلوب، يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢]. ذلك لأنّ المؤمن الخاشع «مفكّر مذكّر مزدجر تفكّر ـ فَعَلَتْهُ ـ السكينة، فسكنَ فتواضع، قنع فلم يهتمّ، رفض الشهوات، فصار حُرّاً، ألقى الحدّ، فصارت له المحبة، زهد في كل فان، فاستكمل العقل، فقلبه متعلّق بهمّة، وهمّهُ موكّل بمعاده، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا لفرحهم، بل حزنه عليه سرمد، فهو دهره محزون، وفرحه إذا نامت العيون، يتلو كتاب الله تعالى يردّده على قلبه، فمرّةً يفزع قلبه، ومرةً تَهْمُلُ عيناه، يقطع عنه الليل بالتلاوة متذلّلاً خاشعاً مخبتاً لعظمة الله تعالى وعلوّ شأنه، وأنه سبحانه يراه في تقلّبه وفي الساجدين، يرجو رحمته، ويخشى أليم عقابه، معظّماً لشعائره، لا يتجاوز حدود أوامره ونواهيه، وكذلك يقطع عنه النهار بالخلوة مفكراً في ذنوبه، مستغفراً لأعماله»[٢].

---

(١) عبد اللطيف، ١٤١٧هـ، ص١٤، بتصرف.

(٢) ابن حيان، ١٤٠٨هـ، ج١، ص٢٤٩.

فهذا الشعور الإيماني الذي يعيشه المؤمن الخاشع هو نتيجةً لتعظيم شعائر الله مع بقية الأسباب الأخرى التي تكون سبباً في ترسيخ الخشوع في أعماق النفس المؤمنة.

ويُلاحظ في هذا المبحث أنّ الحاجة دعت إلى بعض التفصيل في بيان حقيقة تعظيم شعائر الله وإيراد بعض المواقف التطبيقية التربوية لهذا الجانب الإيماني المهمّ، والاستطراد في جوانب الموضوع واستعراضه بشكل فيه بعض التفصيل؛ لأنّ الناظر في حال المسلمين اليوم يلحظ أنّ ثَمّة مخالفات كثيرة في حياة المسلمين تنافي تعظيم شعائر الله تعالى، مثل التكاسل عن أداء الفرائض والواجبات، والاستخفاف بالأوامر والنواهي، والاستهزاء بدين الله وشعائره، والازدراء أو الانتقاص لدين الله وشعائره. وكل تلك المؤثرات وما فيها من خطورة على إيمان المرء المؤمن، فإنها مَعَاوِل هَدْمٍ لأثر الخشوع في القلب ومحو آثاره الإيمانية. وتظهر مثل هذه المخالفات عبر قنوات كثيرة ومن خلال منابر ثقافية، أو تصوّرات فكرية جانبَها الصوابُ، ولم تهتدِ بهدي القرآن الكريم والسنّة المطهرة.

ومن أهمّ الأسباب التي أدّت إلى وقوع مثل تلك المخالفات وقلّة تعظيم شعائر الله ما يلي:

١ ـ الجهل بعظمة دين الله تعالى، وقلّة العِلْم الشرعي، وقلة التفقه في هذا الأصل الكبير، ومنها: «غلبة نزعة الإرجاء في هذا الزمان، فمرجئة هذا الزمان الذين يقررون أنّ الإيمان تصديق فقط ويُهملون العبادات القلبية، كانوا سبباً رئيساً في ظهور وجود هذه، حيث يسوغ لهم القول بإيمان المرء ما دام صادقاً، وإن استخفَّ بالله تعالى واستهزأ برسوله ﷺ.

٢ ـ ومن أسباب هذه الظاهرة الخطيرة: وجود عِلم الكلام قديماً الذي لا يزال أثره باقياً إلى هذا العصر، فأهلُ الكلام يخوضون في الله تعالى وصِفاته، مما أورثهم سوء الأدب مع الله تبارك وتعالى.

٣ ـ ومن أسباب ذلك: كثرة الترخُّص والمداهنات والتنازلات من بعض علماء السوء الذين أُشربوا حُبّ الدنيا، فجعلوا الدين أُلعوبةً يأخذون منه ويدَعون»[١].

ورحِم الله ابن القيم حيث يقول: «كلّ مَن آثر الدنيا من أهلِ العِلْم واستحبَّها فلا بدَّ أن يقول على الله غير الحقّ في فتواه وفي حُكمه؛ لأنّ أحكام الربّ سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس»[٢].

فكلّ هذه الأسباب مجتمعة أدّت إلى ضعف تعظيم شعائر الله في القلوب، وكذلك عدم المعرفة التامّة بمسألة أعمال القلوب، وأنها أعظم من عبادات الجوارح، «فالفرقُ عظيم بين صلاةٍ بقلبٍ حاضر وصلاة بقلب غافلٍ لاهٍ ـ كما تُبيّن ذلك هذه الدراسة ـ، وكذلك فرق عظيم بين صيامٍ بإخلاص وإقبال واحتساب، وبين صيامٍ خالٍ من ذلك، وبين حج بتضرّع وانكسار وحجّ بشموخ واستكبار. . وهكذا»[٣].

وكذلك أضعفت تلك الأسباب وغيرها عبادة التفكُّر في ملكوت الله تعالى وإبداعه في مخلوقاته. . كما سيأتي تفصيلها بإذن الله في المبحث القادم.

ولذلك فقد كان السلَف الصالح يفضّلون عبادة القلوب والتفكّر على الإكثار من العبادات التي تكون بالجوارح.

«قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (تفكّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلة).

---

(١) عبد اللطيف، ١٤١٧هـ، ص١٠١.

(٢) المرجع السابق، ص١٠١.

(٣) الشريف، ١٤١٩هـ، ص٤٠.

ووُصِف لسعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ عبادة قوم أنهم يُصلّون بعد الظهر إلى العصر، فقال: أَمَا والله ما هي بعبادة، إنما العبادة التفكّر في أمر الله والكفّ عن محارِم الله»[(١)].

والعبادات القلبية أساس تحصيل الإحسان، وهو أعظم مرتبة في الدين ومبتغى العالمين وجهاد الصالحين، ولا يدنو منها إلا الخاشعون المنيبون من أولياء الله المؤمنين، الذين تحقق فيهم المراقبة الذاتية، وأعني بذلك أنّ الإحسان بُني على المراقبة، والمراقبة عبادة قلبية صرفة. وقد عرّف النبي ﷺ الإحسان، فقال: «أن تعبُد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(٢)].

فهذه الأسباب وغيرها طرأت على قلوب كثير من المؤمنين، فأثّرت سلباً على توجّهاتهم الإيمانية ومعينهم الإيماني.

## المحور الخامس: اليقين بلقاء الله

إنّ اليقين بلقاء الله تعالى وتفويض الأمر إليه أولاً وأخيراً هو مناط التقوى وسبيل المؤمنين الخاشعين، وأنّ الدنيا في تصوّرهم كلّها ثمن قليل وعرض هزيل، وتبدو الآخرة في نفوسهم الإيمانية وقلوبهم الخاشعة أحسن مقيلاً، وأهدى سبيلاً، ولا يتردّدون في إيثار الآخرة على الدنيا؛ لأنّهم سيجدون جزاء ما قدّموا الخير والفلاح في مقعد صِدق عند مليكٍ مقتدر. قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

لقد عرف الخاشعون هذا الطريق الإيماني العظيم وعظّموه وجعلوه نصب أعينهم؛ لأنّ اليقين «هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه

---

(١) الشريف، ١٤١٦هـ، ج١، ص١٥٧، ١٦١.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٩٣.

تفاضَلَ العارفون، وفيه تنافسَ المتنافسون، وإليه شَمّر العاملون، وعَمَلُ القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا ترسخ الصبر باليقين نتج عنهما الإمامة في الدين. قال تعالى ـ وبقوله يهتدي المهتدون ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وخصّ سبحانه وتعالى أهلَ اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]. وخصّ أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤-٥]. وأخبر أنّ أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

فاليقين روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصدّيقية، وقطب هذا الشيء الذي عليه مداره، واليقين قرين التوكل. ولهذا فسّر التوكل بقوّة اليقين. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كلّ شكّ وريب وهمّ وغمّ، فامتلأ محبةً لله وخوفاً منه، ورِضاً به، وشكراً له، وتوكلاً عليه، وإنابةً إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها، واليقين يَحمل على مباشرة الأهوال وركوب الأخطار، وهو يأمر بالتقدم دائماً، فإنْ لم يقارنه العِلْم حمل على المعاطب، والعلم وحده يأمر بالتأخر دائماً وبالإحجام، فإن لم يصبه اليقين فقد يَصُدُّ صاحبه عن المكاسب والمغانم»[١].

---

(١) ابن القيم، ١٤١٤هـ، ج٢، ص٤١٣، باختصار.

**ومن علامات اليقين بلقاء الله:**

١ ـ قلة مخالطة الناس في العِشرة.

٢ ـ ترك المدح لهم في العطية.

٣ ـ التنزّه عن ذمّهم عند المنع.

ومن علاماته كذلك: النظر إلى الله في كلِّ شيء والرجوع إليه في كلِّ أمر، والاستعانة به في كلِّ حال[١].

«واليقين ثلاثة أوجه: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة. أما يقين الخبر: سكون القلب إلى خبر المخبر ووثوقه به، ويقين الدلالة: وهو فوقه، وهو أن يقيم له مع وثوقه بصدقه الأدلة الدالّة على ما أخبر به، وهذا كعامّة الأخبار بالإيمان والتوحيد، وهو في القرآن، فإنه سبحانه مع كونه أصدق الصادقين يقيم لعباده الأدلة والبراهين على صِدق أخباره، فيحمل لهم اليقين من الوجهين، من جهة الخبر، ومن جهة الدليل، فيرتفعون من ذلك إلى الدرجة الثالثة، وهي يقين المكاشفة، بحيث يكون المخبَر به كالمرئي لعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب هي إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، وهذا أعلى أنواع اليقين»[٢].

هكذا كانت قلوب الخاشعين تنبض بصدق الإيمان واليقين التامّ بما أخبر الله تعالى به وبما جاء به هدي الرسول الكريم ﷺ.

وقد تواترت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ التي تبين مرتبة اليقين، وأنّ العبد الموفّق صاحب القلب المنيب الخاشع هو الذي يصل إليها بتوفيق الله تعالى. وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: «القلوبُ أوعيةٌ، وبعضُها أَوْعَى من

---

(١) الفيروزآبادي، ١٣٩٠هـ، ج٥، ص٣٩٧.

(٢) المرجع السابق، ج٥، ص٣٩٧.

بعض، فإذا سألتم اللهَ عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنّ الله لا يستجيبُ لعبدٍ دعاهُ عن ظهرِ قلبٍ غافل»(١).

ولذلك كانت القلوب تتأثر بالمواعظ وبالوعيد وبأسباب غضب الله وسخطه.

«كان الحسن البصري يجلس في مجلسه الذي يذكر فيه كل يوم، وكان حبيب العجمي ـ رحمه الله ـ يجلس في مجلسه الذي يأتيه أهل الدنيا والتجارة، وهو غافل عمّا فيه الحسنُ لا يلتفت إلى شيء من مقالته، إلى أن التفتَ يوماً فسأل عمّا يقوله الحسن البصري، فقيل له: يذكر الجنة ويذكر النار، ويرغّب في الآخرة، ويزهد في الدنيا، فوقر ذلك في قلبه، فقال: اذهبوا بنا إليه، فأتاه، فقال جلساء الحسن: يا أبا سعيد، هذا حبيب قد أقبل إليك فعِظه، وأقبِلْ عليه، فذكّره الجنة وخوّفه النار، ورغّبه في الخير، وزهّده في الدنيا. فتأثر حبيب بتلك الموعظة، وتصدّق بأربعين ألف، وقنع باليسير، وعَبدَ الله حتى أتاه اليقين»(٢).

وبلغ اليقين بأحد السلَف حتى قال: «رأيتُ الجنة والنار حقيقة، قيل له: كيف؟ قال: رأيتُها بعينيْ رسول الله ﷺ، ورؤيتي لِما بعينيه أوثق عندي من رؤيتي لهما بعينيّ، فإنّ بصري قد يخطىء بخلاف بصره ﷺ»(٣).

وقال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «صدق الله ورسوله باليقين هُرب من النار، وباليقين طُلبت الجنة، وباليقين صُبر على المكروه، وباليقين أُدّيت الفرائض، وفي معافاة الله خير كثير، قد ـ والله ـ رأيناهم يتقاربون في العافية، فإذا وقع البلاءُ تباينوا»(٤).

---

(١) رواه الترمذي، باب: جامع الدعوات، ج٥، ص٥١٧، حديث رقم: ٣٤٧٩.
(٢) الأصبهاني، ١٤١٨هـ، ج٦، ص١٤٩.
(٣) الفيروزآبادي، ١٣٩٠هـ، ج٥، ص٤٠٠.
(٤) البصري، ١٤١٠هـ، ص١٣٢.

# المبحث الثالث

## الوسائل المؤدية إلى الخشوع في العبادة

يحتلّ هذا الجانب الإيماني المهمّ حيزاً كبيراً في حياة المسلم، وذلك للحاجة الماسّة إليه وبما يوصل للطرق المؤدّية للخشوع في العبادة، ولا سيما في الصلاة. وقد اسْتَعْرَضَت هذه الدراسة ـ وفي المبحث الأول من هذا الفصل ـ مدى العلاقة الكبيرة بين الخشوع والصلاة، وذلك لعدّة حقائق تمَّت مناقشتها في المبحث السابق. ولستُ بصدد تكرار ما ذُكر هناك عن مدى تلك العلاقة الوثيقة بين الصلاة والخشوع، فما ذُكر ـ ومِن وجهة نظر الباحث ـ يكون فيه الكفاية والله أعلم. ولكنّ المراد توضيحه هنا هو: أنّ هذا المبحث يبين الوسائل المعينة أو الموصلة إلى الخشوع في العبادة بصِفة عامّة، لكنه في الوقت نفسِه يركّز على الأسباب أو الوسائل المؤدية إلى تحقيق الخشوع في الصلاة على وجه الخصوص، وذلك لِما سبق توضيحه من أهمية الخشوع فيها، وذلك لأنّ المتأمل في أحوال كثير من المسلمين اليوم يجد خللاً كبيراً قد وقعوا فيه فيما يتعلق بهذا الركن العظيم، فهناك مَن ترك هذا الركن بالكلية، وظنّ أنّ مجرد انتسابه لهذا الدين كافٍ في نجاته من عذاب الله تعالى. وهناك مَن يتساهل في المحافظة على إقامتها في أوقاتها ويؤخّرها أو بعضها عن أوقاتها تهاوناً بها وكسلاً عنها، أو تجده لا يصليها مع جماعة المسلمين. وبعض مَن وفّقه الله تعالى لأداء الصلاة جماعةً مع المسلمين في بيوت الله قد ابتُلي بأنواع من التفريط فيها، مثل: عدم الطمأنينة فيها ونقرها نقراً، ومثل: كثرة الانشغال أثناء الصلاة بأمورٍ تخلّ بالخشوع كما سيأتي توضيحه بإذن الله، أو غلبة وساوس الشيطان عليه فيها.

وقد عني العلماء قديماً وحديثاً بأمر الصلاة وما يتعلق بها من أحكام، وكذلك فيما يتعلق بالجانب الإيماني العظيم بها. ومن أهمّ ذلك: الخشوع فيها، لِما له من أهمية كبيرة في العبادة والصلاة. «والخشوع شعبة من شُعَب الإيمان ومقام من مقاماته العُليا. لكن أبرز موطن يظهر فيه عند أداء العبادات إنما يكون في الصلاة، ولهذا وردَ ذِكره في كتاب الله مطلقاً غير مقيَّد بعبادة، ووردَ ذِكره مقروناً بعبادات مختلفة، وأهمّها الصلاة»(١).

## المحور الأول: معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصِفاته العُليا

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فهو سبحانه الخالق الرازق الذي لا شريك ولا ندّ له في جميع صفاته، ولا مضاهي له في أسمائه وتقديراته، فهو الله الذي تألّههُ القلوب بالمحبة والودّ والتعظيم، وهو الرحمٰن الرحيم، الذي أرحم بعباده من الوالِدة بولدها.

ومن أعظم ما يقوّي الإيمان ويجلبه ويزيد القلب خشوعاً؛ معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنّة، والحِرص على فهم معانيها. يقول ﷺ: «إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، مَن أحصاها دخل الجنة»(٢).

ومعنى «أحصاها»: أي: مَن حفظها وفهِم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها، واعتقدها، دخلَ الجنة. والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، فعُلم أنّ ذلك أعظم ينبوع إيماني؛ لحصول الخشوع وقوّته. ومعرفة الأسماء الحسنى يكون بمراتبها الثلاث:

أ ـ إحصاء ألفاظها وعددها.

ب ـ فهم معانيها ومدلولها.

جـ ـ دعاء الله تعالى بها دعاء المسألة والثناء والعبادة.

---

(١) توفيق، ١٤١٤هـ، ص٩، ١٠، بتصرف.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٠٦٣.

وهذا الدعاء هو أصل الإيمان، ولأنّ معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الله بأفعاله، توحيد الله بأفعال العباد، توحيد الله بأسمائه وصفاته. وتوحيد الأسماء والصفات هو روح الإيمان وأصله وغايته، فكلما ازداد العبدُ معرفةً بأسماء الله وصِفاته ازداد إيمانه وقويَ يقينه. فالخشوع في العبادة يتحقق ببذل العبد مقدوره ومستطاعه في معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف، بل تكون المعرفة مُتلقّاة من الكتاب والسنة وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمان وخير، ويزداد يقينه، وتطمئنّ نفسه، ويزداد حبُّه لربه، فمَن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة»[١].

والمعرفة بالأسماء والصفات تبلغ غايتها عندما يصل الخاشع إلى مرحلة البصيرة، حتى تصل «بأن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسَه ووصفه به رسولُه، بل تكون الشبهة المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشُّبه والشكوك في وجود الله، وأن يشهد قلبك بأنّ الربّ مُسْتَوٍ على عرشه، متكلِّمٌ بأمره ونهيه، بصيرٌ بحركات العالم عُلويّه وسُفليّه، وأشخاصه وذواته، سميعٌ لأصواتهم، رقيبٌ على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، نازل عنده وصاعدٌ إليه، وأملاكه بين يديه، تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفاً بصِفات الكمال، منعوتٌ بنعوت الجلال، منزّهٌ عن العيوب والنقائص والمثال، هو كما وصفَ نفسه في كتابه، وفوق ما يصفه به خلقه، حيٌّ لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرّة في السماوات ولا في الأرض، بصيرٌ يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سميعٌ يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات

---

(١) القحطاني، ١٤١٠هـ، ص٣-٥، بتصرف.

على تَفنُّن الحاجات، تمت كلماته صدقاً وعدلاً، وجلّت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهاً ومثلاً، وتعالت ذاته أن تشبه شيئاً من الذوات أصلاً، ووسعت الخليقة أفعاله عدلاً وحِكمةً ورحمةً وإحساناً وفضلاً، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد، أولٌ ليس قبله شيء، وآخرٌ ليس بعده شيء، ظاهرٌ ليس فوقه شيء، باطنٌ ليس دونه شيء، أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حِكمة ورحمة ومصلحة وعدل، كل شيء من مخلوقاته دالٌّ عليه، ومرشدٌ إليه بعين البصيرة إليه، لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، وأسبغ عليهم نِعمَهُ ليتوسّلوا بشكرها إلى زيادة كرامته، فأتمّ عليهم نِعمَهُ السابغة، وأقام عليهم حجّته البالغة، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة. وتفاوتَ الناسُ في هذه البصيرة بحسب تفاوتهم في معرفة النصوص النبوية ومعرفتها وفهمها، ودرايتهم بفساد الشُّبه المخالفة لحقائقها»[١].

## المحور الثاني: تدبّر القرآن الكريم ومعرفة طرق تحصيله

من الأمور المعينة على الخشوع في العبادة: تدبُّر القرآن الكريم.

ومعنى ذلك: الفهم لِما يُتلى من القرآن مع حضور القلب وخشوع الجوارح.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف، ولكن إقامة حدوده»[٢].

وصِفة التدبر: «أن يشتغل قلبه في التفكّر في معنى ما يلفظ بلسانه، فيعرف من كلِّ آية معناها، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها، فإذا

---

(١) ابن القيم، ج٣، ص١٢٣، بتصرف.

(٢) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص١٢.

مرَّ بآية رحمة وقف عندها، وفَرِح بما وعده الله تعالى منها واستبشر إلى ذلك، وإن قرأ آية عذاب وقفَ عندها وتأمل معناها، فإن كانت في الكافرين اعترف بالإيمان، وقال: آمنا بالله وحده، وعرف موضع التخويف، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار، وإنْ هو مرَّ بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٠٤] وقفَ عندها. وقد كان بعضهم يقول: (لبَّيك ربي وسعديك)، ويتأمل ما بعدها مما أُمِر به ونُهي عنه، فيعتقد قبول ذلك»[١].

ومن الطرق المؤدية للتدبر والخشوع عند تلاوة القرآن الكريم:

١ ـ جمع القلب، وإلقاء السمع عند القراءة.

٢ ـ التوبة والابتعاد عن المعاصي. (سماع الغناء والموسيقى من أخطر المعاصي التي تمنع من تدبّر القرآن).

٣ ـ الإخلاص في طلبه.

٤ ـ البكاء.

٥ ـ النظر في كُتب المفسرين.

٦ ـ الاستعاذة، فوائد الاستعاذة.

٧ ـ اختيار الأوقات المناسبة للقراءة.

٨ ـ اختيار المكان المناسب.

٩ ـ اختيار المقدار المناسب دون إرهاق.

١٠ـ أن تقرأه على مهل.

١١ـ تجويد القرآن.

١٢ـ الاستمرار في القراءة[٢].

(١) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص١٣.

(٢) المرجع السابق، ص٤١، بتصرف.

وفيما يلي شرح موجز لكل واحد منها:

### ١ ـ جمع القلب وإلقاء السمع عند القراءة:

فإذا أردتَ أن تنتفع بتلاوة القرآن ولذّة الاستماع له «فأجمع قلبك عند تلاوة القرآن، وألق سمعك، واحضر حضور مَن يخاطبه به مَن تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ﷺ»[١].

يقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ففي هذه الآية الكريمة دعوة للتفكر والتدبر، حتى تتحقق الثمرة الإيمانية، ولا يحصل التدبر والتفكر إلا إذا ألقى المؤمن سمعه وأسلمه لآي الذكر الحكيم، وتمعّن في كلِّ حرفٍ يسمعُه، وجمع قلبه على تدبرها ومحاولة فهمها.

«ألا ترون ـ رحكم الله ـ إلى مولاكم كيف يحثّ خلقَه على أن يتدبروا كلامه، ومَن تدبّر كلامه عرف الربَّ عز وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضّله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزمَ نفسَه الواجب، فحذر مما حذّره مولاه الكريم ورغِبَ فيما رغَّبَه. ومَن كانت هذه صفته عند تلاوته وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاءً، فاستغنى بِلا مال، وعزَّ وأَنِس بما يستوحش منه غيره، وكان همّه عند التلاوة للسورة إذا افتتحها: متى أتّعِظ بما أتلو؟ ولم يكن مراده: متى أختم السورة؟. وإنما مراده: متى أعقل عن الله عز وجل الخِطاب؟ متى أزدجر؟ متى أعتبر؟ لأنّ تلاوة القرآن عبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق لذلك»[٢].

---

(١) زمرلي، ص٤٤.

(٢) الآجري، ١٤١٢هـ، ص٢٦.

ولأهمية هذا الجانب فقد استعاذ ﷺ من القلب الغافل بقوله في دعائه: «اللهمَّ إني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع»[١].

## ٢ ـ التوبة والابتعاد عن المعاصي:

لا شكّ أنّ المعاصي كلّها أضرارٌ في الدين والدنيا، فهي تذهب بنور الإيمان في القلب والوجه، وتوهن القلب وتمرضه وتضعفه، وتُذهب بالحياء، وهي تعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره، وتسدّ عليه طُرق العِلْم. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فالقلب المريض أبعد الناس عن تدبّر القرآن. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۝ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

«فحياة القلب وإضاءته مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شرّ فيه. فصاحب القلب الحي بين قلبه وبين معاني القرآن أتَمّ اتصال، فيجدها كأنها قد كُتبت فيه، فهو يقرؤها عن ظهر قلب»[٢].

«وكما أنّ التوبة الصادقة سبب لتدبر القرآن ومعرفة معانيه، فإنّ كثرة المعاصي سبب عظيم لِموت القلب وعدم تأثره بوعد الله تعالى ووعيده. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

قال مجاهد: الذنب على الذنب، حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه، فيموت القلب»[٣].

وقال غيره: لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم. وأصل هذا: «أنّ القلب يصدأ عن المعصية، فإن زادت عليه غلب الصدأ حتى يصير

---

(١) الترمذي، حديث رقم: ٣٤٨٢.

(٢) ابن القيم، ١٤١١هـ، ص٥.

(٣) ابن القيم، ١٤١١هـ، ص٥٠٦، ٥٠٧.

راناً، ثم يغلب عليه حتى يصير طبقاً وختماً وقُفلاً، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس»(١).

وأخبر سبحانه في سياق الآية السابقة أنّ ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم ريْناً على قلوبهم، ولذلك كان لزاماً على مَن يريد حُسن التدبر أن يبتعد عن أدواتِ المعاصي ووسائل التدبر، وهي القلب والسمع واللسان والبصر، فاستخدام هذه الأدوات فيما حرّم الله يعرّضها لعدم الانتفاع بها في الحقّ، ولذلك كان من أهمّ آداب تلاوة القرآن الكريم تطهير أدوات التلاوة التي يتعامل مع القرآن من خلالها، وتنظيفها مما علق بها من معاصي وذنوب ومنكرات؛ لأنّ نظافة وطهارة الوعاء شرط للانتفاع بالمضمون، فكيف يحسن تلاوة القرآن وتدبّره وفهمه بعين لوّثتها النظرات المحرّمة؟ أو بأُذن دنّستها الأصوات المنكرة ومزامير الشيطان؟ أو بلسانٍ نجسته الغيبة والنميمة والكذب والافتراء والسخرية والاستهزاء؟

وكيف يعي القرآن ويتفاعل معه قلب عليه أكنّة وأغطية وحُجب وموانع من الشبهات والشهوات، والرغبة في المعاصي والمنكرات، والإقبال على الرذائل والمحرمات، وقد أفسدته الأمراض والآفات من الرياء والعُجب والتكبّر؟!

والقرآن الكريم كالمطر، فكما أنّ المطر لا يؤثّر في الجماد والصخر، ولا يتفاعل معه إلا التربة المهيّأة، فكذلك القرآن لا بدّ أن ينزل على بيئة صالحة ليتفاعل معها، ويؤثّر فيها، ويحيى من خلالها. وهذه البيئة هي الحواس والقلوب التي تُقبل عليه»(٢).

---

(١) ابن القيم، ص٥٠٧.

(٢) المرجع السابق، ١٤١٢هـ، ج١، ص٤٨، بتصرف.

### ٣ ـ الإخلاص في طلبه (أي: الخشوع):

الإخلاص هو أساس صحّة الأعمال والعبادات، وكل عبادة ليست مقترنة بإخلاص التوجّه إلى الله تعالى فهي معرّضة للردّ في وجه صاحبها.

والإخلاص «يساعدك على التدبر والإقبال بكليتك نحو القرآن لتفهّمه وتدبّره، والرياء في القراءة يكون عقابه أنّ المرائي بها يكون أول مَن تسعّر بهم النار يوم القيامة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله: (سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة: رجُلٌ استشهد، فأُتي به فعرّفه نعمَه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهِدتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأنْ يُقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجُلٌ تعلَّم العِلْم وعلّمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرّفه نِعَمَه فعَرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلّمتُ العِلْم وعلّمته وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنك تعلّمتَ العِلْم ليُقال عالم، وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل، ثم أُمِر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار...») الحديث[١].

فالذي يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره، كما أنّ له من الأجر ما ليس لغيره»[٢].

### ٤ ـ من وسائل التدبر وحصول الخشوع؛ البكاء:

وهذا الجانب من الأسباب المؤدية إلى الخشوع في الصلاة والعبادة بصِفة عامّة، ويستحبّ البكاء عند قراءة القرآن، والتباكي لِمن لا يقدر عليه، والبكاء ـ كما قدمت في مبحث سابق ـ هو صِفة العارفين، وسبيل الخاشعين، «وطَريقة

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٩٠٥.

(٢) القرطبي، ١٤٠٨هـ، ص٢١٥.

تحصيله أن يتأمل المؤمن الخاشع ما هو فيه من عبادة، ويتأمل ما سينقلب إليه العباد من التهديد والوعد والوعيد الشديد، ثم يفكّر في تقصيره فيها»[١].

**٥ ـ من الوسائل المعينة على التدبر في القرآن؛ النظر في كتب المفسرين:**

وأهمّ ما يُعتنى في هذا الجانب هو التفسير المنقول عن رسول الله ﷺ وعن صحابته الكرام؛ لأنّهم أقرب الناس إلى فَهم القرآن، «وهذا ما يُسمى بالتفسير بالمأثور»[٢].

وقد ذكر الإمام النووي ـ رحمه الله ـ أنه «يحرم تفسيره بغير علم، والكلام في معانيه لِمن ليس من أهلها، والأحاديث في ذلك كثيرة، والإجماع منعقد عليه»[٣].

ولا شكَّ أنّ حاجة الناس ماسّة إلى تفسير القرآن الكريم، وذلك للأمور التالية:

أ ـ إنّ من الألفاظ ما يكون محتملاً لِعِدّة معانٍ.

ب ـ أنّ الآيات قد نزلت لأسباب لا يمكن فهمُها إلا إذا عُرف سبب نزولها، ولا يمكن معرفة تفسيرها دون الوقوف على قصّتها وبيانها. كما أنّ بيان سبب النزول طريق قويّ في فَهم معنى القرآن.

جـ ـ أنّ في القرآن الكريم من الأحكام ما لا يُفهم على الوجه الصحيح إلا بمعرفة السنّة، إذْ قد يكون مجملاً فتفصّله، أو عامّاً فتخصصه، أو مطلقاً فتقيّده.

وهناك أسباب كثيرة تبين مدى الحاجة إلى التفسير وبيانه لمراد الله تعالى في كتابه الكريم، ولكنّ المجال لا يتّسع لذلك كلّه. وقد بَسَطتْ كتب التفسير ومصنفاته الكثير من هذه الفوائد، فيحسُن الرجوع إليها لمعرفة أهمية

---

(١) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص٦١، بتصرف.

(٢) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص٦٢.

علم التفسير بالمأثور خاصة، وكما قال ابن عباس رضي الله عنه مبيناً أهمية تفسير القرآن الكريم أنّ (الذي يقرأ القرآن ولا يفسِّر كالأعرابي الذي يهذّي بالشِّعر). وقال مجاهد: (أحبُّ الخَلق إلى الله أعلمهم بما أُنزِل))»[١].

ولأنّ علم التفسير يكشف عن معاني القرآن وبيان المراد منه، سواء كانت معاني لغوية أو شرعية، بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام، فلا بدّ مِن الرجوع إليه لمعرفة حقيقة ما توجه إليه الآيات الكريمة وما فيها مِن دروس وعِظات[٢].

وعندما يطلع القارىء للقرآن على بعض تفاسير الآيات التي يقرؤها فإنه يزداد إيماناً ويقيناً وخشية وإنابة، وذلك لِما يرى من دلائل إيمانية عظيمة على قدرة الله وعظمته وبديع صُنعه، مما يكون له أبلغ الأثر على القلب والجوارح، ويتحقق ـ بإذن الله ـ الخضوع الخاشع لله الواحد القهار.

«فهل يتدبر الإنسان ما يُتلى، ويَرى في آيات الله وفي نفسه وفي الآفاق ما تدعو إليه، ويعلم أنَّ ما أقسم القرآن به دليل على ما أقسم عليه ودعا إليه، والآيات التي يُخاطَب الإنسان بها ليست بعيدة عنه أو منفصلة عن معاشه ومتاعه، من ليل أو نهار، وشمسٍ وقمر، وأرضٍ وسماء، وزرعٍ وماء، آيات وآيات يُقسم الله بها ليعرف الإنسان دلالتها في الدعوة إلى الإيمان، ويخبره بشأنها لتكون زاداً لا ينقطع في تبصرته وتذكرته، وهي ملازمة له حيث كان»[٣].

٦ ـ من الوسائل المعينة على التدبر؛ الاستعاذة:

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

(١) النقراشي، ١٤٠٧هـ، ص١٦، ١٧ بتصرف.

(٢) السيوطي، ١٤٠٦هـ، ص٣٨، بتصرف.

(٣) الراوي، ١٤١٥هـ، ص٥٥٤، ٥٥٥.

تُبيّن الآية الكريمة ضرورة الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى من شرور الشيطان ومفاسده، «وقد ذهبَ بعضُ العلماء إلى وجوب التعوّذ؛ لظاهر الأمر، ولا صارف إلى الندب، وهو الأولى إن شاء الله»[1].

وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن؛ لِما في ذلك من فوائد عظيمة، منها:

أ ـ أنّ القرآنَ شفاءٌ لِما في الصدور، يُذهب لِما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة.

ب ـ أنّ الملائكة تدنو من قارىء القرآن وتستمع إلى قراءته، والشيطان ضدّ الملَك وعدوّه، فيُطلب من القارىء أن يَطلُب من الله تعالى مباعدة عدوّه حتى يحضره خاصُّ ملائكته، فهذه منزلة لا يجتمع فيها الملائكة والشياطين.

جـ ـ أنّ الله تعالى أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته. وقد بيّن جمهور على أنّ المعنى المراد من سياق الآية الكريمة في سورة الحج قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، هو: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته، فإذا كان هذا فعله مع الرسُل عليهم الصلاة والسلام، فكيف بغيرهم؟ ولهذا يغلّط القارىء تارةً، ويخلط عليه القراءة، ويشوّشها عليه، فيخلط عليه لسانه، أو يشوّش عليه ذهنه وقلبه، فإذا تكالبت عليه تلك الوساوس فإنه لا مخرج له منها إلا بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ولذلك أُمِر بها عند التلاوة.

---

(١) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص٦٥.

د ـ «أنّ الاستعاذة قبل التلاوة عنوان وإعلام بأنّ ما سيأتي بعدها هو تلاوة القرآن الكريم، ولهذا لم تُشرع الاستعاذة بين يدي كلام غيره، بل إنّ الاستعاذة مقدّمةٌ وتنبُّهٌ للسامع أنّ الذي يأتي بعدها هو التلاوة، فإذا سمع السامع الاستعاذة، استعدّ لاستماع كلام الله تعالى. ثم شُرع ذلك للقارىء وإن كان وحده»[1].

**٧ ـ من الوسائل المعينة على التدبر؛ تجويد القرآن:**

اختيار الصوت الخاشع المرتِّل للآيات الكريمة، وتأديتها بتجويد وترتيل، لها كثير من الفوائد الإيمانية التي تعود على النفس المؤمنة، ذلك لأنّ «الألفاظ إذا أُجليت على الأسماع في أحسن معارضها، وأُديت حسب ما حثّ عليه رسول الله ﷺ بقوله: «زيّنوا القرآن بأصواتكم»[2]. كان تلقي القلوب وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحُسن، فيحصل حينئذٍ الامتثال لأوامره والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وَعْدِه، والرهبة من وعيده، والطمع في ترغيبه، والارتجاء من تخويفه، والتصديق بخبره، والحذر من إهماله، ومعرفة الحلال والحرام؛ ولهذا شُرع الإنصالات إلى قَراءة القرآن في الصلاة وغيرها»[3].

**٨ ـ الاستمرار في تلاوة القرآن وعدم هجره:**

ومن أهمّ العوامل المعينة على الخشوع في العبادة؛ كثرة تلاوة القرآن الكريم والاشتغال به، فلا يُهجَر؛ لأنّ الإكثار من تلاوته بتدبر أدعى للإخبات والخشوع. ومما يعين على ذلك ترتيله، فقد قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

---

(١) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص٦٨.

(٢) ابن ماجه، باب: في حسن الصوت بالقرآن، حديث رقم: ١٣٤٢.

(٣) زمرلي، ١٤١٧هـ، ص٦٨.

«فحقّ على كلِّ امرئٍ مسلم قرأ القرآن أن يرتِّله. وكمال ترتيله تفخيم ألفاظه، والإبانة عن حروفه، والإيضاح لجميعه بالتدبر حتى يصل بكل ما بعده، وأن يسكت بين النفَس والنفَس حتى يرجع إليه نفَسه، وألاّ يدغم حرفاً في حرف؛ لأنّ أقلّ ما في ذلك أن يُسقط من حسناته بعضها، وأن يرغبوا في تكثير حسناتهم»(١).

فالاستمرار في تلاوة القرآن الكريم والمداومة على مدارسته من أجلّ الأعمال، وصفة الاستمرارية في تعاهد كتاب الله تعالى ومدى أثرها في النفس المؤمنة مرتبطة بالتدبر والخشوع والتفكر في الآيات الكريمة، فعلى القارىء «أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كلّ آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصّر عنه فيما مضى، اعتذرَ واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفقَ وتعوّذ، أو تنزيه نزّهَ وعظّم، أو دعاء تضرَّعَ وطَلَب»(٢).

## المحور الثالث: التفكر في ملكوت الله والنظر إلى إعجاز الله تعالى في الكون وأثره في الخشوع

يقول الله تباركَ وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وأوجُه الإعجاز كثيرة ومتنوعة في القرآن الكريم، وقد اتخذ القرآن من الإشارات والتلميحات إلى حقائق الكون والحياة منهجاً عظيم الأثر في تثبيت الإيمان وتدعيمه، فما مِن آية تدعو إلى عبادة الله وتوحيده إلاّ وهي مقرونة في الغالب بتوجيه الأذهان إلى تأمل آثار القدرة الإلهية في إبداع

(١) زمرلي، مرجع سابق، ص٦١، بتصرف.
(٢) السيوطي، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٣٣.

الكون وإتقان صنعه، وتمعُّن النظر في غرائب الخَلق وبدائع التكوين بما يجعل المؤمن الخاشع الذي ألقى قلبَهُ وسمعه وجوارحه للآيات الكريمة، مشدود البصر والبصيرة بالكون كلِّه وبملكوت الله سبحانه وتعالى. وهذا لا شكّ ينعكس على مشاعره وأحاسيسه، فيزداد إيماناً ويقيناً بقدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته، ولا يمكن في هذا المبحث المختصر الإلمام بحقيقة إعجاز الله تعالى في الكون وأثره في النفوس المؤمنة، ولكن حسبنا هنا أن نشير إلى هذا المسلك الإيماني والتمعّن في حقائق الكون، والرجوع إلى الكتب المؤلفة في ذلك لا شكّ أنه يزيد النفس المؤمنة إيماناً وتذللاً وخشوعاً.

«ويتجلى إعجاز الإسلام على مدار الزمن واحتفاظه بمكانته من السموّ والهيمنة على كل ما تبلغه العقول من مدركات، وما تلده الحياة من أسرار، ولِذا فإنّ إعجاز الإسلام سِرّ لا يقع موقع الحسّ وتحاليله، ولا يستجيب لدواعي الحواسّ وتحاليلها، كشأن النظريات الوضعية التي وضعها العلماء والعباقرة، فالإعجاز في الإسلام يرمي إلى مقصد أبعد من مجرد تقدير هذه الحقيقة المقررة، ولِذا فقد يتساءل البعض: ما هو المقصد الذي سعيت إليه؟ وما الثمرة المرجوّة من دراسة الإعجاز العِلْمي في القرآن والسنّة؟ لا شكّ أن الثمرة الأولى والهدف الأسمى هو أن تكون في قلب المسلم صِلة وثيقة بكتاب الله وبسنّة رسوله ﷺ. حيث إنّ الإيمان الذي يقع في قلوب أكثر المسلمين في زماننا الحاضر المملوء بكثير من الملهيات والصوارف هو إيمان لا يثير شعوراً، ولا يحرّك عاطفة، ولا يقيم وازعاً يستمدّ أحكامه وسلطانه منه، إنه إيمان عادة وميراث وتقاليد، ولهذا فقد صار إحساس كثير من المسلمين بشعائر دينهم إحساساً ضعيفاً ليس له أيّ تأثير على سلوكهم وتصرّفاتهم، فقد تَمُرُّ بهم الآية والآيتان وربما أكثر من ذلك، ولكن لا يوجد لها أي تأثير على جوارحهم، ويَقْرَؤون من كلام الله الآيات العظيمة الدالة على عظيم إبداعه وإعجازه في هذا الكون، ولكن لا يختلف بهم الحال كثيراً

عما كانوا قبل التلاوة. ولذلك فإنّ أهمّ أهداف دراسة الإعجاز القرآني أو حتى الإعجاز في السنّة النبوية هو إزالة الغشاوة والجحود والنكران التي سيطرت على كثيرٍ من النفوس التي أولت ظهرها لهذه الدلائل الإيمانية العظيمة، وناصبته العداء، ومحاولة إيقاظها وتحريك هممها، ومخاطبة وازع الإيمان في أعماقها رغم ما اعتراها من وهن وضعف، كما أنّ دراسة الإعجاز الإسلامي في الكتاب والسنّة لها أثر كبير في تحقيق الخشوع والإخبات في القلوب المؤمنة؛ لأنّه وسيلة مهمّة لفهم بعض المستور من دلائل الإعجاز في هذا الكون، وما أودعَ الله تعالى فيه من إبداع وإتقان. كما أنّ القصد من دراسة الإعجاز القرآني هو ـ وقبل أي مقصد آخر ـ ترسيخ الإيمان في القلوب المؤمنة وبما تحمل آياته وكلماته من معانٍ إيمانية مُشرِقة، ينعكس أثرها على النفس المؤمنة، فتتوق نحو كلِّ عملٍ خيّرٍ، ولا يغيب عنها مراقبة الله تعالى واستشعار عظمته وجلاله وعلوّ شأنه سبحانه وتعالى»[(١)].

«والذي يؤكد عليه هنا؛ أنه لا ينبغي أن نثبت القرآن بالعلم، بل إنّ العِلْم هو الذي يجب أن يُثبت ويُلتمس الدليل من آيات القرآن الكريم، ذلك أنّ القرآن أصدق مِن أيّ علم من علوم الدنيا؛ لأنّ مكتشف أي ظاهرة علمية أو المخترع لأمرٍ جديد هو من البشر، في حين أنّ قائل القرآن ومنزّله هو الله ربّ العالمين، ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، والقائل سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢]»[(٢)].

«كما أنه وعند الحديث عن الإعجاز العِلْمي لا بدّ من التفريق بين العِلْم التجريبي والعِلم اليقيني؛ لأنّ العِلْم التجريبي متغير، وهو قاصر، وهو

(١) عبد الصمد، ١٤١٧هـ، ص١٦٢، ١٦٣، بتصرف.

(٢) عبد الصمد، ١٤١٧هـ، ص٢٨، ٢٩.

ظنّي، وعِلْمُ الله تعالى شاملٌ لِما يدركونه ولِما لا يدركونه»(١)، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

«وبعد أن تقرر أنّ القرآن الكريم كتاب هداية، وأنّ فيه الكثير من الآيات البينات التي تذكر الكون وتذكّر الإنسان بما فيه من دقائق وحقائق، عليه أن يلتفت إليها ويستفيد منها ويستدلّ بها، ولا يصحّ إهمالها أو الإعراض عنها، بل ينبغي أن نتناول آيات الإعجاز العلمي في هذا النطاق دون إغراق ومبالغة؛ لأنّ هذا المسلك يحوّل التفاسير إلى كُتب اختصاص لهذه العلوم، ويَحُول دون تأثير القرآن في النفوس وإنارته للقلوب وهدايته للعقول»(٢).

ومما سبق يتّضح «أنّ هذا المنطلق العقدي للتربية الكونية في القرآن ظلّ موجهاً مستديماً لهذه التربية ومشكّلاً لبنيتها الأساسية، وهو ما يبدو واضحاً فيما تصدّر به أو تختتم به الإرشادات التربوية القرآنية من تنبيه إلى الإطار العقدي الذي تُدرج فيه تلك الإرشادات الإيمانية الصادقة، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨]»(٣).

## المحور الرابع: بعض الوسائل المعينة على الخشوع في الصلاة

تطرّقت هذه الدراسة ـ وفي المبحث الأول ـ إلى بيان العلاقة الوطيدة والوثيقة والمتلازمة بين الخشوع والصلاة بما يغني عن تكرار ذِكر تلك

---

(١) مجلة التربية، ١٤٠٣هـ، ص١٢٥.

(٢) مجلة جامعة الإمام، العدد ٤، رجب ١٤١١هـ، ص٤٧.

(٣) النجار، ١٩٩٢م، ص١٣، بتصرف.

العلاقة في هذا المبحث الذي يبحث أسباب الخشوع، لكن الأمر الذي يترسخ في الذهن أن الخشوع من المطالب الشرعية المهمة التي تتأكد أهميتها في الصلاة على وجه الخصوص، ويبعث في النفس الطمأنينة والخشية والإخبات، كما تبيّن ذلك في ثنايا هذه الدراسة أو هذا المطلب.

وعند البحث في وسائل الخشوع في الصلاة يتبين أنها تنقسم إلى قسمين:

الأول: جلب ما يوجد الخشوع ويقويه، والثاني: دفع ما يزيل الخشوع ويضعفه، والذي يُعين على الخشوع أمران: قوة المقتضى وضعف الشاغل.

أما الأول: قوة المقتضى: فيكون باجتهاد العبد في أن يعقل ما يقوله وما يفعله، ويتدبر القراءة والذكر والدعاء، ويستحضر أنه مُناجٍ لله تعالى كأنه يراه، فإنّ المصلي إذا كان قائماً فإنما يناجي ربه، وكلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد، وهذا يكون بحسب قوّة الإيمان. والأسباب المقوية للإيمان كثيرة، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «جُعلت قُرّة عيني في الصلاة»[١]. وفي حديث آخر قال: «أرِحنا بالصلاة يا بلال»[٢]. ولم يقل: أرِحنا منها.

أما الثاني: ـ زوال العارض ـ: فهو الاجتهاد في دفع ما يشغل القلب من تفكر الإنسان فيما لا يعنيه، وتدبر الجواذب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة، وهذا في كلِّ عبدٍ بحَسْبه، فإنّ كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات، وتعليق القلب بالمحبوبات التي ينصرف القلب إلى طلبها، والمكروهات التي ينصرف القلب إلى دفعها»[٣].

---

(١) رواه أبو داود، باب: الصلاة، حديث رقم: ٤٩٨٥.

(٢) المرجع السابق، باب: في صلاة العَتَمة، ج٤، ص٢٩٦، حديث رقم: ٤٩٨٦.

(٣) ابن تيمية، ١٤١٩هـ، ج١١، ص٦٧٨.

وفيما يلي استعراض موجز لبعض الوسائل المعينة على الخشوع في الصلاة:

**١ ـ الاستعداد للصلاة واستحضار عظمة الله، والحضور المبكِّر في المسجد:**

ويحصل ذلك بدءاً بالطهارة وإسباغ الوضوء، والترديد مع المؤذن عندما ينادي للصلاة، واستحضار عظمة المولى سبحانه وتعالى، الذي يقف المصلي بين يديه. وبعد انتهاء المؤذن من النداء يأتي المصلي بالدعاء المشروع، وهو قوله ﷺ: «اللهم ربَّ هذه الدعوة التامّة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته»(١).

كما يكون التهيّؤ للصلاة بأن يعتني المصلي بالسِّواك؛ لحديث: «طهِّروا أفواهكم للقرآن»(٢).

وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف، قال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

«وأصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمن كان أعرف بالله تعالى فهو له أخشع، فليعرف العبد الله عز وجل في قلبه بكثرة نعمه عليه وإحسانه إليه، فإنّ الله عز وجل قد أسبغ عليه نِعمَهُ ظاهرةً وباطنة، فعليه أن يشكر الله تعالى شكرَ العابد الذليل الخاشع. فهو سبحانه جابر المنكسرة قلوبهم من أجله، وهو سبحانه يتقرب ممن يناجيه في الصلاة، ويعفّر وجهَه في التراب بالسجود، كما يكون قريباً سبحانه من عباده الداعين له، السائلين من فضله، المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار، ويجيب دعاءهم، ويعطيهم سُؤلهم، ولا جَبْرَ لانكسار العبد أعظم من القُرْب والإجابة»(٣).

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ١٦٤.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، حديث رقم: ١٢١٣.

(٣) زمرلي، ١٤١٨هـ، ص٣٠، ٣١، بتصرف.

فالمتعيّن على المصلي أن يُقبل على ربه وقلبه معمور بِحبّ الله والخوف منه إجلالاً وتعظيماً وهيبةً وخضوعاً.

**٢ ـ أن يعلم أن الصلاة لقاءٌ مع الله ومُناجاة لله تعالى:**

يقول ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «إذا كان أحدكم في الصلاة فإنه يناجي ربَّه، فلا يبزقنّ بين يديه ولا عن يمينه، ولكن عن شِماله تحت قدمه»(١).

ومعنى «يناجي ربه»: «إشارة إلى إخلاص القلب وحضوره، وتفريغه لذكر الله تعالى وتمجيده وتلاوة كتابه وتدبّره»(٢).

«والصلاة مناجاة العبد للربّ، ومناجاة الربّ جل جلاله أرفع درجات العبد»(٣).

فالحقيقة التي لا بدَّ أن يَعِيَها المصلي ويجعلها نصب عينيه أنه يعلم حينما يُقبل على صلاته أنه يُقبل على ربه، ينبغي أن نفهم من الصلاة أنها مناجاة بين المخلوق والخالق تصل الأرضَ بالسماء، وكلمات طيبات تصعد إلى الخالق سبحانه دون وسيط، وأنها آداب عالية تفرضها المقابلة وجلال الموقف. ينبغي أن نفهم أنّ الصلاة لقاء مع الله أعظِم به من لقاء. فيها يمجِّد الإنسان ربَّه ويثني عليه، وفيها بثّ الشكوى، وفيها المعاهدة الصادقة أنه عبدٌ ذليل لا يملك لنفسه ضَرّاً ولا نفعاً، يرجو رحمة ربه، ويخشى عقابه، ويخاف وعيده، ينبغي أن يفرغ قلبه لله، كما قال ﷺ في حديث فضائل الوضوء: «... فإنْ هو قامَ فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجّده بالذي هو أهله وفرّغ قلبه لله، إلا انصرفَ من خطيئته كهيئة يوم ولدتْه أُمه»(٤).

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٣١.
(٢) النووي، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٤٠، ٤١.
(٣) البخاري، مرجع سابق، ج٢، ص١٤.
(٤) رواه مسلم، حديث رقم: ٨٣٢.

وتفريغ القلب هو صرف الانشغال عما سواه، وهو مِن كمال مُناجاة الله والإخلاص له، ومِن هنا يتبيّن لنا معنى قوله ﷺ: «إنّ الرجُل لينصرف وما كُتب له إلا عُشر صلاته، تُسعُها، ثُمْنها، سدسها، خُمسها، ربعها، ثلثها، نِصْفُها»(١).

وبمقدار ما يفرغ العبد قلبَه لله، ومناجاته له يُكتب له من الأجر في صلاته، وبمقدار ما يفرغ قلبه يتقبل الله تعالى منه.

### ٣ ـ الطمأنينة في الصلاة:

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

وإقامة الصلاة تعني الإتيان بها تامّة في أركانها وواجباتها وسُننها. وقد علّق الله سبحانه وتعالى الفلاح بخشوع المصلي في صلاته، فمَن فاته خشوع الصلاة لم يكن من أهلِ الفلاح، ويستحيل حصول الخشوع مع العجلة ونقر الغراب، «فمن نَقَرَ نَقْرَ الغراب لم يخشع في سجوده، فمَن لم يطمئِن لم يسكن، ومَن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده، ومَن لم يخشع كان آثماً عاصياً»(٢).

وقد قسّم ابن القيم ـ رحمه الله ـ الناسَ في صلاتهم إلى خمسة أقسام.. وذكرَ منهم مرتبة الظالم لنفسه «المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها، وهو مُعاقَب»(٣).

(١) رواه أبو داود، باب: ما جاء في نقصان الصلاة، ج١، ص٢١١، حديث رقم: ٧٩٦.

(٢) ابن تيمية، ١٤١٨هـ، ج٢٢، ص٥٥٨.

(٣) الجوزية، ١٤١٦هـ، ص٤٩، ٥٠.

فعلى المؤمن المصلي أن يؤدي الصلاة بتمهّل وطمأنينة تامّة، فغالباً ما تكون العجلة سبباً في ضياع معنى الخشوع. وقد روي عنه ﷺ قوله: «لا تُجزئ صلاة لا يقيم الرجُل فيها صُلبه في الركوع والسجود»(١).

**٤ ـ تذكّر الموت في الصلاة:**

لقوله ﷺ: «اذكر الموتَ في صلاتك، فإنَّ الرجُل إذا ذكر الموت في صلاته لَحريٌّ أن يُحسِن صلاته، وصلِّ صلاةَ رجُلٍ لا يظنّ أنه يصلي غيرَها»(٢).

وقال ﷺ موصياً أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه لَمّا قال له: «إذا قمتَ في صلاتك فصلِّ صلاةَ مودِّع»(٣).

فحريٌّ بِمن يتذكر الموت في الصلاة أن تكونَ صلاتُه خاشعةً، يتوجّه فيها بكلِّ مشاعره وأحاسيسه إلى هذه الشعيرة العظيمة حتى يكون من المفلحين بإذن الله.

**٥ ـ أن يعلم المصلّي أن الله يجيبه في صلاته:**

قال النبيُّ ﷺ: «قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حَمَدَني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى عليَّ عبدي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله: مَجّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(١) ابن خزيمة، ج١، ص٣٣٣، حديث رقم: ٦٦٦.
(٢) السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ١٤٢١.
(٣) صحيح الجامع، حديث رقم: ٧٤٢.

﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الله: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»[١].

وهذا حديثٌ عظيم جليل القَدر لو استحضره كلّ مصلٍّ لَحَصل له خشوع بالغ، ولَوجد لسورة الفاتحة في نفسه وقلبه أثراً عظيماً؛ لاستشعاره أنّ ربَّه يخاطبه ثم يعطيه سُؤْلَه، فما أجدر المصلي إلى جلال هذه المخاطبة وتقديرها وتعظيمها.

قال رسول الله ﷺ: «إن أحدَكم إذا قام يصلي، فإنما يناجي ربَّه، فلينظر كيف يناجيه»[٢][٣].

«فرحِمَ اللهُ مَن أقبل على صلاته خاشعاً خاضعاً ذليلاً لله عز وجل، خائفاً داعياً، راغباً وجِلاً، مُشفقاً راجياً، وجعل جُلّ اهتمامه وخشوعه لربه سبحانه وتعالى، ومناجاته إياه، وانتصابه قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، وفرّغ لذلك قلبه وثمرة فؤاده، واجتهد في أداء فرضه، فإنه لا يدري هل يصلي صلاةً بعد التي هو فيها أو يعاجل قبل ذلك»[٤]؟

### ٦ ـ الإكثار مِن النوافل:

الإكثار من النوافل سبب يستجلب به العبد محبَّة ربه، ويدلّ على ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «إنّ الله قال: مَن عادَى لي ولياً فقد آذَنْتُه بالحرب، وما تقرّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٣٩٥.

(٢) صحيح الجامع، مرجع سابق، حديث رقم: ١٥٣٨.

(٣) المنجد، ١٤١٧هـ، ص٢٤، بتصرف.

(٤) زمرلي، ١٤١٨هـ، ص١٠٩.

بها، ورِجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأُعيذنّه، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).

فإذا استجلب العبد محبة الله ورِضاه من خلال أداء الفرائض والإكثار من النوافل، فإنه يحظَى بخيري الدنيا والآخرة، ويحصل على ثمرات إيمانية كثيرة، أعظمها ثمرة الخشوع في العبادة وصدق التوجّه إلى الله تبارك وتعالى.

كما أنّ الإكثار من النوافل يجبر النقص في الفريضة. يقول ﷺ: «أفضل صلاة المرء في بيته، إلاّ المكتوبة»(٢).

فصلاة النافلة أمرها عظيم، وهي من أسباب تحقيق الخشوع في الصلاة، فكما أنّ مؤدّيها له الأجر العظيم فإنها تكمل النقصان من أعمال الفرائض والواجبات. فعن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن أكملها كتبت له نافلة، فإن لم يكن أكملها يقول الله سبحانه لِملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي مِن تطوّع؟ فأكملوا بها ما ضيّع من فريضته. ثم تؤخَذ الأعمال على حسب ذلك»(٣).

«فعلى المصلي إذا أراد تحقيق الخشوع في صلاته أن يختار لنوافله الأماكن المناسبة في المنزل التي تبعد عن الضجيج والصوارف والشواغل حتى يتحقق له بإذن الله الصفاء النفسي والإشراق الروحي، والتألُّق الذهني، فتذكر الله في تلك الخلوة، فتفيض عيناك، بعيداً عن أعين الناس، وربما أنّ من حِكم ترغيب المرء الصلاة في بيته دون المكتوبة لتحقيق هذا الجوّ من

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ١٢٤٨.
(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٨٧١.
(٣) رواه ابن ماجه، ج١، حديث رقم: ١٤٢٦.

الصفاء والخلوة الذي يحقق له الخشوع، وهناك حِكم أخرى كثيرة لهذا الهدي النبوي الكريم الذي يحث على تفضيل صلاة النافلة في المنزل، فالصلاة في المنزل لها فوائد كثيرة، ولا يتّسع المجال لِحصرها، ولكن من أهمّها: تحقيق الإخلاص الصادق بعيداً عن الرياء. وقبيحٌ بالمرء أن يتظاهر بالخشوع أمام الناس، ثم إذا صلى وحيداً تعجَّل في الصلاة ونقرها سريعاً. بل إنّ كثيراً من الصالِحين كانوا يخفون أعمالهم الصالحة وصلاة النافلة عن أعين الناس خوفاً من الرياء»[١].

وأداء السنن الرواتب القبلية يوقظ القلب المؤمن ويهيِّئه للخشوع، وأداء الرواتب البعدية يمكّن المعاني الكريمة التي اكتسبها المصلي، وثوابُها عظيمٌ جداً، وهو بيت في الجنة؛ للحديث الذي رواه مسلم عن أمِّ حبيبة رضي الله عنها قولها: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن صلى اثنتي عشرة ركعة تطوّعاً غير فريضة في يومٍ وليلة بُني له بهنّ بيتٌ في الجنة»[٢]، وعند الترمذي[٣] وفيه زيادة: «... أربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الغداة».

والقلب الذي يتصل بالله تعالى في أوقات متقاربة هو مُهيأ لاستحضار الخشوع أكثر من القلب الذي يمضي عليه وقت طويل دون صلاة، لا سيما في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه مشاغل الدنيا، وطغت شهواتها وتنوّعت، وانتشرت أساليب الغواية، فلا سبيل للتغلّب عليها إلا بالاستعانة بالله تعالى ثم بكثرة أداء النوافل بخشوع وطمأنينة. فقد كان ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ قال لبلال: «يا بلال، أرِحنا بالصلاة»[٤].

---

(١) الصباغ، ١٤١٩هـ، ص٣٢، ٣٣، بتصرف.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٧٢٨.

(٣) برقم: ٤١٤.

(٤) رواه أبو داود، حديث رقم: ٤٩٨٥.

**٧ ـ من الوسائل المعينة على الخشوع: الابتعاد عن كلِّ ما يشغل في الصلاة:**

ومن هذه الأمور:

أ ـ الصلاة بحضرة طعام؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «لا يصلينَّ أحدُكم يحضره الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان»[١].

في هذا الحديث «كراهية الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله؛ لِما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين، وهما: البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع»[٢].

ب ـ الصلاة في وقت الحرّ الشديد؛ لقوله ﷺ: «إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا عن الصلاة، فإنّ شدة الحرّ من فَيح جهنم»[٣].

«والحِكمة فيه دفع المشقة؛ لكونها تسلب الخشوع»[٤].

جـ ـ النظر إلى ما يلهيه، مِن ثوب، أو صورة معلقة أمامه، أو سجّاد فيه نقوش. وغير ذلك. فقد أمر النبيُّ ﷺ ـ وهو سيد الخاشعين ـ عائشةَ رضي الله عنها بإزالة ما يشغل عن الصلاة، فقال لها ﷺ: «أميطي عنّا قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»[٥].

وصلى النبي ﷺ في خَميصة[٦] لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرف قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم، وائتوني

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٥٦٠.
(٢) النووي، ١٤١٤هـ، ج٥، ص٤٦.
(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٣٣.
(٤) العسقلاني، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص١٦، ١٧.
(٥) رواه البخاري، مرجع سابق، حديث رقم: ٣٧٤.
(٦) الخميصة: كساء مربع من صوف. زمرلي، ١٤١٨هـ، ص٩٥، بتصرف.

بأنبجانية[١]، فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي»[٢].

ففي الحديث «دليل على كراهية ما يشغل عن الصلاة من النقوش ونحوها مما يشغل القلب، وفيه مبادرته ﷺ إلى صيانة الصلاة عما يلهي وإزالة ما يشغل عن الإقبال عليها، وفيه إيذان بأن للصور والأشياء الظاهرة تأثيراً في القلوب الطاهرة والنفوس الزكية فضلاً عما دونها. وفيه كراهة الصلاة على المفارش والسجاد المزخرف والمنقوش، وكراهة زخرفة المساجد ونحو ذلك.

وقوله ﷺ: «شغلتني أعلام هذه» معناه اشتغال القلب بها عن كمال الحضور في الصلاة، وتدبّر أذكارها وتلاوتها ومقاصدها عن الانقياد والخضوع»[٣].

د ـ الابتعاد عن التفاوت القلب والجوارح.

وقد سُئل النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»[٤]. وذلك لأنّ «عدم الالتفات بالنظر يميناً وشِمالاً، وقصر البصر على موضع السجود من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته»[٥].

ولا يزال الله تعالى مُقبِلاً على عبده ما دام العبد مُقبلاً على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو ببصره أعرضَ اللهِ تعالى عنه؛ لقوله ﷺ: «... وإنّ الله أمركم بالصلاة، فإذا صلّيتم فلا تلتفتوا، فإنّ الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت»[٦].

---

(١) الأنبجانية: كساء غليظ لا عَلم فيه.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٧٣.

(٣) زمرلي، ١٤١٨هـ، ص٩٥-١٠٠، بتصرف.

(٤) الترمذي، حديث رقم: ٥٨٩.

(٥) الحنبلي، ١٤٠٨هـ، ص٢٤.

(٦) رواه الترمذي، مرجع سابق، حديث رقم: ٢٨٦٣.

والالتفات المنهي عنه في الصلاة قِسمان:

الأول: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره؛ فيسرح ويمرح بتفكيره وهواجسه في أودية الدنيا.

والثاني: التفات البصر، وكِلاهما منهيّ عنه.

فلا يستوي المصلي المقبل على ربّه في صلاته وقلبه حاضر يستشعر عظمة مَن يناجي؛ فامتلأ قلبه من هيبته، وذلّت جوارحه لربه، واستحى أن يُقبل على غيره أو يلتفت عنه، لا يستوي والذي أكثرَ من العبث في صلاته، وصالَ وجال بفكره وكثُرت حركاته وجالَ بصره هنا وهناك، فهؤلاء كما قال بعض السلَف: إن الرجُلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وإنّ ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض. فالذي ينصرف في صلاته يكون مُقبِلاً على الله وبينه وبين ربّه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغولة بها، ملأى منها، فيكون ذلك إقبالاً وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب.

ولكي يحقق المصلي الخشوع والإخبات والاطمئنان في صلاته بعيداً عن الصوارف لا بدّ من تجنّب الصلاة في أماكن الصخب والإزعاج، كالتلفاز، والمذياع. أو أيِّ أداة من أدوات اللهو، أو وجود عابثين يلهون ويضحكون، أو يكون المكان مصدر قلق للمصلي، فينصرف عن الخشوع. وكذلك يحرص المصلي على أن يقف بين يدي ربه في أحسن صورة، كالتي يرضاها عن نفسه عندما يَهمّ للذهاب إلى مقابلة ذوي الجاه والسلطان. يقول تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

**٨ ـ ومن الوسائل المعينة على الخشوع: تحرِّي الأكل الحلال، والمال والكسب الحلال:**

عندما يتحرى العبدُ الأكلَ الحلال والمال الحلال فإنه يكون مُراقباً لله تعالى خائفاً من نقمته، فيكون من ثمرته أنه يرقق القلب، ويجلب الخشية،

ويقرب العبد من ربه، ويجعله مُجاب الدعوة. وكل ذلك سبب قوي لتحقيق الخشوع في الصلاة.

يقول ﷺ: «إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّباً، وإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجُل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يقول: يا ربّ يا ربّ، ومطعمُهُ حرام ومشربُهُ حرام، وغُذّي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك»[١]؟!

ففي هذا الحديث «إشارة إلى أنه لا يُقبل العمل ولا يزكو إلا بأكلِ الحلال، وأنّ أكل الحرام يُفسد العمل ويمنع قبوله. وكما تقدم في الآية الكريمة فإنّ الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح، فما دام الأكل حلالاً فالعمل الصالح مقبول»[٢].

فالحرص على تحري الأكل الحلال والكسب الحلال يؤدي إلى صلاح العمل وخشية الله تعالى، وخشية الله تعالى تؤدي إلى الخشوع بعكس آكل المال الحرام، فإنه لا يعظّم شعائر الله، ولا يأبه بها، وقد أسكرته الدنيا بهمومها، فأنّى له أن يخشع قلبه لربه وهو على تلك الحال؟!

**٩ ـ من الوسائل المعينة على الخشوع: الانكسار بين يدي الله والتواضع، والحذر من العُجب والرياء:**

تناولت هذه الدراسة في فصل سابق أمثلة تطبيقية للخشوع في حياة النبي ﷺ وبعض الصحابة رضي الله عنهم، واتّضح من خلالها شدّة تواضعه ﷺ بين يدي ربه سبحانه وتعالى وانكساره وتذلّله بين يديه راغباً وخائفاً

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٠١٥.

(٢) الحنبلي، ١٤١٥هـ، ص٢٥٥، بتصرف.

ومستغفراً ﷺ. وكذلك حال الصحابة رضي الله عنهم، والتأمل في حال السلَف وما كانوا عليه من خشية وخشوع.

فعندما يعترف العبد بالتقصير وبنعم الله تعالى العظيمة عليه، ويتواضع لله راجياً رحمته، خائفاً من عقابه، نادماً على تفريطه، عازماً على طاعة ربّه ومرضاته، يكون قريباً من تحقيق الخشوع في صلاته، ويكون محروماً منه إذا تكبّر ولم يخضع لله، وأخذَته العزّة بالإثم، ولم يذلّ لعظمة الله تبارك وتعالى.

**١٠ـ ومما يساعد على الخشوع: الصلاة إلى سُترة والدّنُوّ منها، والنظر إلى موضع السجود:**

مِن الأفضل للمصلي أن يعمد إلى سُترة، فإن كان في مسجد أو بيت صلى إلى الحائط أو إلى سارية، وإن كان في فضاءٍ صلى إلى شيء شاخصٍ بين يديه، مثل العصا أو ما شابهها، أو يعرض البعير فيصلي إليه.

ولتحقيق الخشوع بإذن الله، عليه أن يدنو منها؛ ليصون صلاته، وأبعد مِن أن يَمرّ بينه وبينها شيء؛ لقوله ﷺ: «إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدنُ منها، لا يقطع الشيطان عليه صلاتَه»[١].

«وكان النبي ﷺ إذا صلى طَأْطأَ رأسَه، ورمَى ببصره نحو الأرض. ولَمّا دخل الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها»[٢].

ونُقل عن السلَف «أنهم كانوا يستحبّون أن ينظر الرجلُ في صلاته إلى موضع سجوده»[٣].

---

(١) رواه أبو داود، حديث رقم: ٦٩٥.

(٢) الألباني، ١٤١١هـ، ص٨٩.

(٣) المروزي، ١٤٠٦هـ، ج١، ص١٩٢.

**١١ـ من الوسائل المعينة على الخشوع في الصلاة: الانتهاء عن الفحشاء والمنكر:**

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أنّ العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقلّ أو تنعدم رغبته في الشرّ. فالمحافظة عليها وتعظيم قدرها على هذا الوجه يُفضي إلى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، وهذا من أعظم مقاصد الصلاة، فإذا استشعر العبد المصلي أهمية هذه الثمرة الإيمانية العظيمة انتهى، وعزم على هجر كل ما يغضب الله تعالى، وانتصب في صلاته، وعلم أنها من أعظم الفرائض بعد الشهادتين، فيجلّها ويعظّمها؛ لأنّ لها من السِّمات والمميزات ما ليس في غيرها في العبادات.

**١٢ـ من الوسائل المعينة على الخشوع: مجاهدة وسواس الشيطان:**

والوساوس التي تشوّش على القلب خشوعَه، إما أن تتسلط على القلب قبل الدخول في الصلاة، فيأتي المصلّي إلى صلاته وهي معه ويدخلها وهو مشغول بها، وإما أن تطرأ عليه داخل الصلاة فتشغله عنها.

وهناك وسيلتان لدفع كِلا النوعَين، هما:

**الوسلة الأولى:** فمما يدخل في الوسيلة الأولى ما يلي:

أ ـ أن يبعد عن كل ما سيشغله إذا دخل في الصلاة، سمعيّاً كان أم بصرياً.

ب ـ أن يقدِّم الطعام على الصلاة إن كان جائعاً ـ كما قدمّنا بنصّ الحديث ـ.

جـ ـ أن يقدّم الاستراحة على الصلاة عند غلبة النوم أو التعب؛ لقوله ﷺ: «إذا نعس أحدكم في الصلاة، فلْيرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنه إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسبّ نفسه»[1].

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٧٨٦.

وليست تلك ذريعة لتأخير الصلاة والتساهل في المحافظة عليها وأدائها في وقتها، أو تكرار تعمّد النوم عند حلول وقتها، وإنما يحمل ذلك على الظروف القاهرة، وصلاة الليل أو التهجد.

د ـ أن يقضي الأشغال والحاجات التي يعلم أنها ستشغله في الصلاة إن استطاع قبل حلول موعدها.

**الوسيلة الثانية**: وهذه الوسيلة تعتمد على أسلوب الإقبال على الصلاة، وجمع القلب عليها لإغلاق المنافذ في وجه الشواغل والوساوس الأخرى. وهي تحتاج إلى تدريب الذهن على إيقاف التفكير في كلِّ ما هو خارج أعمال الصلاة وأقوالها، ويستعين بعد عون الله تعالى بما يلي:

أنّ كل ما يشغل المصلي ويذهب بحضوره وخشوعه إما أمر مضى، فالتفكّر فيه لا يلزم بالضرورة هذه الساعة، وإما أمر يأتي، فلا يمكن فِعله إلا بعد الصلاة، فإذا وعى المصلي هذه القاعدة وعَلِم أنّ ما يشغله في الصلاة إما أمر مضى أو أمر يأتي، وكِلاهما يقبل التأجيل؛ لأنّ ما لا يقبل التأجيل يدخل في الوسيلة الأولى، بأنْ جعل الصلاة وسيلة إلى مناجاة الله تعالى، يبدؤه بالتكبير ويعود منه بالتسليم، ذلك لأنّ الصلاة أكبر من كلِّ شيءٍ آخر؛ لأنّ فيها ذكر الله تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

من أجلِ ذلك تستحقّ أن يفرّغ لها الجسم والعقل، ولا يشتغل بغير أعمالها. وهناك مثبطات للخشوع كثيرة، منها أسباب جسمية، كالتعب والإرهاق، وأسباب طبيعية كالبرد أو الحرّ، وأسباب اجتماعية مثل المشاكل التي تَحْدُث للإنسان في حياته اليومية.

وقد تمضي الصلاة بكاملها في استعراض أمورٍ زائدة أو أخبار أو مشاكل لا صِلة للمصلّي بها لولا فضوله، كما قد تذهب صلاة أخرى في تدبير أمور دنيوية لا حاجة إليها إطلاقاً، وفي هذا الموطن يبدو الخشوع في الصلاة

وكثرة شرود الذهن والوسوسة مرتبطة إلى حدٍّ كبير بالحياة التي يحياها المسلم في يومه كلِّه، فعليه أن يستعين على خشوعه بشيء من الزهد والتطلع إلى الدار الآخرة، والبُعد عن فضول الدنيا، حتى لا تتكالب عليه المشاغل والوساوس، فيصبح بعضها آخذٌ بركاب بعض.

وهناك أسباب نفسية، كالقلق، والاكتئاب، والخوف، والحزن، والوسواس. والوسواس أحد الأمور المهمّة التي يشكو منها كثير من المصلّين في صلاتهم، فإذا تعلَّقت الوسوسة بشيء شرعي فسببها شيطان، وعلى العبد مجاهدة عدوّه وبذل الأسباب للتخلص من هذا الجانب الخطير. وفي وسواس الصلاة خاصة جاء حديث يبيّن كيفية دفعه ومقاومته، فقد روَى مسلم عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال: (يا رسول الله، إنّ الشيطان قد حالَ بيني وبين صلاتي وقِراءتي يلبسها عليّ، فقال له رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يُقال له: (خِنْزَبٌ)، فإذا أحسَسْتَهُ فتعوّذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثاً»، قال: ففعلتُ، فأذهبَه الله عني)[١].

وقد تحدّث العلماء عن رخصة المبتلى بالوسواس، فإذا حصل للمصلي الشكّ في وضوئه أو صلاته، فإنه يبني على ما استيقن، ويتمّ وضوءه أو صلاته، أما إذا تواتر الشكّ وأفضى إلى وسوسة ملازمة، فإنه لا يلتفت إليه؛ لأنّه بصدد مقاومة مرض، ولو استجابَ لهذه الوسوسة كل مرّة لَزادت، فربّما أعاد الصلاة مرّات عديدة، فعليه أن يبني على اليقين. فقد شُكي إلى رسول الله ﷺ الرجُل يُخيّل إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[٢].

وليعلم المصلي أنه في جهاد عظيم مع عدوّه، ولا سيما في أمور العبادات، كالصلاة على وجه الخصوص. فقد بلغ الحدّ بهذا العدوّ أنه

(١) رواه مسلم، كتاب: الطب، حديث رقم (٢٢٠٣).

(٢) المرجع السابق، كتاب: الطهارة، حديث رقم (٣٦١).

يلبّس على المؤمن طهارته لعبثه بشعرة دبره؛ لقوله ﷺ: «إنّ الشيطان يأتي أحدَكم وهو في الصلاة فيأخذ بشعرة من دبره فيمدّها، فيرى أنه قد أحدث. فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً»[١].

والعلاج الإيماني والتربوي الناجع لوسوسة الشيطان يتلخص في كلمتين: كثرة الذِّكر، والمخالفة. فذِكر الله تعالى ومخالفة عدوّه من أهمّ الأسباب لزوال الوسواس، فذِكر الله تعالى يطرد الشيطان عنه، ومخالفتهم له تجعله يائساً منهم.

ويدخل في الذِّكرِ أمران:

أ ـ الاستعاذة بالله من هذا الوسواس؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ... ﴾ الآية [الأعراف: ٢٠٠].

ب ـ كثرة الاستغفار: فإنّ ما يصيب العبد من بلاءٍ فبأعماله، ولا يتسلط عليه الشيطان بهذه الوسوسة إلا لنقص في عبوديته لربه، فليجعل من هذه الوسوسة سبباً للاستغفار والتوبة. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وأما المخالفة فتعني لزوم الشرع ونبذ ما جاء بخلافه من الوساوس والخَطرات، وإن مما جاءت به الشريعة: التيسير ورفع الحرج، والتجاوز عن الخطأ والنسيان وما أُكره عليه المسلم، والوساوس التي تعتري المصلي في صلاته لا تعدو أن تكون أحد هذه الثلاثة. فمَن أراد التخلص من هذه البليّة فليستشعر أنّ الحق في اتّباع رسول الله ﷺ في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقته عزيمة مَن لا يشكّ أنه على الصراط المستقيم[٢].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب: الصلاة.

(٢) توفيق، ١٤١١هـ، ص٥٠-٦٠، باختصار.

**١٣ـ استحضار المغنم والمغرم في الصلاة:**

وإذا كان قد مضى شيء من المغرم لِمَن ضيّع صلاته ولم يخشع فيها، يكفي منها أنها لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر في الدنيا، وتكون في الآخرة سبباً لردّ أعماله الأخرى، وغير ذلك من المغارم. أما الصلاة الخاشعة فلها مغانم كثيرة، ومنها: مغفرة الذنوب.. وغير ذلك من المكاسب العظيمة.

**بعض المبادىء والتطبيقات التربوية المستنبطة من الخشوع في العبادة:**

تبيّن من خلال ما تقدّم من دراسة وبحث حول هذا الموضوع المهمّ ـ وهو الخشوع ـ أنه مطلب تربوي جدير بالتوضيح والبيان ومدى ارتباطه بالمؤسسات التربوية على وجه الخصوص، حتى يمكن بلورة تصور تربوي يسهم في تنمية العمل الجادّ المثمر، ولذلك ـ ومن خلال ما تعرضه هذه الدراسة ومما تطرقت إليه ـ فإنّ قضية الخشوع تظلّ مرتبطة بكلٍّ جوانب الحياة الإيمانية الصادقة بصِفة عامّة، وبجوانب العملية التربوية بصفة خاصة، حتى يمكن صياغة أهداف ورؤى تربوية تشمل التخطيط والتدريب والإعداد وفق هذا المبدأ التربوي المهمّ، ألاَ وهو الخشوع وآثاره. وفيما يلي بعض الدلائل التربوية المستنبطة من الخشوع في العبادة وفي الصلاة، وهي على النحو التالي:

**١ ـ إحياء العمل:**

«من المبادئ التربوية للخشوع في العبادة: أنه دعوة صريحة للعمل الجادّ المثمر الذي يشحذ الهمم نحو العمل الدؤوب المدروس بدِقّة. فالصلاة الخاشعة التي يريدها الإسلام تَمُدّ المؤمن بقبسات إيمانية تعينه على نوائب الدهر ومتاعب الحياة، ففي الصلاة الخاشعة يُفضي المؤمن إلى ربه من منطلق إيماني صادق، فيشكو إليه بثّه وحزنه، والعبد مفتقر إلى الهداية والعون من الله تعالى في كلٍّ نبضة قلب وفي كلٍّ نَفَس، ومفتقر إلى مزيد العِلْم بالهدى على الدوام، وعندما يشعر المرء المؤمن بذلك فإنه يستعين

بالله تعالى كلِّ حال وفي جميع أموره صغيرها وكبيرها، دِقّها وجلّها، فيتحقق في أعماقه العمل الإيماني الجادّ المثمر، فهو يسأل ربّه في كلِّ صلاة أن يهديه للصراط المستقيم، ويسأل ربّه العون والهداية.

والهداية هي: البيان والدلالة والتوفيق للخير، فإذا تحقق له ذلك حبّب الله تعالى له الإيمان وزيّنه في قلبه، فيسير في حياته يقظ الإيمان، راغباً في كلِّ عملٍ إيماني ينبض بالفلاح والخير في الدنيا والآخرة»[١].

**٢ ـ ترغيب العبادة في قلب المسلم:**

«من الثمرات الإيمانية للخشوع: أنه يزيد المؤمن حُبّاً واشتياقاً لفعل الطاعات ـ ولا سيما الصلاة ـ حتى تصبح أحبَّ شيء إلى قلبه، فهو إذا انصرف منها وجد خفّةً من نفسه، وأحسَّ بأثقالٍ قد وُضعت عنه، فوجد نشاطاً وراحةً وروحاً، حتى يتمنى أن لم يكن خرج منها؛ لأنّها قرّة عينيه، ونعيم روحه، وجنّة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن ضيّق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها. فالمحبوبون يقولون: نصلي فنستريح، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيّهم ﷺ: «يا بلال، أرِحنا بالصلاة»[٢]. وقال ﷺ: «جُعِلت قُرّة عيني في الصلاة»[٣].

فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرّة عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان حتى يستقبل بها الرحمٰن عز وجل»[٤].

«ومن أثر الخشوع أنه يجعل العبد المؤمن يحبّ ما أحبه الله تعالى وما أَمر به من واجبات، بل تتعدّى إلى محبة أمثالها من الواجبات والطاعات، وكراهة ما كرهه الله تعالى من المحرّمات واجتنابها. وكذلك تفضي به إلى

(١) زمرلي، ١٤١٨هـ، ص١١٧-١١٩، بتصرف.

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم: ٤٩٨٥.

(٣) رواه أحمد، حديث رقم: ١٢٨٣.

(٤) الجوزية، ١٤١٦هـ، ص٤٧.

محبة المستحبات؛ فيتقرّب إلى الله بالنوافل، وإيثار ما يحبّه الله ويرضاه على ما تشتهيه النفس وتهواه، فإذا تمكنت المحبة في القلب وامتلأ القلب منها، أخرجت من القلب محبة كل ما يكرهه الله، فلم يَبقَ في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه، فلم تنبعث الجوارح إلاّ إلى الطاعات التي تقتضي التقرّب إلى الله، وصارت النفس حينئذٍ مطمئنّة، راغبة ومحبّة لله تعالى»[(١)].

**٣ ـ أنه يزيل الهمّ عن القلب، ويشرح الصدر:**

وذلك لأنّ القلب أصبح مطمئناً بذكر الله، فعند ذلك يبعث على سكينة النفس، ويزيل عنها الاضطراب، فتستقيم، وتُحسن الاختيار، وتنطلق نحو العمل النافع الذي يحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة.

**٤ ـ أنه يهذّب النفس ويطهّرها من سوء الخُلق والكِبر ومن سوء الطَّويّة، ويورثها التواضع للحقِّ والخَلق، ويخلِّصها من الكبر ومن العُجب بالنفس:**

«والتواضع على ضربين: أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله، ولا حول له ولا قوة، ويعتقد اعتقاداً قلبياً جازماً أنّ الله تعالى هو المتفضّل عليه بمنّه وكرمه. والآخَر: هو ازدراء المرء نفسَه عند ذِكره ما قارف مِن الآثام، حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسَه دونه في الطاعات. قال تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال مجاهد: متواضعين، ويكون كذلك متواضعاً لِما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان بكل صدق وإيمان. وهذا من أعظم ثمرات الخشوع وفوائده التربوية»[(٢)].

---

(١) الحنبلي، ١٤١١هـ، ص٦٢.

(٢) الهلالي، ١٤١٠هـ، ص١١، ١٢، بتصرف.

**٥ ـ أنه يزداد به الإيمان، ويلين القلب، ويورث الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، ويبعث في القلب محبّة الخير والرغبة فيه، وكراهية الشرّ والنفور منه:**

والحسنة تستدعي مثلها وتحضّ عليها، وبه تكون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ـ كما تقدّم بيانه في أسباب الخشوع ـ، فكلما ازداد الخشوع فيها كانت عاملاً مؤثراً لكبح جِماح النفس الأمّارة بالسوء[١].

**٦ ـ أنه يفتح على المؤمن الخاشع باب الفهم والاستنباط وإبصار الحقّ حقاً واتّباعه، ومعرفة الباطل واجتنابه:**

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وذلك أنّ الخشوع يحمله على الإخلاص والتجرّد في الفهم، فيتجرّد من هوى النفس وميولها الذاتية، ويستشعر حقائق الخطاب من الله تعالى لعباده، فيفتح له باب الفهم المراد من كلام الله تعالى على حقيقته[٢].

**٧ ـ المسارعة إلى الإذعان للحقّ والدعـوة إليه:** وذلك ببذل غايـة الوسع في التعليم والدعوة والتربية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتضح هذا في سيرة سلَفنا الصالح وجيل الصحابة رضي الله عنهم، ومدى تلبيتهم لشعائر دين الله عندما تعلَّموها وفقهوا مرادها. وحاز الصحابة والسلَف الصالح على تلك السِّمات الإيمانية بفضل الله ثم بخضوعهم وإذعانهم لطاعة الله، مستشعريـن عظمتها وثوابها بكلِّ إخبـاتٍ وخشوع.

---

(١) أبو عريش، ١٤١٩هـ، ص٥٦، ٥٧، بتصرف.

(٢) أبو عريش، ١٤١٩هـ، ص٥٧، بتصرف.

٨ ـ **تحقيق التكامل بين الجانب النظري والجانب العملي في حياة الشابّ المسلم**: وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى عندما امتدح الخاشعين في كتابه، ووصفهم بأنهم من المفلحين بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، فهم علِموا وعَمِلوا؛ «لأنّ العِلْم إذا عُرف استدل به صاحبه على الحقّ، فيعمل بِما علم. ومبدأ ارتباط القول بالعمل مبدأ تربوي راسخ في نفوس علماء الأمة وعامّتها منذُ عهد الرسول ﷺ، ولذلك فإنّ سعادة الأمّة في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلا بتحقيق التكامل بين القول والعمل، ولا شكّ أنّ اليد الطولى لتحقيق ذلك تكمن في ترسيخ الخشوع في القلوب المؤمنة»[١].

٩ ـ **أنه سببٌ لاستجابة الدعاء**:

فالخشوع تربية إيمانية على الخضوع والذلّ لله تبارك وتعالى، والدعاء الصادق الذي يُرجى له الإجابة لا ينطلق إلا من قلبٍ خاشع ذليل عرف معنى العبودية الحقّة، وهذا مِن أَجلِّ ما تُربَّى عليه قلوب الناشئة من المؤمنين ليكونوا أعضاء فاعلين في مجتمعهم.

١٠ـ **أنه يطهر النفس من هواها، ويحملها على الإخلاص في العبادة لله تعالى**: ويتعدَّى ذلك إلى جميع سلوكه في حياته، فهو يطهرها من التملّق والنفاق، وتتولَّد لديه (الرقابة الذاتية) فتتربَّى النفس المؤمنة على الإخلاص والصدق وطهارة الباطن؛ «لأنّ الخاشعين نظروا في المعنى الحقيقي للإخلاص، فوجدوا أنّه لا بدَّ بأن تكون حركته وسكونه في سرّهِ وعلانيته لله تعالى، لا يمازجه نفسٌ ولا هوى ولا دنيا»[٢].

---

(١) عبد البرّ، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٣، ٣٤، بتصرف.

(٢) أبو عريش، ١٤١٩هـ، ص٦٠، بتصرف.

## المحور الخامس: بعض أنواع الخشوع غير السوي

عَرضَت هذه الدراسة فيما سبق من فصول ومباحث بعضاً من الجوانب الإيمانية المشرقة لهذا المسلك الإيماني العظيم الذي يُعدّ مطلباً تربوياً مهمّاً. وحاولَ الباحث ـ وبقدر استطاعته وجهده ـ تكوين بعض الملامح التربوية المتعلّقة بهذا المبدأ التربوي والإيماني، وإبراز تأثيره القوي على السلوك والجوارح، وترويض النفس المؤمنة على الطاعات، وتربيتها على الفضائل الإيمانية الحسنة المستمدّة من كتاب الله تعالى وهدي نبيِّه ﷺ، وعندما عمل جيل الصحابة والتابعين بِما في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ قولاً وفعلاً واعتقاداً، واستشعروا عظمة الأمانة والتكليف وعاقبة المسيئين، خضعوا لأمر ربهم، وأطاعوا أمره، وذلّت رِقابهم، وخشعت قلوبهم رغَباً ورهباً، وامتلأت بكلّ معاني العبودية الصادقة الحقّة لله ربِّ العالمين، وعندما يكون مصدر الخشوع من غير هذين الأصلين: كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ، فهو كعدمه وإنْ خضع صاحبُه وخشع وبكى. وهذا ما سُمِّي في هذا المبحث بالخشوع السلبي.

وفيما يلي يستعرض هذا المحور بعضاً من المظاهر السلبية للخشوع وأثرها على السلوك والجوارح، حيث يناقش هذا المحور الجانبَين التاليين:

١ ـ ما المقصود بخشوع النفاق؟

٢ ـ لِماذا يخشع ويتأثر أصحاب العقائد الباطلة؟

وسنتحدّث عن كل جانب بشيءٍ من التوضيح على النحو التالي:

### أولاً: ما المقصود بخشوع النفاق؟

إذا كان الخشوع في الصلاة مطلوباً وواجباً من واجباتها، ويُعدّ الروح الإيمانية المتَّقدة بين جوانح النفس الإيمانية التي تتوق إلى صدق التعلّق بالله والإخلاص له تعالى قولاً وفعلاً واعتقاداً، فإنّ هناك نوعاً آخر من الخشوع

حذّر منه السلَف الصالح وأنذروا منه، وسَمّوه خشوع النفاق. وقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (تعوّذوا بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع)[١].

ونظرَ عمر رضي الله عنه إلى شابّ نكّس رأسَه، فقال له: يا هذا، ارفع رأسك، فإنّ الخشوع لا يزيد على ما في القلب، فمن أظهرَ خشوعاً على ما في قلبه فإنما هو نفاق على نفاق.

«وأول ما يُرفع من الناس الخشوع، أي: خشوع الإيمان الذي هو روح العبادة. وهو الخوف أو السكون، أو معنى يقوم في النفس يظهر عند سكون الأطراف يلائم مقصود العبادة.

قالت عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يحدّثنا ونحدّثه، فإذا حضرت الصلاة، فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه، وخرج بخشوع الإيمان)[٢].

والفرق واضح بين خشوع الإيمان، خشوع النفاق.

**فالأول**: خشوع القلب لله بالإجلال والوقار والمهابة والحياء.

**والثاني**: خشوع النفاق، وصفته أنه يبدو على الجوارح تصنّعاً وتكلّفاً، والقلبُ غيرُ خاشع.

وأوّل شيء يُرفع من هذه الأمّة المحمدية: الخشوع، حتى لا ترى خاشعاً خشوع إيمان، بل ترى خشوع تماوت ونفاق، فيصير الواحد منهم ساكن الجوارح تصنّعاً ورياءً، ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وإرادات، فهو يخشع في الظاهر، وأسد الغابة رابضٌ بين جنبيه ينتظر الفريسة.

---

(١) البيهقي، حديث رقم: ٦٩٦٦.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج٦، ص٤٩، حديث رقم: ٢٤٢٧٢.

ولقد كان من دعائه ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذ بكَ من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومِن دعوة لا يُستجاب لها»[(١)]، [(٢)].

وبذلك يتضح المراد بخشوع النفاق، وأنه لا ينفع صاحبه بشيء؛ لأنّه يفتقد لأهمّ الشروط، ألا وهو الإخلاص وصدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي أصبح الخاشع المنافق بعيداً عن روح الخشوع، وإنْ تظاهرَ بذلك، «ورُبَّ مُصَلٍّ لا خيرَ فيه، أي: لكونه غافلاً لاهي القلب، وليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها. وقد قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، فظاهر الأمر الوجوب، والغفلة ضده، فمن غفل في جميع صلاته لا يكون مقيما لذكره تعالى، فلا خلاق له عنده»[(٣)]، وذلك لأنّ خشوع النفاق يبدو ـ كما ذكرنا ـ على الجوارح تصنّعاً وتكلّفاً والقلبُ غيرُ خاشع. وكان بعض الصحابة يتعوّذ من خشوع النفاق؛ لخطورته العظيمة؛ لأنّه بعكس الخاشع لله، فهو عبدٌ قد خمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره، فانجلى الصدرُ وأشرق فيه نور العظمة، فماتت شهوات النفس؛ للخوف والوقار الذي غمره، وخمدت جوارحه، وتوقّر القلب، واطمأن إلى ذِكر الله، وبالسكينة التي نزلت عليه من ربه، فصارَ مخبتاً.

كما أن خشوع النفاق يؤدي إلى عدم التدبر والاطمئنان، وإن تظاهر صاحبه بذلك. بل يستحيل حصول الخشوع الإيماني الصادق مع وجود ذلك الخشوع، لا ينفع قلب صاحبه بشيء، بل يؤدي خشوع النفاق إلى عواقب وَخيمة تناقض حقيقة الإيمان ومقتضياته، وهي أن يكون صاحبه متّصفاً

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٨٤٤.

(٢) المناوي، ١٣٥٦هـ، ص٨٨، بتصرف.

(٣) المناوي، مرجع سابق، ص٨٨، بتصرف.

بِصفات المنافقين، ولا سيّما في حال صلاتهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

«والمعنى: فهُم إذا قاموا إلى الصلاة التي هي من الفرائض الظاهرة، قاموا كُسالى إليها رياءً للمؤمنين؛ ليحسبونهم منهم وليسوا منهم؛ لأنّهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى. قال قتادة: (واللهِ لولا الناس ما صلَّى)»[١].

**ثانياً: من مظاهر الخشوع غير السوي: تباكي وخشوع مَن لديهم انحراف في العقيدة، الأسباب.. النتائج.**

قبل الشروع في استعراض هذا المبحث المهمّ لا بدّ من وقفة متأنية يحذوها الإيمان وصدق اليقين والإخلاص، وملؤها الشكر والحمد والثناء لواهب النعم والفضل بأنْ جعلَنا أصحاب عقيدة نقية طاهرة بعيدة عن الغلوّ والجهل والانحراف والهوى. فعلى المؤمن الخاشع المنيب أن يحمد الله تعالى حمداً كثيراً، وأن يشكره في كلِّ حين على نعمة الإيمان وسلامة المعتقد في جميع أمور حياته وعبادته، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ..﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وعليه أن يكونَ رقيباً على نفسه، فكلما اشتدّت هذه المراقبة أوجبت له من الحياء والسكينة والمحبة والخضوع والخشوع والخوف والرجاء ما لا يحصل بدونها، فالمراقبة أساس الأعمال القلبية كلّها، وعمودها الذي قيامها به. ولقد جمع النبي ﷺ أصول أعمال القلب وفروعها كلّها في كلمة واحدة، وهي قوله في الإحسان: «أن تعبُدَ الله كأنك تراه»[٢].

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٣٣٤.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٠.

«والمقصود أنّ العبد محتاج إلى السكينة عند الوساوس المعترضة في أصل الإيمان؛ ليثبت قلبه ولا يزيغ، وعند الوساوس والخطرات القادحة في أعمال الإيمان؛ لئلا تقوى وتصير هموماً وغموماً وإرادات، بل ورغبات وفضول وشُبهات عقدية ينقص بها الإيمان أو ينتفي. والعبد محتاج إلى السكينة ليثبت قلبه ويسكن جأشه»[١].

مما سبق يتبين لنا أهمية الصدق مع الله تعالى ومراقبته في جلب السكينة والطمأنينة، «وسبب قوي للتصدي للفتن والشُّبُهات. وهذه الثمرة العظيمة هي محك اليقين والإيمان الحقّ»[٢].

وعلى العكس مما ذكرنا فإن أصحاب الأهواء هم أصحاب الإرادات الباطلة، وعندما يتباكَون في معتقداتهم الباطلة أو يخشعون فيها ويخبتون، إنما يكون ذلك خداعاً من الشيطان يحرّض عليه أتباعه ويؤزّهم أزّاً؛ لأنّ البدع في الدين أمْرُها خطير، ويظنّ العبد أنه على حقّ وهو مُتشبِّثٌ بها، وأن فرصة الرجوع عنها نادرة؛ لأنّ الرجوع عنها معناه الرجوع عن شيء تعتقده النفس ديناً، ولذلك فإنّ كل شعيرة بدعية يمارسونها إنما هي في تصوّرهم القاصر تكون منطلقة من عقيدة تهدم ولا تبني؛ لأنّها على أساس خاطىء، وتؤدي تلك التصوّرات الخاطئة إلى المهالك بأصحابها من جرّاء تلبُّسهم بالاعتقادات الخاطئة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولا شكّ أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين التصوّرات الإيمانية الخاطئة وضياع الخشوع أو عدم استشعار النفس المؤمنة بآثاره في أعماقها، ناهيك عن سوء العاقبة لكلِّ مَن حادَ عن الطريق المستقيم. «ولم يضيّع أحدٌ فريضةً من

---

(١) الجوزية، ١٤١٨هـ، ج١، ص٣٤٥.

(٢) الجليل، ١٤١٨هـ، ج١، ص٣٤٥، ٣٤٦، بتصرف.

الفرائض إلاّ ابتلاه الله بتضييع السنن، ولم يُبتلَ بتضييع السنن أحدٌ إلا يوشك أن يُبتلى بالبدع»[١].

وخلاصة القول: أنّ الخشوع وآثاره ينبعث من داخل النفس ومن أعماق القلب، فلا بدَّ أن تكون النفس مهيأةً له والقلب مستوعباً له، حتى يؤتي ثِماره اليانعة، وإن لم يُعمّر القلب بالإيمان اليقيني الخالص بوحدانية الله تعالى واتّباع أمره والبُعد عن نهيه، فلا يصل إلى مراد الله تعالى ومرضاته، «وإنّ فقر البشر إلى اللهِ شديد، وما يستمعون به من سمع وبصر وأفئدة مواهبُ مُعارةٌ منه، ولو شاء استردّها في أيّة لحظة، ووقف أعتى العُتاة صفر اليدين لا يجد شيئاً، بل تلفظه كل ذرّة في الأرض والسماء، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦]»[٢].

❑ ❑ ❑

---

(١) الشاطبي، ١٤١٢هـ، ج١، ص١٣٠.

(٢) الغزالي، ١٤١٨هـ، ص١٤٢، بتصرف.

# الفصل الثالث

# الآيات الدالة على الخشوع

**ويحتوي على المباحث التالية:**

**المبحث الأول:** منزلة القرآن الكريم.

**المبحث الثاني: الآيات الدالة على الخشوع لفظاً وتفسيرها،** وفيه خمسة محاور:

**المحور الأول** : تفسير الآيات الدالة على الخشوع بمعنى الذلّ وبعض المبادىء التربوية المستنبطة منها.

**المحور الثاني:** تفسير الآيات الدالة على الخشوع بمعنى سكون الجوارح وبعض المبادىء التربوية المستنبطة منها.

**المحور الثالث:** تفسير الآيات الدالة على الخشوع بمعنى الخوف وبعض المبادىء التربوية المستنبطة منها.

**المحور الرابع:** تفسير الآيات الدالة على الخشوع بمعنى التواضع وبعض المبادىء التربوية المستنبطة منها.

**المحور الخامس:** تفسير الآيات الدالة على الخشوع بمعنى اليُبس والجمود وبعض المبادىء التربوية المستنبطة منها.

**المبحث الثالث: الآيات الدالة على الخشوع معنىً وتفسيرها.**

**خاتمة الفصل.**

# المبحث الأول

## منزلة القرآن الكريم

القرآن هو كتاب الله الذي نزل على النبي ﷺ بألفاظه ومعانيه ليكون دستوراً للناس يهتدون بهداه ويتعبدون بتلاوته ويعملون بما فيه، «وهو المدوّن بين دفتي المصحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيل عن جيل، محفوظاً من أيّ تبديل أو تغيير»(١).

«فهو الهدى الذي يهدي إلى الحق، وينير الحقائق الصحيحة في ظلم الجهالة، يهدي إلى معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويبين الطريق الموصل إلى فضله وأفضاله، ويوضح الأحكام كلّها في العبادات والمعاملات، ويبين الحقوق في جميع التعلقات، وهو الشفاء من الأمراض البدنية والقلبية، والعصمة والنجاة في الأمور الدينية والدنيوية، وهو المزيل لأمراض الشبهات وأمراض الشهوات، بما فيه من البراهين القاطعة والمواعظ المؤثرة، وهو الموصل إلى المعارف الجليلة والعلم واليقين الكاشف للحقائق كلِّها بالتوضيح الكامل والبراهين. فيه نبأ الأولين والآخرين، وفيه الحكم العادل بين الخلق أجمعين، وفيه من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ما تطمئنّ به القلوب، وفيه التفاصيل العظيمة النافعة الموصلة إلى كل مطلوب، كتابٌ عظيمٌ هيمن على الكتب السابقة حتى أحاط بها وحواها، وحكم بالحق في كلّ ما تنازعت فيه الأمم أولاها وأخراها، أعيَى ببلاغته وحُسْنِ نظمه جميعَ البلغاء، وحيّر بحُسن أسلوبه وما كشفه من غيوبه أفئدة العقلاء، وأصلح بهدايته العقائد والأخلاق والأعمال، وهدى للتي هي

(١) أبو العينين، ١٤٠٨هـ، ص٦٢.

أقوم، وأصلح وأنفع في كل الأحوال، كتابٌ حفظه الله من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حميدٍ رحيمٍ رحمٰن، من قال به صدق، ومَن عمل به أُجر، ومَن حكمَ به عدل، ومَن دعا إليه فقد هدي إلىٰ صراطٍ مستقيم»[١].

«والقرآن معجزة النبي محمد ﷺ الكبرى، والباقية المتجددة ما بقيت الأيام تترى، فلقد تحدى الله به أهل الفصاحة والبلاغة قديماً، وما زال ولن يزال يرغم أنوف الأعداء، وبه تحدّى الله الخليقة إنساً وجناً. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]»[٢].

«يقول علي رضي الله عنه في وصف القرآن: (اعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضلّ، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالسَ هذا القرآنَ أحدٌ إلا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدىً، ونقصان من عمى، واعلموا أنه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقةٍ، ولا لأحدٍ بعد القرآن من غنى، فاستشفوا به من أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه الشفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغيّ والضلال. واعلموا كأنه شافعٌ ومشفّعٌ، وقائلٌ ومصدّق، وإنه مَن شفع له القرآنُ يوم القيامة شُفِّع فيه، فإنه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا إنّ كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله، غير حرثة القرآن، فكونوا من حرثته وأتباعه، واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم)»[٣].

---

(١) السعدي، ١٤١٤هـ، ص١١٠، ١١١، بتصرف.

(٢) العودة، ١٤١٩هـ، ص٢٢٠، بتصرف.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢١، ٢٢٢، بتصرف.

«فكم يوقظ القرآن ضمائرنا ولا تستيقظ، وكم يحذِّرنا ونظلّ نلهو ونلعب، وكم يبشرنا وكأنّ المبشَّر غيرنا، وكم تعيينا الأمراض والعلل ولو استشفينا بالقرآن لشفانا الله به حساً ومعنىً. وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فهو يُذهب ما في القلوب من أمراض الشكّ والنفاق، والشرك والزيغ، وبه يحصل الإيمان والحكمة، وليس هذا إلا لِمَن آمنَ بالقرآن وصدقه واتّبعه، وهذا شفاء القرآن المعنوي، أما شفاؤه الحسي فتؤكّده رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم، فلُدغ سيد ذلك الحي، فسعوا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا، لعله أن يكونَ عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط، إنّ سيدنا لُدغ، وسعينا له بِكلِّ شيء، لا ينفعه، فهل عند أحدكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله، إني لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالَحوهم على قطيعٍ من الغنم ـ وفي رواية: فأمر لنا بثلاثين شاة، وسقانا لبناً ـ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة، قال: فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ فنذكر له الذي كان، فننظر ما يأمرنا. فقدِموا على رسول الله ﷺ فذكروا له، فقال: «وما يُدريكَ أنها رُقية»؟ ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا، واضرِبوا لي معكم سهماً»، فضحك النبي ﷺ)(١).

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٢٧٦.

ويشهد القرآن بتعظيم مَن في السماوات ومَن في الأرض لله، بإنسه وجنّه، وملائكته، وشموسه، وجباله، وشجره، ودوابّه، ويخرّون كلهم لله سجّداً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

وهذه الجنّ تستجيب لنداء القرآن، ويؤمنون بالإسلام، ويسمعون محمداً عليه الصلاة والسلام، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

وملائكة السماء تدنو لتسمع صوت القارىء للقرآن، كما في قصة أسيد ابن حضير. وقول النبي ﷺ له: «تلك الملائكة دَنَتْ لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناسُ إليها لا تتوارى منهم»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: (نزلت سورة الأنعام يشيّعها سبعون ألفاً من الملائكة). وعن جابر رضي الله عنه: (لما نزلت سورة الأنعام سبّح رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد شيّع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأفق»)(٢).

فحريٌّ بنا أن نعظّم هذا الكتاب الذي عظّمه الله، وعظّمته ملائكته، واستجاب له إنسُه وجنّه، وأن نزدادَ له تلاوةً وتدبراً في شهر نزوله، وأن

---

(١) رواه البخاري: حديث رقم (٥٠١٨).

(٢) رواه الحاكم بسنده، وقال: صحيح على شرط مسلم.

نحافظ على الصلة به علماً وعملاً، ولا نكون في عداد مَن هجره، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠ ﴾ [الفرقان: ٣٠]»[(١)].

«فالقرآن عمدة الملة، وكليةُ الشريعة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، لا طريق إلى الله سواه، ولا سبيل إلى النجاة بغيره، هل يُدعى إلى الله بغير كتاب الله؟ وهل يُرجى صلاحُ عبادِ الله بغير كتاب الله؟

هو التبيان والفرقان، والروحُ والذكر، هدىً للمتقين، ورحمةٌ للمؤمنين، آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العِلْم، وذكرى لمن كان له قلب، أحسنُ الحديث، وأصدقُ الكلام، وشفاءٌ لما في الصدور، نعمةُ الله السابغة، وحجته الدامغة، نورُ الأبصار والبصائر، أنزله ربنا وصرّفه، وعداً ووعيداً، وأمراً وزجراً، وحُكماً وعِلماً، ورحمةً وعدلاً. كتابٌ لا تفنى عجائبه، وبحرٌ لا يُدرك غَورُه، وكنزٌ لا تنفد دررُه، وغيثٌ لا تُقلع عن المدرار سحائِبُه. أنزله ربُّنا لنقرأه تدبراً، ونتأمله تبصُّراً، ونسعدَ به تذكراً، ونلتزمَ بأوامره طمعاً، ونجتنب نواهيه خوفاً.

تحيا القلوبُ بمواعظه، وتطمئنّ النفوس بترتيله، وتقومُ الحياةُ بأحكامه، وتعمُّ السعادةُ بآدابه، أسلوبُه رفيعٌ، ونظمُه بديعٌ، لفظُه معجِزٌ، ونظمُه باهرٌ، ﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

لم تشُبْ بيانَه غموضٌ، لم يعِبْ لفظَه ضعفٌ، ولم يدخل معانيه قصورٌ، ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء: ٨٢].

الأمّة تحتاج إلى أن تُراجع نفسها في مواقفها من قرآنها.

---

(١) العودة، ١٤١٩هـ، ص٢٢٢-٢٢٤، بتصرف.

أصدق ما تثبتُ به عقائد الإيمان، وأوضحُ دليلٍ إلى المعارف والعلوم، وأقربُ سبيلٍ إلى بردِ الطمأنينة في القلوب، وأفضلُ حديثٍ تناجي به مولاك في الأسحار.

ولكن حين عزّ هذا المنهج، وطال الأمد، واشتغلت الأمّة بغيره أو تشاغلت، دبّ في جسمها دبيبُ الضعف، وهجرتْ فئامٌ منها القرآن هجراً غيرَ جميل.

هجروا براهين القرآن في العقائد والإيمان، وسلكوا طرائق محدَثة واصطلاحاتٍ مبتدعة، زاعمين أن أدلة القرآن لا تفيدُ القطعَ واليقين، فحادوا عن الطريق وتاهوا، أما في ألوان العبادات والتعبدات فركنوا إلى أحزابٍ مصنوعة، وأوراد متكلّفة، وتعاويذَ منحرفة، ورُقىً غير مشروعة، وأخذوا بأنساكِ الأعاجِمِ من غير أهلِ الإسلام.

وثَمّتَ أقوامٌ حظُّهم من القرآنِ القراءةُ في المقابر والمآتم، وفتحِ الأيدي والأفواه للاستجداء والمسألة.

أينَ مكانُ القرآن في الحكم؟ وأين موقعُه من مناهج التربية ومقرراتِ الدراسة؟

هل ضاق كتابُ الله وعلوم القرآن عن أن يُعطيَ حُكماً في نازلةٍ، أو يرسمَ منهجاً في تربية؟ وهل لا تنبت المناهج ولا تصحّ الدساتير إلا في غير ديارِ المسلمين؟

نعم، لقد أحسنت الأمةُ إذ حفظتْ قرآنها حروفاً ومخارجَ ومدوداً وغُنَناً وأداءً وتغنياً، ولكن يجبُ أن ينضمَّ إلى حُسن التلاوة وإجادة القراءة وظيفةُ التدبر، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صَ: ٢٩].

لقد وصف الله عز شأنه أمماً سابقةً بأنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني. إنهم أميون، أميّة عقل وفهم، وأمية تدبر وعمل، يرددون كتابهم

تلاوةً من غير فقهٍ ولا عمل. وأميةُ العقلِ والفكرِ عنوانُ حالات الضعف والتبعية.

ولقد أوضح ذلك رسول الله ﷺ حين حدّث أصحابه يوماً فذكر لهم أشياءَ قال فيها: «وذاك عند ذهاب العِلْم»، فقام زيادُ بنُ لبيد الأنصاري رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، كيف يذهبُ العِلْم ونحنُ قرأنا القرآنَ ونُقرئه أبناءَنا، وأبناؤنا يُقرئون أبناءَهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «ثكلتكَ أمّك يا لبيد! إنْ كنت لأراك من أفقه رجل في المدينة، أوليس هذا اليهودُ والنصارى بأيديهم التوراةُ ولا ينتفعون بما فيها بشيء»؟[١]

ومصداقُ ذلك في كتاب الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

يقول ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ: «هؤلاء أهل الكتاب أقبلوا على الآراء المختلفة، والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجالَ في دينِ الله، فعند ذلك قستْ قلوبهم، لا يَقبلون موعظةً، ولا يخشون وعيداً، ولا يرجون لله وقاراً»[٢].

فالقرآن الكريمُ نورٌ مبين، وسراجٌ منير، يهدي به الله مَن اتبع رضوانه سُبلَ السلام.

«وهداية القرآن العظيم وأثرها في الخشوع تستهدف تحقيق أقصى ما تصبو إليه البشرية من الحقائق الموصلة إلى مقطع الحقّ في تأسيس الإيمان بمعرفة جلال الله تعالى وعظيم سلطانه، وباهر قدرته، وبالغ حِكمته، ومحكم تدبيره، وسعة رحمته، وجزيل إحسانه، وتفرّده بنعوت الربوبية،

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٢٦٥٣.

(٢) ابن حميد، ١٤١٩هـ، ص٢٥-٢٨، بتصرف.

وصفات الألوهية، معرفة تطمئنّ بها القلوب، وتؤمن بها العقول، إيماناً لا يخالجه ريب الشبهة، وتشرق منه الحجة إشراقاً يضيء الفطرة الإنسانية بنور الرضا واليقين.

وهذا اللون من أساليب هداية القرآن العظيم مبثوث في آياته الكونية التي سيقت في مواضعها من سُوَرِهِ لبيان عظمة الله تبارك وتعالى وعظمة هذا الكون بما يدلّ على تفرّده تعالى بقدرة الإبداع والخلق، ويدلّ على وحدانية ربوبيته ووحدانية إلهيته، ويدلّ على محكم تدبيره سبحانه وتعالى»[١].

«ومما يزيد النفس خشوعاً ويقيناً أنّ كل خطاب في البيان القرآني يتّجه إلى الجماعة بعنوانها الإنساني العامّ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، أو بعنوانها الإيماني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، هو شاهد من شواهد التربية السلوكية في تحميل الجماعة مسؤولية العمل الجماعي.

تحميل المسؤولية للفرد والجماعة هو أساس التربية السلوكية التي تحقق العدالة، وتنشر التراحم بين أفراد الأمّة؛ لأنّ إحساس الفرد أو الجماعة بالمسؤولية يربي الضمير ويوقظه ليكون دائماً هو الحارس من داخل النفس الإنسانية، الحريص على سلامة ما يصدر من الأعمال في إطار المسؤولية إلى جانب إشعاره بالكرامة الشخصية وحرية الإرادة.

والهداية القرآنية لا تقف في التربية السلوكية عند منزلة العدل المطلق التي كان تحمُّل المسؤولية مظهرها الأول، ولكنها في سبيل إعداد الفرد والجماعة لحياة اجتماعية فاضلة تقوم على أساس الترابط الأخوي في الأسرة الإنسانية كلها على وجه العموم، وفي الأسرة الإيمانية منها على وجه الخصوص، تتسامى إلى آفاق مكارم الأخلاق التي لا تتقيد في إقامة

---

(١) عرجون، ١٤١٠هـ، ص١٧، بتصرف.

العلاقات الاجتماعية بقيود الحقّ الواجب، وإنما تذهب منطلقة مع السماحة وروح التوادّ والمحبة والإيثار.

وهذه المرتبة في التربية السلوكية تجيء ثانية بعد مرتبة العدل تعظيماً لحقِّه وبياناً لعموم فضله، حين نجد الهداية القرآنية توصي بالإفضال ومحاسن الشِّيَم، بل إنها تستعلي في سُموّها فتوحي بالإيثار الذي كان سِمة من سِمات أفضل نماذج الإنسانية، ممثلة في المجتمع الإسلامي الأول الذي تولت الهداية القرآنية تربيته تربية سلوكية تؤذن أن تكون في نبلها مثالية من عالم الخيال، لولا أنها كانت في واقع الحياة المشهود أثراً من آثار الفضائل العملية في وجود المجتمع المسلم. ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وإذا كانت هذه الآية الكريمة نصاً في الإيثار؛ فإنّ روحها يجري في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

والإيثار ليس عطاءً مادياً، ولكنه خلق روحاني تفنى في حقيقته الاعتبارات المادية، فلا يقام لها وزن في حساب الفضائل.

ومن هنا كان امتثال الأوامر الثلاثة في الآية باباً من أبواب الإيثار. ويروي المفسرون أن هذه الآية لما نزلت سأل رسول الله ﷺ جبريلَ عنها، فقال له: «إنّ الله يأمرك أن تَصِلَ من قطعك، وتعطي مَن حرمك، وتعفو عمّن ظلمك»، وهذا إيثار بالفضل في مكارم الأخلاق، نجده مصوَّراً تصويراً بارعاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وفي قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

ومن لطائف هذا النوع في الأسلوب البياني أنه في الأغلب يبدأ بمرتبة العدل حقاً واجباً، ثم يعطف إلى ذكر مرتبة الفضل تفضّلاً، مرغّباً فيها ترغيباً يحبب القلوب في مكارم الأخلاق.

ومن جوامعه: هذه الآيات التي تصف المؤمنين بالاستجابة لربهم حين دعاهم رسوله إلى الإيمان به، وتعبدهم لجلاله بأخلص منازل العبودية في أرفع مراتبها بإقامة الصلاة، وهذا بيان لفضلهم أفراداً مؤمنين، ثم ذكر لهم فضلهم الجماعي فوصفهم بأفضل ما توصَف به الجماعات من أخلاق اجتماعية؛ هي الشورى، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٣٨-٤٣].

وهذا اللون من التربية خليق أن يجمع للأمة عناصر القوة، يقيم بها العدل؛ وعناصر الرحمة ترفع بها منار الفضل، والأمة إذا عاشت قوية بالعدل رحيمة بالفضل، كانت المثال الأقوم والنموذج الأعلى للمجتمع الأفضل في واقع الحياة، وهذا ما تستهدفه هداية القرآن التربوية من إعداد أمّة الإسلام حتى تكون ـ كما أرادها الله في مكانها من قيادة المجتمع البشري وكما وصفها ـ خيرَ أمّة أخرجت للناس. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ونحن اليوم نعيشُ في عصرٍ لا مقياسَ له في سرعة الانتقال من شيءٍ إلى شيء، ومن حالٍ إلى حال، فهو عصر السرعة المسعورة التي شردت عن الضوابط والمقاييس، حتى أشبهت الطفرة في توثُّباتها، وهو عصر مادي انفلتَ فيه زمام العقل بدافع الغرور العِلْمي، وطغتْ فيه ظلمات الإلحاد على نورِ الإيمان، وانحسرت فيه القيم الروحية والأوضاع الخُلقية، وخنست الفضائل إلى زوايا الانعزاليين السلبيين الذين أرمضهم ما سمعوا وما رأوا، وعجزوا عن النهوض بالعبء، ولن يغنيهم ذلك من الله شيئاً وسوف يسألون.

عصرٌ أصبح فيه التنكّر للدين والسخرية من القيم الروحية والفضائل الإنسانية (أفيون) الشباب المثقف الذي يعيش تحت سلطان هذا المخدر المجلوب من وراء البحار وخلف السهوب ساهماً تائهاً، يمشي في حياته وحياة الناس إلى غيرِ هدف، عبداً لغرائزه الحيوانية وشهواته البدنية، منطلقاً من قيود الفضائل، منخلعاً من وشائج القيم الخُلقية التي جاءت بها جميع الأديان السماوية؛ لأنّه يجهلها، ولا يعرفها معرفة نظر باحث، ولا معرفة عمل تطبيقي صادر عن يقين وخشوع يملأ جوانحه ويعمر قلبه.

ولو عتبت على هذا الشابّ حاله لوجدت عنده من الحجة التي تلقي الذنب على القوّامين بتنشِئَتِه وتربيته، وخاصة القوّامين على دراسة القرآن وبيان هداياته، والمكلّفين بالدعوة إلى الله وإلى دينه وتبليغ رسالة الإسلام، مما يبعث الأسف والإشفاق على ضياع هذه الثروة البشرية من شباب المسلمين؛ لأنّ هذا الشباب فيه جميع طاقات البشرية الروحية والعقلية والبدنية مفرقة في جماعاته وأفراده، لم يجد أمامه الأسلوب السهل الرغيب الذي يوجِّهه ويحبب إليه النظر في علوم الإسلام ومعارفه من مصدرها الأصيل: القرآن الحكيم، كما أنه لم يجد القدوة الحية التي تسامت بالفضائل علماً وعملاً، حتى كانت في حياة الناس المثل المضروب لطلب التأسي والاقتداء.

وهذا الضرب من الهدايات القرآنية ينزل منها منزلة العروة التي تجمع حلقات المجتمع الإسلامي، فإن هي تُركت حتى تراكم عليها صدأ الإهمال تفتَّتت ذرّاتها، وتحللت عناصرها، وانفرط عقد هذا المجتمع إلى فئام من الناس كأنها حبّات من الرمل منثورة في صحراء الحياة، تتلاعب الرياح بها هنا وهناك.

وإن هي لقيت من العناية البيانية في القرآن الكريم ما يلفت إليها الأنظار، عادت كما كانت دافعاً من دوافع النهوض والتقدّم، ودعامة من دعائم بناء المجتمع المسلم على أسس من الفضائل ينهض بها إلى مكانه من الحياة، حاملاً أمانة الفكر المؤمن وهو يجول في معترك الوجود»[١].

❑ ❑ ❑

(١) عرجون، ١٤١٠هـ، ص١١٧-١٢١، بتصرف.

# المبحث الثاني

# الآيات الدالة على الخشوع لفظاً وتفسيرها

ذكر بعض المفسرين أنّ الخشوع في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي كما يلي:

## المحور الأول: الخشوع بمعنى الذُّلّ

ويتضمن الآيات التالية:

١ ـ قوله تعالى في سورة طه: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٢-٤].

### تفسير الآيات الكريمة التي تدل على الخشوع بمعنى الذُّلّ:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

قال ابن كثير: «أي: يوم يرون أهوال يوم القيامة يستجيبون مسارعين إلى الداعي حيثما أمروا بادروا إليه، ولو كانوا يستمعون إليه في الدنيا لكان أنفعَ لهم، ولكن كانت الاستجابة حيث لا ينفعهم. ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يميلون عنه. ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما:

سكنت. ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ بصوت خفيٍّ ومشي الأقدام في سكون وخضوع»[١].

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾: «أي: ذلّت وسكنت»[٢].

وقال الطبري في الآية نفسها: «يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمٰن. فوَصَفَ الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها أنهم خُضَّع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطقٍ منهم منطقاً إلا مَن أذن له الرحمٰن»[٣].

وقال ابن عطية الأندلسي في الآية نفسها: «الخشوع: التطامن والتواضع، وهو في الأصوات استعارة بمعنى الخفاء والاستسرار، ومعنى ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: خشعت لهيبته وهول مطلع قدرته»[٤].

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]:

«تُنصِت الجموع المحشودة المحشورة، وتخفت كل حركة، ويستمعون الداعي إلى الموقف، فيتبعون توجيهه صامتين مستسلمين لا يلتفتون ولا يتخلّفون. وقد كانوا يدعون إلى الهدى فيتخلفون ويصرخون، ويعبّر عن استسلامهم بأنهم ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ تنسيقاً لمشهد القلوب والأجسام مع مشهد الجبال التي أصبحت قاعاً صفصفاً لا عوج فيها ولا نتوء. ثم يخيّم الصمت الرهيب والسكون الغامر بخشوع الأصوات، هكذا يخيم الجلال على الموقف، وتغمر الساحة التي لا يحدها البصر رهبة

---

(١) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٢، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) القرطبي، ١٤١٨هـ، ج١١، ١٢، ص٢٢٠.

(٣) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٢٢٣.

(٤) الأندلسي، ١٤٠٨هـ، ج١١، ص١٠٧.

صمت وخشوع. فالكلامُ همسٌ، والسؤال تخافُت، والخشوع ضافٍ، والوجوه عانية، وجلال الحي القيوم يغمر النفوس»(١).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ:

«يقول جلّ ثناؤه: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ وهو حجر رأيته يا محمد. ﴿ خَٰشِعًا ﴾ يقول: متذللاً. ﴿ مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ على قساوته حذراً من أن لا يؤدّي حق الله المفترَض عليه في تعظيم القرآن، وقد أُنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفّ، وعنه عما فيه من العبر والذِّكر مُعرض. ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان: ٧]. ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء تشبهها للناس، وذلك تعريفه ـ جل ثناؤه ـ إياهم أنّ الجبال أشدُّ تعظيماً لحقه منهم، مع قساوتها وصلابتها. وقوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فينيبوا وينقادوا للحق»(٢).

وقال ابن عطية الأندلسي في تفسير الآية نفسها:

«الآية موعظة للإنسان، أو ذمٌّ لأخلاقه في غفلته وإعراضه عن داعي الله تعالى، وذلك أن القرآن نزل عليهم وفهموه وأعرضوا عنه، وهو لو نزل على جبل، وفهم الجبل منه ما فهم الإنسان لخشع واستكان، وتصدع خشيةً لله تعالى. وإذا كان الجبل على عظمته وقوته يفعل هذا، فما عسى أن يحتاج ابن آدم يفعل! لكنه يعرض ويصدّ على حقارته وضعفه.

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٢٣٥٢، بتصرف.

(٢) الطبري، ١٤٠٥هـ، ج٧، ص٢٦٧.

وضرب الله تعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل، ويخشع ويلين قلبه»[١].

ويقول الرفاعي في تفسير الآية الكريمة ذاتها:

«يقول تعالى معظّماً لأمر القرآن ومبيناً علوّ قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه؛ لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: إذا كان الجبل رغم قساوته وغلظته وصممه لو سمع وفهم هذا القرآن فتدبر بما فيه لَخشع وتصدع من ثقله ومن خوف الله وخشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم آياته؟! وكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشيته تبارك وتعالى؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾»[٢].

ويقول سيد قطب في الآية نفسها:

«ثم يجيء الإيقاع الذي يتخلل القلب ويهزّهُ وهو يعرض أثر القرآن في الصخر الجامد لو تنزّل عليه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهي صورة تمثل حقيقة، واللحظات التي يكون فيها الكيان الإنساني متفتّحاً لتلقي شيء من حقيقة القرآن، يهتزّ فيها اهتزازاً ويرتجف ارتجافاً، يرتفع فيه من التغيرات والتحولات ما يمثله في عالم المادة فعل المغناطيس والكهرباء بالأجسام، أو أشدّ. والله خالق الجبال ونزّل القرآن يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، والذين أحسوا شيئاً من مسّ القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة تذوقاً لا يعبّر عنه إلا هذا النص

(١) الأندلسي، ١٤١١هـ، ج١٥، ص٤٧٩.

(٢) الرفاعي، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص٣٤٠.

القرآني المشع الموحي. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهي خليقة بأن توقظ القلوب للتأمل والتفكر»[١].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: ٢-٤].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات الكريمات: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: ذليلة تخشع ولا ينفعها عملها. وقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه، وصُليت يوم القيامة ناراً حامية»[٢].

ويقول ابن عطية الأندلسي في الآيات نفسها: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ والوجوه الخاشعة وجوه الكفار، وخشوعها: ذلُها وتغيرها بالعذاب. ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ هي في الدنيا ناصبة فيها؛ لأنها على غير هدى، فلا ثمرة لعملها إلا النصب، وخاتمته النار»[٣].

ويقول سيد قطب في «ظلال القرآن»:

«في تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: يومئذ وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة، عملت ونصبت، فلم تحمد العمل، ولم ترض العاقبة، ولم تجد إلا الوبال والخسارة، فزادت إرهاقاً ونصباً، فهي ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ عملت لغير الله، ونصبت في غير سبيله. نصبت لدنياها ولأطماعها، ثم وجدت العاقبة والكدّ، وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد، ووجدته في الآخرة سواداً يؤدي إلى العذاب، وهي تواجه النهاية

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٦، ص٣٥٣٢.

(٢) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص٥٠٩.

(٣) الأندلسي، ١٤١١هـ، ج١٦، ص٢٨٦، ٢٨٧.

مواجهة الذليل المرهق، ومع هذا الذلّ والرهن والعذاب والألم ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ وتذوقها وتعانيها»(١).

## بعض المبادئ التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على الخشوع بمعنى الذلّ:

١ ـ تعويد النفس على المهابة والخشية والبعد عن التحلي بالصفات الذميمة.

٢ ـ تدبر القرآن الكريم عند تلاوته، ومعرفة ما فيه من توجيهات وآداب وأحكام، والعمل بها يزيد المؤمن إيماناً، ويزداد ذلاً وخضوعاً لله تبارك وتعالى.

٣ ـ الآيات تبيّن الأثر التربوي العظيم لضرب الأمثلة وإيصال الفهم إلى الأذهان بأساليب تربوية متعددة، ومنها: ضرب الأمثال. كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر: ٢١].

٤ ـ الحذر من التمادي من الخطأ، وضرورة الاعتراف به إن وُجد، والبحث عن الطريق الصحيح المؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

## المحور الثاني: الخشوع بمعنى سكون الجوارح

وآياتها على النحو التالي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٤-٨].

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٦، ص٣٨٩٦.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨-٩].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

## تفسير الآيات الكريمة التي تدل على الخشوع بمعنى سكون الجوارح:

١ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢].

يقول الطبري:

«يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمداً ﷺ، وأقرّوا بما جاءهم من عند الله، وعمِلوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات الخلود في جنات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذلّلهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. وقيل: إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها، فنُهوا بهذه الآية عن ذلك. واختلف أهل التأويل في الذي عني به هذا الموضع من الخشوع. فقال بعضهم: عني به سكون الأطراف في الصلاة، وقال آخرون: عني به الخوف في هذا الموضع.

والخشوع هو التذلل والخضوع. والمعنى في الآية الثانية: والذين هم في صلاتهم متذلِّلون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلّل لله فيها العبدُ، رُئِيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها»[١].

وبيّن ابن كثير ـ رحمه الله ـ في الآيتين السابقتين حقيقة الخشوع في الصلاة، فقال في قوله تعالى: «﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: فازوا بالجنة، وهم المتّصفون بهذه الأوصاف. ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ أي: خاشِعو القلوب، فغضّوا أبصارهم، وخفضوا الجناح، ولا تجاوزت أعينُهم مصلاّهم. والخشوع في الصلاة يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحةً، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حُبِّب إليّ الطيب والنساء، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة».

وروى الإمام أحمد عن محمد ابن الحنفية قال: دخلتُ مع أبي على صهرٍ لنا من الأنصار، فحضرت الصلاة، فقال: يا جارية، آتيني بوضوء لعلي أصلّي فأستريح، فرآنا أنكرنا عليه ذلك، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قُم يا بلال فأرِحنا بالصلاة» »[٢].

وقال ابن عطية الأندلسي:

«أخبر الله تعالى عن فلاح المؤمنين وأنهم نالوا البغية وأحرزوا البقاء الدائم. ثم وصف هؤلاء المفلحين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، والخشوع هو التطامن وسكون الأعضاء والوقار، وهذا إنما يظهر ممّن في قلبه خوف واستكانة.

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٢) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص٢٣١.

وروي عن بعض العلماء أنه رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة، فقال: لو خشع هذا لَخشعت جوارحُه.

وروي أن سبب هذه الآية: أنّ المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يمنةً ويسرة، فنزلت هذه الآية في ذلك»[1].

وقال سيد قطب في قوله تعالى:

«﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ أي: تستشعر قلوبُهم هيبةَ الموقف في الصلاة بين يدي الله، فتسكن وتخشع، فيسري الخشوع منها إلى الجوارح والملامح والحركات، ويغشى أرواحهم جلالُ الله في حضرته، فتختفي عن أذهانهم جميع الشواغل، ولا تشتغل بسواه، وهم مستغرقون في الشعور به، مشغولون بنجواه، ويتوارى عن حسّهم في تلك الحضرة القدسية كل ما حولهم وكلّ ما بهم، فلا يشهدون إلا الله، ولا يحسّون إلا إياه، ولا يتذوّقون إلا معناه، ويتطهر وجدانهم من كل دنس، وينفضون عنهم كلَّ شائبة، فما يضمّون جوانحهم على شيء من هذا من جلال الله. عندئذٍ تتضاءل القيم والأشياء والأشخاص إلا ما يتصل منها بالله»[2].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٤-٨].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآيات:

«ولقد جاء هؤلاء المشركين من قريش، الذين كذّبوا بآيات الله واتّبعوا أهواءَهم مِن الأخبار عن الأمم السالفة، الذين كانوا من تكذيب رسول الله ﷺ

---

(١) الأندلسي، ١٤٠٨هـ، ج١١، ص٢٢٢.

(٢) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٢٤٥٤.

على مثل الذي هم عليه، وأحلّ الله بهم من عقوباته ما قصّ في هذا القرآن ما فيه لهم مزدجر، يعني: ما يردعهم ويزجرهم عمّا هم عليه مقيمون من التكذيب بآيات الله.

وقوله تعالى: ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ يعني: بالحكمة البالغة: هذا القرآن، وتأويل الكلام: ولقد جاءَهم مِنَ الأنباء: النبأ الذي فيه مزدجر.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ أي ليست تغني عنهم النُّذر ولا ينتفعون بها؛ لإعراضهم عنها وتكذيبهم بها.

وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أي: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين من قومك، فإنهم يوم يدعو الداعي (داعي الله) إلى موقف القيامة وذلك هو الشيء النُّكر.

﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ يقول: ذليلة أبصارهم خاشعة، لا ضرر بها.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي جمع (جَدث)، وهي القبور. وإنما وصف ـ جلّ ثناؤه ـ بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم؛ لأنّ أثر ذلّة كل ذليل، وعزّة كل عزيز تتبيّن في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصّ الأبصار بوصفها بالخشوع.

وقوله تعالى: ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ يقول: مسرعين بنظرهم قِبَل داعيهم إلى ذلك الموقف.

وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يقول الكافرون بالله يوم يدعو الداعِ إلى شيءٍ نُكر: هذا يوم عَسِر، وإنما وصفوه بالعسر لشدّة أهواله»[١].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآيات الكريمات: «فتولّ يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا: هذا سحرٌ مستمرّ، أعرض عنهم وانتظرهم. ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: إلى شيء

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٧، ص١٦١-١٦٢.

منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والزلازل والأهوال. ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلة أبصارهم»(١).

ويتفق القرطبي مع الطبري في وصف البصر بالخشوع في الآية الكريمة: «﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ في أنّ أثر العزّ والذلّ يتبين في ناظر الإنسان»(٢).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يقول: تغشاهم ذلّة من عذاب الله. ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ يقول: وقد كانوا في الدنيا يدعونهم إلى السجود له وهم سالمون، لا يمنعهم من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينهم مانع»(٣).

ويتّفق ابن كثير مع الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾، في أنّ خشوع البصر في الآية الكريمة يدلّ على الذلّة والهوان.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٢-٤٤].

قال الطبري:

«يقول تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: فذر هؤلاء المشركين المهطعين عن اليمين والشمال عزين يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في هذه الدنيا.

---

(١) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص٢٦٩.

(٢) القرطبي، ١٤١٨هـ، ج١٧، ١٨، ص١١٤.

(٣) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٧، ص٣٥٣.

﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يقول: حتى يلاقوا عذاب القيامة الذي يوعدونه.

وقوله تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ يقول: خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ يقول: تغشاهم ذلة.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ يقول عز وجل: هذا اليوم الذي وصفت صفته، وهو يوم القيامة الذي كان مشركو قريش يوعَدون في الدنيا أنهم لاقوه في الآخرة وكانوا يكذِّبون به»[1].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾[النازعات: ٨-٩].

يقول الطبري:

«﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: قلوب خلقٍ من خلقِه يومئذٍ خائفة من عظيم الهول النازل.

وقوله: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ يقول: أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم من عظيم هول ذلك اليوم»[2].

ويقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: «﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾ أي: فهي شديدة الاضطراب، بادية الذلّ، يجتمع عليها الخوف والانكسار والرجفة والانهيار، وهذا هو الذي يقع ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾، وهذا الذي يتناوله القسم في بداية السورة»[3].

---

(١) الطبري، مرجع سابق، ج٧، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٢) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٧، ص٤٥١.

(٣) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٦، ص٣٨١٣.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

يقول الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة:

«يعني جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ التوراة والإنجيل. ﴿لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ فيُقرّ بوحدانيته. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون، يقول: وما أنزل إليكم من كتابه ووحْيه على لسان رسوله محمد ﷺ. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: وما أنزل على أهل الكتاب من الكُتب، وذلك التوراة والإنجيل والزبور. ﴿خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ يعني: خاضعين لله بالطاعة، مستكينين له بها متذلّلين.

وقوله: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ﴾ لا يحرّفون ما أنزل إليهم في كتبه من نعت محمد ﷺ فيبدّلونه، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه لعَرَض من الدنيا خسيس يُعطَوْنه على ذلك التبديل، وابتغاء الرياسة على الجهال، ولكن ينقادون للحق، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه، وينتهون عما نهاهم عنه فيها، ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم»[1].

وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ معناه: يؤمنون به خاشعين، أي إنه حال مِن فاعل (يؤمن))»[2].

وقال سيد قطب في تفسير الآية الكريمة السابقة:

«ففي معرض الإيمان، وفي مشهد الدعاء والاستجابة. يذكر كذلك أن من أهل الكتاب مَن سلكوا الطريق وانتهوا إلى النهاية، فآمنوا بالكتاب كلِّه

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٣٨٣.

(٢) الفراء، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٥١.

ولم يفرّقوا بين الله ورسله، ولم يفرّقوا بين أحدٍ من رُسله، آمنوا بالله، وبما أُنزل إليهم من قبل، وآمنوا بما أنزل للمسلمين. وهذه سِمة العقيدة التي تنظر إلى موكب الإيمان نظرة القرب والودّ، وتنظر إلى خطّ العقيدة موصولاً بالله، وتنظر إلى منهج الله في وحدته وكليته الشاملة. ويبرز من سِمات المؤمنين من أهل الكتاب: سِمة الخشوع لله، وسِمة عدم شرائهم بآياته ثمناً قليلاً، ليفرِّقهم بهذا عن صنوف أهل الكتاب، وسِمتهم الأصلية هي التبجُّح وقلّة الحياء من الله. ثم التزوير والكتمان لآيات الله لقاء أعراض الحياة الرخيصة، وبُعدهم أجر المؤمنين عند الله الذي لا يمطل المتعاملين معه حاشاه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾»[(١)].

## بعض المبادىء التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على الخشوع بمعنى سكون الجوارح:

١ ـ الآيات الكريمة في هذا الجانب فيها حفز للهمم والحثّ على المسابقة إلى الخيرات، ولا سيما أداء الصلاة على وقتها.

٢ ـ الآيات فيها وعيد لِمَن تكاسل وتخاذل عن أداء الطاعات، وضرورة استعمال الجوارح في الطاعات.

٣ ـ كما تُبيِّن الآيات الكريمات العاقبة السيئة لمن لم يستغلّ وقته وحياته فيما يعود عليه بالنفع والفائدة.

٤ ـ كما يُستنبط من الآيات الكريمة في هذا المحور أنّ الخشوع والخضوع والذُّلّ لا يكون إلا لله الواحد القهار، وأنه لا يجوز الخضوع والذلّ إلا للوالدَين، واحترام مَن له فضل بعد الله تعالى على سلوكك او حياتك العلمية والعملية. وأما عبودية الذُّلّ والخضوع لا تُصرف إلا لله تبارك وتعالى، وغرس ذلك في نفوس التلاميذ.

---

(١) سيد قطب، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٥٥١.

## المحور الثالث: الخشوع بمعنى الخوف

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝٤٤ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٤-٤٥].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

## تفسير الآيات الكريمة التي تدل على الخشوع بمعنى الخوف:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين:

يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيّه محمد ﷺ: واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ وحيداً. ﴿فَرْدًا﴾ لا ولد لي ولا عقب. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ يقول: فارزقني وارثاً من آل يعقوب يرثني. ثم ردّ الأمر إلى الله فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

يقول تعالى: فاستجبْنا لزكريا دعاءه ووهبْنا له يحيى ولداً يرثُه، وأصلحْنا له زوجَه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يقول تعالى: إن الذين سَمّيناهم ـ يعني زكريا وزوجه ويحيى ـ كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا والعمل بما يقرِّبهم إلينا.

وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغباً ورهباً. وعني بالدعاء في هذا الموضع: العبادة. وقوله تعالى: ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبةً منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله. ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبةً منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ يقول: وكانوا لنا متواضعين متذلّلين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا»[١].

وذكر ابن عطية في تفسيره أنّ الخشوع في هذه الآية الكريمة المقصود به: «التذلل بالبدن المتركب على التذلّل بالقلب»[٢].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: «الخشوع هو الخوف الملازم للقلب لا يفارقه أبداً، وقيل: ﴿خَٰشِعِينَ﴾ أي: متواضعين ومتذلّلين مؤمنين ومصدّقين بما أنزل الله. وكل هذه الأحوال صحيحة قريبة المعنى»[٣].

وقال صاحب «الظلال» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: «أي: لا متكبِّرين ولا متجبِّرين»[٤].

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) الأندلسي، ١٤٠٨هـ، ج١١، ص١٦٢.

(٣) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص١٨٤، ١٨٥.

(٤) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٢٣٩٥.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٤-٤٥].

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ:

«يقول تعالى في تفسير هاتين الآيتين: ومَن خذله الله عن الرشاد فليس له من وليٍّ يليه فيريه سبيل الصواب، ويسدّده من بعد إضلال الله إيّاه. ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة عندما عاينوا عذاب الله يقولون لربّهم: ﴿هَلْ﴾ لنا يا ربّ ﴿إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾، وذلك كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا...﴾ الآية [السجدة: ١٢]، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب.

يقول ـ تعالى ذكره ـ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يعني: وترى يا محمد الظالمين يُعرَضون على النار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ يقول: خاضعين متذللين.

وقوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يقول: ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يوضَعون عليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ يعني من طرفٍ ذليل، وصفه الله ـ جل ثناؤه ـ بالخفاء؛ للذلّة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الذين آمنوا بالله ورسوله: إنّ المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة»[١].

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٦، ص٥٠٢.

وقال ابن عطية الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾: «الخشوع: الاستكانة، وقد يكونُ محموداً، وما يخرجه إلى حالة الذمّ.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ فيقوى على هذا تعلق «من» بـ «خاشعين».

وقوله تعالى: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي: ذليل، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما»[١].

ويقول سيد قطب في تفسير الآيات السابقة من سورة الشورى:

«إن قضاء الله لا يردّ، ومشيئته لا معقّب لها، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فإذا علم من الله حقيقة العبد أنه مستحقّ للضلال، فحقّت عليه كلمة الله أن يكونَ من أهل الضلال، لم يكن له بعد ذلك من وليٍّ يهديه من ضلاله، أو ينصره من جزاء الضلال الذي قدّره الله له، والذي يعرض منه مشهداً في بقية الآية. ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ۝ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ والظالمون كانوا طغاة بغاة، فناسبَ أن يكونَ الذلّ هو مظهرهم البارز في يوم الجزاء، إنهم يرون العذاب فتتهادى كبرياؤهم، ويتساءلون في انكسار: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾؟ في هذه الصيغة الموحية باليأس مع اللهفة والانهيار مع التطلّع إلى أيّ بارقةٍ للخلاص وهم يعرَضون على النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾ لا من التقوى ولا مِن الحياء، ولكن مِن الذلّ والهوان، وهم يعرَضون منكسي الأبصار لا يرفعون أعينهم من الذلّ والعار، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ وهي صورة شاخصة ذليلة.

في هذا الوقت (يبدو) أن الذين آمنوا هم سادة الموقف، فهم ينطقون ويقررون، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ

(١) الأندلسي، ١٤٠٩هـ، ج١٤، ص٢٣٣.

﴿ٱلۡقِيَـٰمَةِۗ﴾ وهم هؤلاء الذين خسروا كل شيء، والذين يقفون خاشعين من الذلّ يقولون: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدࣲّ مِّن سَبِيلࣲ﴾، ويجيء التعليق العامّ على المشهد بياناً لمآل هؤلاء المعروضين على النار، فقد عُدم النصير، وقد أُغلق السبيل»[١].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرࣱ مِّنۡهُمۡ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧].

يقول ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين:

«أي: أمَا آنَ أن تلين قلوبهم لذكر الله عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد إليه وتسمع له وتطيعه؟

قال ابن عباس: إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فنزلت هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبَّهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاوَل عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبَلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعدٍ ولا وعيد.

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ ج٥، ص٣١٦٨.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة»[1].

وقال ابن عطية الأندلسي في تفسير الآيتين السابقتين:

«﴿۞أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يَحِنْ؟ والخشوع: الإخبات والتطامن، وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب، فلذلك خصّ ـ تعالى ـ القلب بالذكر.

وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الآية مخاطبة لهؤلاء المؤمنين الذين نُدبوا إلى الخشوع. وهذا ضرب مثل واستدعاء إلى الخير رقيق، وتقريب بليغ، أي لا يبعُد عنكم أيها التاركون للخشوع رجوعكم إليه وتلبُّسكم به، فإنّ الله يحيي الأرض بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب بردّها إلى الخشوع بعد بُعدها عنه، وترجع هي إليه إذا وقعت الإنابة والتكسُّب من العبد بعد نفورها منه. كما في الأرض بعد أن كانت ميتة غبراء»[2].

وعرض سيّد قطب ـ رحمه الله ـ في «ظلال القرآن» صورة جميلة مشرقة ومؤثرة لهاتين الآيتين الكريمتين من سورة الحديد، فقال:

«إنه عتاب مؤثّر من المولى الكريم الرحيم، واستبطاء للإجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله، فبعث فيها الرسول يدعوها إلى الإيمان بربها، ونزّل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور، وأراها من آياته في الكون والخلق ما يبصّر ويحذّر، عتاب فيه الودّ، وفيه الحضّ، وفيه استثارة الشعور بجلال الله والخشوع لذكره، وتلقّي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام، مع

---

(١) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص٣٠٩-٣١٠.

(٢) الأندلسي، ١٤١١هـ، ج١٥، ص٤١٤، ٤١٧.

رائحة التنديد والاستبطاء في السؤال: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾. وإلى جانب هذا الاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب مِن الصدأ حين يمتدّ بها الزمن بدون جلاء. وما ننتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحقّ: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾، وليس وراء قسوة القلب إلا الفسق والخروج. إن هذا القلب البشري سريع التقلُّب، سريع النسيان، وهو يشف ويشرق، فيفيض بالنور ويرف كالشعاع، فإذا طالَ عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكّر تبلّد وقسا، وانطمست إشراقته، وأظلم وأعتم، فلا بدّ من تذكير هذا القلب حتى يذكر ويخشع، ولا بدّ من الطرق عليه حتى يرقّ ويشفّ، ولا بدّ من اليقظة الدائمة كي لا يصيبه التبلّد والقساوة، ولكن لا يأس من قلب حمد وجمد وقسا وتبلّد، فإنه يمكن أن تَدُبَّ فيه الحياة، وأن يشرق فيه النور، وأن يخشع لِذكر الله، فإن الله يحيي الأرض بعد موتها، فتنبض بالحياة، وتزخر بالنبت والزهر، وتمنح الأُكل والثمار، وكذلك القلوب حين يشاء الله.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ وفي هذا القرآن ما يُحيي به القلوب كما تحيى الأرض وما يمدّها بالغذاء والريّ والدفء، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»[١].

## بعض المبادئ التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على الخشوع بمعنى الخوف:

١ ـ حث التلاميذ على الاهتمام بعبادة الدعاء، وضرورة مراعاة آدابها وواجباتها وسننها، وتعريفهم بأسباب الإجابة مع كمال الخضوع والذلّ

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٦، ص٣٤٨٩، بتصرف.

والخوف منه سبحانه وتعالى في كلِّ حين، ولا سيما عند رفع الأكفّ والتضرع إليه سبحانه وتعالى.

٢ ـ تذكير الطالب أو الشاب المسلم بعظمة نعمة الله تعالى عليه بأنْ جعله من أهل الإيمان، وأنّ الله تعالى إذا هَدى عبداً إلى طريقه القويم فلن تجد له مِن مُضلّ، وإذا أغوى عبداً عن صراطه المستقيم فلن تجد له ولياً مرشداً. واستغلال هذا الهدف الوجداني بجميع جوانبه والتوظيف التربوي المناسب بطرق متعددة.

٣ ـ كما نستنبط من الآيات الكريمة في هذا المحور ضرورة استعمال بعض الأساليب التربوية المناسبة لردع بعض الأخطاء والقضاء على جنوح بعض الطلاب، وهي الظواهر السلبية، والوقوف بكلّ حزم تجاهها، حتى يتعوّد الشاب على الجدية والمثابرة وعدم التكاسل أو التقاعس عن أداء مهماته الدراسية.

٤ ـ نستنبط من الآيات الكريمات ضرورة الاهتمام بالوعظ، وحث الزملاء المعلِّمين لموادّ التربية الإسلامية على وجه الخصوص بالرقائق والقصص المؤثرة القصيرة، واستعمال أسلوب الموعظة بدون ملل أو تكرار، وعدم الاستطراد الطويل في ذلك.

## المحور الرابع: الخشوع بمعنى التواضع

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

## تفسير الآيات الكريمة التي تدل على الخشوع بمعنى التواضع:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين:

«قد علمنا معنى الأمر بالاستعانة بالصبر على الوفاء بالعهد والمحافظة على الطاعة، فما معنى الأمر بالاستعانة بالصلاة على طاعة الله وترك معاصيه والتعرّي عن الرّياسة وترك الدنيا؟ قيل: إن الصلاة فيها تلاوة كتاب الله الداعية آياته إلى رفض الدنيا وهجر نعيمها، المسلية النفوس عن زينتها وغرورها، المذكّرة كالآخرة وما أعدّ الله فيها لأهلها، ففي الاعتبار بها المعونة لأهل طاعة الله على الجدّ فيها. كما روي عن نبينا ﷺ أنه إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فأمر ـ جلّ ثناؤه ـ الذين وصف أمرهم من أحبار بني إسرائيل أن يجعلوا مفزعهم في الوفاء بعهد الله إذا عاهدوه إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، كما أمر نبيه ﷺ فقال له: ﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهَا﴾ وإنّ الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: لشديدة ثقيلة. ويعني بقوله: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين لسطوته، المصدّقين بوعده ووعيده. وأصل (الخشوع): التواضع والتذلّل والاستكانة، فمعنى الآية: واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله وكفّها عن معاصي الله، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقرّبة من مراضي الله، العظيمة إقامتُها إلا على المتواضعين لله، المستكينين لطاعته، المتذلّلين من مخافته.

وإنما أخبر الله جلّ ثناؤه أنّ الصلاة كبيرة إلا على مَن هذه صِفته؛ لأنّ مَن كان غير موقنٍ بمعاد ولا مصدّق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب، فالصلاة عنده عناء وضلال؛ لأنّه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع، ولا دفع ضُرّ، وحُقّ لمَن كانت هذه الصفة صفتَه أن تكون الصلاة عليه كبيرة، وإقامتها عليه ثقيلة، وله فادحة، وإنما خفّت على المؤمنين المصدّقين بلقاء الله، الراجين عليها جزيل ثوابه، الخائفين بتضييعها أليم عقابه، لِما يرجون بإقامتها في معادهم من الوصول إلى ما وعد الله عليها أهلها، ولما يحذرون بتضييعها ما أوعد مضيّعها. فأمر الله ـ جلّ ثناؤه ـ أحبارَ بني إسرائيل الذين خاطبهم بهذه الآيات أن يكونوا من مقيميها، الراجين ثوابها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ يعني: يستيقنون أنهم إليه يرجعون يوم القيامة؛ لأنّ الله تعالى ذِكْره قال في الآية التي قبلها: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]، فأخبر جلّ ثناؤه أنّ مرجعهم إليه بعد نشرهم وإحيائهم من مماتهم، وذلك لا شكّ يوم القيامة»[١].

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج١، ص١٩٣-١٩٦، بتصرف.

ويقول سيد قطب في الآية نفسها:

«والغالب أن الضمير في (إنها) ضمير الشأن، أي أنّ هذه الدعوة إلى الاعتراف بالحق في وجه هذه العوامل كبيرة وصعبة وشاقّة، إلا على الخاشعين لله، الشاعرين بخشيته وتقواه، الواثقين بلقائه والرجعة إليه عن يقين.

والاستعانة بالصبر تتكرر كثيراً، فهو الزاد الذي لا بد منه لمواجهة كل مشقة. وأول المشقات: مشقة النزول عن القيادة والرياسة والنفع والكسب احتراماً للحق وإيثاراً له، واعترافاً بالحقيقة وخضوعاً له. فما الاستعانة بالصلاة؟ إنّ الصلاة صلة بين العبد والربّ، صلة يستمدّ منها القلب قوة، وتحسّ فيها الروح صلة، وتجد فيها النفس زاداً أنفس من أعراض الحياة الدنيا. ولقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وهو الوثيق الصلة بربّه، الموصول بالوحي والإلهام، وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كلّ مؤمن يريد زاداً للطريق، وريّاً في الهجير، ومداداً حتى ينقطع المدد.

واليقين بلقاء الله، واستعمال (ظنّ) ومشتقاتها في معنى اليقين كثير في القرآن وفي لغة العرب عامة، واليقين بالرجعة إليه وحده في كل الأمور، وهو مناط الصبر والاحتمال، وهو مناط التقوى والحساسية، كما أنه مناط الوزن الصحيح للقِيم، قيَم الدنيا وقِيَم الآخرة، ومتى استقام الميزان في هذه القيم بدت الدنيا كلُّها ثمناً قليلاً وعرضاً هزيلاً، وبدت الآخرة على حقيقتها التي لا يتردد عاقل في اختيارها وإيثارها. وكذلك يجد المتدبر القرآن في التوجيه الذي قصد به بنو إسرائيل أول مرة توجيهاً دائماً مستمر الإيحاء للجميع..»[١].

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٦٩.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ:

«يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة والإنجيل. ﴿لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ فيقرّ بوحدانيته. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أيها المؤمنون، وما أُنزل إليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله ﷺ. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب، وذلك التوراة والإنجيل والزبور. ﴿خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ يعني: خاضعين لله بالطاعة، مستكينين له بها متذلّلين.

وقوله: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ﴾ لا يحرّفون ما أنزل إليهم في كُتبه من نعت محمد ﷺ فيبدّلونه، ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه، لعَرَض من الدنيا خسيس يُعطَوْنه على ذلك التبديل، وابتغاء الرياسة على الجهال، ولكن ينقادون للحق، فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل إليهم من كتبه، وينتهون عمّا نهاهم عنه فيها، ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يعني بقوله جلّ ثناؤه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ يعني: لهم عِوض أعمالهم التي عملوها، وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ يعني: مذخور ذلك لهم لديه، حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفِّهم ذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ وسرعة حسابه ـ تعالى ذكره ـ: أنه لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعدما عمِلوها، فلا حاجة

به إلى إحصاء عدد ذلك. فيقع في الإحصاء إبطاء، فلذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾»[1].

وقال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ «معناه: يؤمنون به خاشعين»[2].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

يقول الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير الآية السابقة:

«يقول تعالى ذِكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ١٧]: آمِنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً، أو لا تؤمنوا به، فإنّ إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله، ولا ترككم الإيمان به ينقص ذلك، وإن تكفروا به، فإنّ الذين أوتوا العِلْم وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين إذا يُتلى عليهم هذا القرآن يخرّون ـ تعظيماً له وتكريماً، وعلماً منهم بأنه من عند الله ـ لأذقانهم سجّداً بالأرض.

وقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ يقول جل ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أتوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن إذا خرّوا للأذقان سجّداً عند سماعهم القرآن يُتلى عليهم تنزيهاً لربّنا وتبرئةً له مما يضيف إليه المشركون به: ما كان وعد ربّنا من ثواب وعقاب إلا مفعولاً حقاً يقيناً،

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج١، ص٣٨٣.

(٢) الفراء، ١٩٨٠م، ج١، ص٢٥١.

إيماناً بالقرآن وتصديقاً به. وقوله سبحانه: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ يقول تعالى ذكره: ويخرّ هؤلاء ـ الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان إذا يُتلى عليهم القرآن ـ لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن في المواعظ والصبر خشوعاً، يعني: خضوعاً لأمر الله وطاعته، واستكانةً له..»[1].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾: «أي يبكون خضوعاً له عز وجل وإيماناً بكتابه ورسوله ﷺ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ أي: تصديقاً وتسليماً. كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]»[2].

ويقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، يقول ـ رحمه الله ـ:

«وهو مشهد موحٍ يلمس الوجدان، مشهد الذين أوتوا العلم من قبله وهم يسمعون القرآن فيخشعون و﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، إنهم لا يتمالكون أنفسَهم، فهم لا يسجدون، ولكن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾، ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصِدق وعده: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ويغلبهم التأثر، فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه، فإذا الدموع تنطلق معبّرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوّره الألفاظ. ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ إنه مشهد مصوّر لحالة شعورية غامرة، يرسم تأثير هذا القرآن في القلوب المتفتّحة لاستقبال

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٧٥.

(٢) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص٥٧.

فيضه العارفة بطبيعته وقيمته بسبب ما أوتيت من العلم قبله، والعلم المقصود هو ما أنزله الله من الكتاب قبل القرآن، فالعلم الحقّ هو ما جاء مِن عند الله..»[١].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

«يقول تعالى ذكره: إنّ المتذلّلين لله بالطاعات والمتذلّلات، والمصدّقين والمصدّقات رسولَ الله ﷺ فيما آتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين اللهَ فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأساء والضرّاء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجلاً منه ومِن عقابه والخاشعات، والمتصدّقين والمتصدّقات وهم المؤدّون حقوق الله من أموالهم والمؤدّيات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومَه عليهم والصائمات، والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك إلا على أزواجهنّ إن كنّ حرائر، أو مَن ملكَهنّ إن كنَّ إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك، أعدّ الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجراً عظيماً، يعني: ثواباً في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيماً. وذلك الجنة»[٢].

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٢٢٥٤.

(٢) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٦، ص١٧٩، ١٨٠.

ويقول ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾: «الخشوع هو: السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه خوف الله تعالى ومراقبته، كما في الحديث: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» متفقٌ عليه»[١].

ويقول سيد قطب في «ظلال القرآن» في تفسير الآية الكريمة السابقة:

«وفي صدد تطهير الجماعة الإسلامية وإقامة حياتها على القيم التي جاء بها الإسلام ـ الرجال والنساء في هذا سواء؛ لأنّهم في هذا المجال سواء ـ يذكر الصفات التي تحقق تلك القيم في دقّة وإسهاب وتفصيل، وهذه الصفات الكثيرة التي جُمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة، فهي الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصِّدق، والخشوع، والتصدّق، والصوم، وحفظ الفروج، وذكر الله كثيراً. ولكلّ منها قيمته في بناء الشخصية المسلمة. والخشوع: صفة القلب والجوارح الدالة على تأثر القلب بجلال الله، واستشعار هيبته وتقواه، هؤلاء الذين تتجمع فيهم هذه الصفات المتفاوتة في بناء الشخصية المسلمة الكاملة، هؤلاء: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾. وهكذا يعمّم النصّ في الحديث عن صِفة المسلم والمسلمة ومقدّمات شخصيتهما بعدما خصص نساء النبي ﷺ، وتذكر المرأة في الآية بجانب الرجُل كطرف من عمل الإسلام في رفع قيمة المرأة وترقية النظرة إليها في المجتمع، وإعطائها مكانها إلى جانب الرجُل فيما هما فيه، سواء من العلاقة بالله، ومن تكاليف هذه العقيدة في التطهر والعبادة والسلوك القويم في الحياة»[٢].

---

(١) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٣، ص٤٩٣، ٤٩٤.

(٢) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٥، ص٢٨٦٢، ٢٨٦٣، باختصار.

## بعض المبادئ التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على الخشوع بمعنى التواضع:

١ ـ تعويد النشء على القيم الحسنة والتواضع ولين الجانب، ولا سيَّما فيما يتعلق بالعلاقة بين العبد وربه، وذلك عند أداء العبادات كالصلاة، ووجوب التذلّل والتواضع لله تعالى. وكذلك لين الجانب مع المؤمنين، وعدم التعالي عليهم، وبيان الآثار السيئة للكبِر ومقت الناس.

٢ ـ تبيّن الآيات الكريمة أنّ الخشوع إذا تمكَّن في القلب، فإنه يمنع بإذن الله عن التمادي في الباطل، وتعظيم شعائر الله واحترامها وتوقيرها.

٣ ـ أنّ الخشوع في الصلاة وسائر العبادات من أهمّ سمات المؤمن وقوة إيمانه.

٤ ـ أنّ العبادة الحقيقية وصدق التوجّه إلى الله تعالى والتضرع الصادق إليه لا يكون إلا من خلال تحقق العبادة الصادقة وخضوع الجوارح لله ربِّ العالمين، مما يكون لذلك الأثر الطيب على ترويض النفس على فعل الخيرات وحثّها عليه.

٥ ـ على الشابّ المسلم أن يخشع في صلاته وعبادته حتى تتحقق الثمرة المرجوّة من هذه العبادات.

### المحور الخامس: الخشوع بمعنى اليُبس والجمود

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

جاء في تفسير الإمام الطبري لهذه الآية الكريمة قوله ـ رحمه الله ـ:

«يقول تعالى ذكره: ومِن حُجج الله أيضاً وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بِلاها وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها: أنكَ يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء لا نبات فيها ولا زرع. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾

يقول تعالى ذكره: فإذا أنزلنا من السماء غيثاً على الأرض الخاشعة اهتزّت بالنبات، يقول: تحركت به، ﴿وَرَبَتْ﴾ يقول: انتفخت. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه»(١).

وذكره الإمام ابنُ كثير ـ رحمه الله ـ أن معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: «أي: هامدة لا نبات فيها، بل ميتة»(٢).

وقد جسّد صاحب «الظلال» المعاني الإيمانية لهذه الآية الكريمة، فقال:

«ونقف لحظة امام دقة التعبير القرآني في كل موضع، فخشوع الأرض هنا سكونها قبل نزول الماء عليها. ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾، وكأنما هي حركة شكر وصلاة على أسباب الحياة، ذلك أن السياق الذي وردت فيه هذه الآية سياق خشوع وعبادة وتسبيح، فجيء بالأرض في هذا المشهد شخصاً من شخوص المشهد، تشارك فيه بالشعور المناسب وبالحركة المناسبة»(٣).

ويقول سيد قطب عن ذات الآية الكريمة في موضع آخر:

«عبّر القرآن عن الأرض قبل نزول المطر وقبل تفتُّحها بالنبات مرة بأنها ﴿هَامِدَةً﴾ ومرة بأنها ﴿خَاشِعَةً﴾، وقد يفهم البعض أن هذا مجرّد تنويع في

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٦، ص٤٦٩.

(٢) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص١٠٤.

(٣) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٥، ص٣١٢٦.

التعبير، فلننظر كيف وردت هاتان الصورتان: لقد وردتا في سياقين مختلفين على هذا النحو: وردت (هامدة) في هذا السياق. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥]. ووردت ﴿خَٰشِعَةٗ﴾ في هذا السياق ـ الذي معنا ـ. وعند التأمل السريع في هذين السياقين يتبين وجه التناسق في ﴿هَامِدَةٗ﴾ و﴿خَٰشِعَةٗ﴾، إنّ الجوّ في هذا السياق الأول جوّ بعث وإحياء وإخراج، فما يتّسق من تصوير الأرض: ﴿هَامِدَةٗ﴾، ثم تهتز وتربو وتنبت من كل زوجٍ بهيج. وإنّ الجو في السياق الثاني هو جوّ عبادة وخشوع وسجود، يتّسق معه تصوير الأرض: ﴿خَٰشِعَةٗ﴾، فإذا نزل عليها الماء اهتزّت وربت، ثم لا يزيد على الاهتزاز، والإرباء هنا الإنبات والإخراج كما زاد هناك؛ لأنّه لا محلَّ لها في جوّ العبادة والسجود، ولم تجيء ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ﴾ هنا للغرض نفسه، إنهما تخيّلان حركة للأرض بعد خشوعها، وهذه الحركة هي المقصودة هنا؛ لأنّ كل ما في المشهد يتحرك حركة العبادة، فلم يكن من المناسب أن تبقى الأرض وحدها خاشعة ساكنة، فاهتزّت لتشارك العابدين المتحرّكين في المشهد حركتهم، ولكي لا يبقى جزء من أجزاء المشهد ساكناً، وكل الأجزاء تتحرك من حوله. وهذا لونٌ من الدقة في تناسق الحركة المتخيَّلة يسمو على كلِّ تقدير.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ويتكرر في القرآن عرض مثل هذا المشهد واتّخاذه نموذجاً للإحياء في الآخرة، ودليلاً ـ كذلك ـ على القدرة. ومشهد الحياة في الأرض قريب من كلِّ قلب؛ لأنه يلمس القلوب قبل أن يلمس العقول، والحياة حين تنبض من بين الموات

توحي بالقدرة المنشئة إيحاءً خفياً ينبض في أعماق الشعور، والقرآن يخاطب الفطرة بلغتها من أقرب طريق..»(١).

ـ وهنا إضافة مفيدة بيّنها الحافظ ابن رجب في كتابه «الخشوع في الصلاة» فيقول ـ رحمه الله ـ:

«وقد وصف الله تعالى في كتابه الأرض بالخشوع فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، فاهتزازها وربوّها وهو ارتفاعها مزيل لخشوعها، فدلّ على أنّ الخشوع الذي كانت عليه هو سكونها وانخفاضها. فكذلك القلب إذا خشع فإنه تسكن خواطره وإرادته الرديئة التي تنشأ عن اتّباع الهوى، وينكسر وينخضع لله، فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والكبر، ومتى سكن القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلُّها حتى الصوت»(٢).

## بعض المبادىء التربوية المستنبطة من الآيات الكريمة الدالة على الخشوع بمعنى اليبس والجمود:

١ ـ تعويد الطالب على التفكُّر في مخلوقات الله، وأنه سبحانه وتعالى قادر على كلِّ شيء.

٢ ـ تذكير الطالب بأن يُحسن أعماله صغيرَها وكبيرَها؛ لأنّ الإنسان يُبعث بعد الموت ويحاسَب على أعماله.

٣ ـ حثّ الطالب على المقارنة بين الأشياء، وتنمية هذه المهارة من خلال الاهتمام بالتحليل والتركيب في الأهداف التربوية.

٤ ـ ضرب الأمثال من البيئة المحيطة بالمتعلّم، له أثره الفعّال في العملية التربوية.

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٥، ص٣١٢٧، ٣١٢٨.

(٢) الحنبلي، ١٤٠٨هـ، ص٢٩.

# المبحث الثالث

# الآيات الدالة على الخشوع معنىً وتفسيرها

يعد الرجوع إلى معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للخشوع كما هو موضّح في مصطلحات الدراسة، وقد تبين أن أقرب المترادفات للخشوع هي: الإخبات والخشية والتدبّر والخوف والإنابة. ولذلك فقد تم اختيار بعض الآيات التي تفيد معنى الخشوع بعد الرجوع إلى كُتب التفسير المشهورة لأئمة التفسير وبعض التفاسير المعاصرة. ودوّنت الآيات التالية:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ . .﴾ الآية [الزمر: ٢٣].

## تفسير بعض الآيات الكريمة التي تدل على الخشوع معنىً:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

ذكر الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ أنّ «أصل العنوّ هو الذلّ، يقال منه: عنا وجهه لربّه يعنو عنوا. يعني: خضع وأذلّ، والمعنى: استأسرت وجوه الخلق، واستسلمت للحيِّ الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم وتصريفهم لما شاؤوا..»[1].

ويذكر ابن عطية الأندلسي في تفسيره: «أن معنى ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أي: ذلّت، والعاني هو الأسير. ومنه قوله ﷺ في أمر النساء: «هنَّ عوانٌ عندكم»، وهذه حالة الناس يوم القيامة»[2].

ويذكر سيد قطب معانٍ إيمانية أخرى في تفسير هذه الآية تؤكِّد أن معنى الآية يتضمن الخشوع في أبهى صوره، فيقول ـ رحمه الله ـ: «وهكذا يخيِّم الجلال على الموقف كلّه، وتغمر الساحة التي لا يحدّها البصر رهبة وصمتٌ وخشوع، فالكلام همس، والسؤال تخافت، والخشوع ضافٍ، والوجوهُ عانية، وجلال الحيّ القيوم يغمر النفوس بالجلال والعظمة»[3].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

هنا نلاحظ أن معظم كلام المفسرين ـ رحمهم الله ـ يبين أن معنى (الإخبات) في الآيات الكريمة هو بمعنى (الخشوع)، فيقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ:

«يقول تعالى ذكره: إن الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا في الدنيا بطاعة الله، ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ اختلف أهلُ التأويل في معنى الإخبات،

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٢٢٤.

(٢) الأندلسي، ١٤٠٨هـ، ج١١، ص١٠٧.

(٣) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٢٣٥٢.

فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنابوا إلى ربّهم، وقال آخرون: أي: وخافوا، وقال بعضهم: معناه: اطمأنوا، وقال آخرون: معنى ذلك: خشعوا. وهذه الأقوال متقاربة المعاني وإن اختلفت ألفاظها؛ لأنّ الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له. غير أن نفس الإخبات عند العرب: الخشوع والتواضع.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها. ولا يموتون فيها، ولكنهم فيها لابثون إلى غير نهاية»[١].

٣ ـ ويتأكد القول بأنّ معنى الإخبات في الآيات الكريمة في القرآن الكريم هو بمعنى الخشوع: ما ورد من صفات المخبتين في سورة الحج بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]، حيث يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ في بيان قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ في الآية الكريمة:

«يقول تعالى ذكره: وبشّر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة.

ـ ثم يؤكد ـ رحمه الله ـ معنى الإخبات في الآية التالية في ذكر صفات المخبتين، فقال رحمه الله ـ:

فهذا من نعت المخبتين، يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه ﷺ: وبشّر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله، وتخضع من خشيته وجلاً من

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٤، ص٢٦٨، ٢٦٩.

عقابه، وخوفاً من سخطه. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من شدّةٍ في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه. ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ المفروضة. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال. ﴿يُنفِقُونَ﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه في زكاة، ونفقة عيالٍ ومَن وجبت عليه نفقته، وفي سبيل الله..»[1].

ويصف سيد قطب ـ رحمه الله ـ صورة إيمانية مشرقة ودلائل بليغة في أنّ معنى الإخبات هو الخشوع، وذلك من خلال حديثه ـ رحمه الله ـ عن الآيتين: (٣٤، ٣٥) من سورة الحجّ، وهي نفس الآيتين السابقتين، فقال ـ رحمه الله ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾:

«فبمجرد ذكر الله يُحرك الوجل في ضمائرهم ومشاعرهم. ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فلا اعتراض لهم على قضاء الله فيهم. ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ فهم يعبدون الله حقَّ عبادته. ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فهم لا يضنّون على الله بما في أيديهم. وهكذا يربط بين العقيدة وبين المشاعر، فهي منبثقة من العقيدة وقائمة عليها، والشعائر تعبير عن هذه العقيدة ورمز لها. والمهمّ أن تصطبغ الحياة كلُّها ويصطبغ نشاطها كله بتلك الصبغة، فتتوحّد الطاقة، ويتوحّد الاتّجاه، ولا تتمزق النفس الإنسانية في شتّى الاتّجاهات..»[2].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

يتَّضح في هذه الآية الكريمة ـ ومن خلال قول الإمام الطبري رحمه الله ـ إنّ الإخبات هو الخشوع والتذلّل، حيث يقول ـ رحمه الله ـ: «﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ

(١) الطبري، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٦، ٣١٧.
(٢) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٢٤٢٣.

﴿قُلُوبُهُمۡۗ﴾ أي: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتُذعن بالتصديق به والإقرار بما فيه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أي: وإنّ الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحقّ القاصد»(١).

كما يبين ابن عطية الأندلسي ـ رحمه الله ـ في تفسيره «المحرر الوجيز»: أن الإخبات هو التذلُّل والتواضع، فقال ـ رحمه الله ـ: «والذين أوتوا العلْم هم أصحاب محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، والضمير في (أنّه) عائد على القرآن. و﴿فَتُخۡبِتَ﴾ معناه: تتطامن وتخضع، وهو مأخوذ من الخبت، وهو المطمئن من الأرض»(٢).

٥ ـ ومن الآيات الكريمة التي تشير إلى الخشوع معنىً: ما وردَ في سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ..﴾ الآية [الزمر: ٢٣].

يتّضح من ملامح هذه الآية الكريمة أن أثر كتاب الله تعالى على قلوب المؤمنين الصادقين عظيم، والخشوع قد بلغ في قلوبهم شأناً عظيماً، حتى إنهم تقشعرّ أبدانهم وجلودهم، وتتأثر من ذلك قلوبهم بفضل الله، ولا شكّ أنها لو لم تكن مغمورة بالذلّ والإنابة والخشوع لَما جعل لها هذا الفضل العظيم. كما يقرر ذلك الإمام ابن كثير في «تفسيره» فيقول: «إنهم لا يتكلّفون ما ليس فيهم، بل عندهم من الأدب والسكون والخشية ما لا يلحقهم أحدٌ في ذلك، ولهذا فازوا بالرضا والمدح من الله في الدارين»(٣).

---

(١) الطبري، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٣٣٢.

(٢) الأندلسي، ١٤٠٨هـ، ج١١، ص٢١٣.

(٣) ابن كثير، ١٤٠٦هـ، ج٤، ص٤٩.

## بعض المبادئ التربوية المستنبطة من الآيات الدالة على الخشوع معنىً:

١ ـ الآيات السابقة تبين أثر الطمأنينة في النفس المؤمنة، مما ينتج عن ذلك الثقة بالله وحُسن الظنّ به.

٢ ـ ضرورة الحثّ على علوّ الهمَّة، والبُعد عن الرغبات الدنيوية التي يسهل الحصول عليها.

٣ ـ أن صفات الإخبات والتطامن تقي من شرور النفس الأمّارة بالسوء، والبُعد عن مزالق الشيطان ورفقاء السوء.

٤ ـ أنّ الخلائق يوم القيامة خاضعون له مستسلمون لأمره، مما يثير في النفس المؤمنة الخوف والرجاء (بأن تخشى عقابه وترجو رحمته سبحانه وتعالى).

٥ ـ أنّ كثرة الأعمال الصالحة تؤدي إلى تَحَقُّق العبودية الخالصة لله تبارك وتعالى.

٦ ـ أن البشارة الصادقة يحظى بها كل مَن روّض جوارحه وأحاسيسه وجعلها تخضع لله رب العالمين قولاً وفعلاً واعتقاداً.

٧ ـ أن الذي لا يعتني بكتاب الله تلاوة وتصديقاً وتعظيماً وتدبّراً، فإنه لا يتأثر به ولا ينتفع به، فيحرم هذا الفضل العظيم والثواب الجزيل.

٨ ـ الآيات الكريمة بيّنت نِعَم الله تعالى العظيمة على عباده المؤمنين بأن جعلهم من ورثة جنّة النعيم، بينما خلق من خلقه خلقاً سيكونون حَصَباً لجهنم. وتعميق هذا المفهوم في وجدان الطالب حتى يزداد إيماناً وشكراً وثناءً لله تبارك وتعالى.

## خاتمة الفصل

وبعدُ؛ فقد تناول هذا الفصل عدداً من المباحث المهمّة. فقد تضمّن مقدّمة عامّة عن فحوى هذا الفصل، ثم بيان أهمية الخشوع ومنزلته ومكانته في العبادة ثم في الصلاة على وجه الخصوص. ثم عرضاً شاملاً ومفصّلاً للآيات الكريمة من القرآن الكريم التي جاءت بلفظ (الخشوع)، وكذلك الآيات التي جاءت بالخشوع (معنىً)، حيث تمّ تفسيرها وشرحها واستعراض معانيها من مصنفات التفاسير المأثورة والمعاصرة بشكل متكامل، مع التركيز على الكلمة ذاتها، وهي (الخشوع) وأهميتها ومدلولها في السياق، وما تؤدي إليه من معانٍ إيمانية عظيمة.

ثم خُتم كل محور من المحاور الخمسة التي تمّ تصنيفها عند تفسير الآيات الكريمات ببيان الآثار أو المبادىء التربوية المستنبطة منه.

وقد تبين في ختام هذا الفصل أهمية الخشوع في العبادة، ولا سيَّما في الصلاة، وأنه خُلق إيماني عظيم القدر، يُثمر عن نتائج إيجابية كثيرة، تجعل منه رافداً مهماً لا يمكن إغفاله عند الحديث عن الميدان التعليمي والعملية التربوية؛ لما له من أهمية كبيرة في ترسيخ الثوابت الإيمانية في قلوب الناشئة والشباب إذا وُجدت الأساليب التربوية المناسبة لإيصاله إلى أذهان وقلوب الطلاب. وهذا ما ستبيِّنه هذه الدراسة عند الحديث عن التطبيقات التربوية للخشوع.

❑ ❑ ❑

# الفصل الرابع
# مكانة الخشوع في السُّنة النبوية
# وعند بعض الصحابة رضي الله عنهم

ويحتوي على المباحث التالية:

**المبحث الأول: مكانة الخشوع في السُّنة النبوية**، وفيه محوران:

**المحور الأول:** الرسول ﷺ رحمة مهداة.

**المحور الثاني:** متابعة الرسول ﷺ من دلائل الإيمان والخشوع.

**المبحث الثاني: منهج الرسول ﷺ في العبادة**، وفيه محوران:

**المحور الأول:** كيفية صلاة الرسول ﷺ.

**المحور الثاني:** الصلاة المخبتة الخاشعة وأثرها على النفس المؤمنة.

**المبحث الثالث: الخشوع في أحاديث الرسول ﷺ**، وفيه ثلاثة محاور:

**المحور الأول:** بيان الأحاديث الواردة في الخشوع لفظاً.

**المحور الثاني:** بيان الأحاديث الواردة في الخشوع معنىً.

**المحور الثالث:** بعض المواقف التطبيقية والتربوية عن الخشوع في حياته ﷺ.

**المبحث الرابع: بعض مظاهر الخشوع عند بعض الصحابة رضي الله عنهم والتطبيقات التربوية.**

**أولاً:** فضل الصحابة رضي الله عنهم.

**ثانياً:** أنهم أفضل الناس خشوعاً بعد النبي ﷺ.

**ثالثاً:** بعض مظاهر الخشوع عند بعض الصحابة رضي الله عنهم والتطبيقات التربوية.

رابعاً: بعض مظاهر الخشوع عند بعض المربِّين المسلمين والتطبيقات التربوية.

ـ الإمام ابن القيِّم ومدى اهتمامه بالخشوع.. والتطبيقات التربوية.

# المبحث الأول

# مكانة الخشوع في السنة النبوية

لقد أرسل الله تعالى نبيّ الهدى والرحمة وخاتم الأنبياء والرسل نبيَّنا محمداً ﷺ رحمةً لجميع العالمين وهدىً لجميع المتقين. أرسله بكلِّ علمٍ نافع، ودليل صادق، وهدى نافع، علّم به بعد الجهالة، وهدى به من الضلالة، ما بقي من أصول الدين وفروعه إلا بيّنه، ولا قاعدة وأصل من علوم الكون إلا أسّسه واحتلّه، فالعلم الصحيح ما قام عليه الدليل، والنافع والمعارف ما جاء به الرسول، شريعته الكاملة هيمنت على جميع الشرائع السابقة وتمّمتها، وسنّته وضّحت أمور الدين والدنيا وبيّنتها، فهي في غاية العدل والحسن، فأحكامه في العبادات والمعاملات أحسن الأحكام، فالعقول تهتدي وتقتدي بأقواله وأفعاله، وتعترف بافتقارها إليه في كلِّ أحواله، فهو ﷺ أعظم الخلق حِلماً وصبراً، وأكثرهم عفواً عن الخلق وصفحاً، وأجمعهم لجميع المحاسن والكمالات، وأكرمهم في الخير والمعروف وبذل الخيرات، وهو الذي جمع الكرم والإحسان بعلمه وعمله وحاله وماله، وهو الذي أرشد إلى الحق في جميع أحواله، وبذلك ملأ قلوب أمّته رحمة وبرّاً وإحساناً، وأوصلهم إلى السعادة والفلاح في دنياهم وآخرتهم. يقول تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

لقد كان ﷺ أكمل الناس عِلماً وإيماناً وخشوعاً، فقد ملأ الله تعالى به القلوب عِلماً ويقيناً وإيماناً، وشمل به الأرجاء عدلاً ورحمةً وخيراً وحناناً، طهّر الله به القلوب من الرذائل، واستكملت به جميع الفضائل، استبدل به

المؤمنون بعد الشرك إخلاصاً لله تعالى وتوحيداً، وبعد الانحراف عن الحقِّ هدايةً واستقامةً، وبعد الفتن والاختلاف أُلفةً واعتصاماً بحبل الله، وبعد القطيعة والعقوق براً وصلة، وبعد الظلم والجور وسوء المعاملات عدلاً ووفاءً بجميع الحقوق والمعاملات.

ومنزلة الرسول ﷺ عظيمة، ومكانته جليلة القدر عند الله تبارك وتعالى. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: ١-٤].

وفي هذه الآيات الكريمة يبين ابن عطية الأندلسي معانٍ إيمانية عظيمة تدلّ على عِظم منزلة الرسول ﷺ، وذلك بقوله: «عدّد الله تعالى على نبيِّه ﷺ نعمَهُ عليه في أنْ شرح صدره للنبوة وهيّأَهُ لها. وفي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ يقول: معناه: نوّهنا باسمك وذهبنا بك كلّ مذهب في الأرض»[١].

ويقول سيد قطب معلقاً بأسلوب مفعم بالإيمان في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾:

«أي رفعناه في الملأ الأعلى، ورفعناه في الأرض، ورفعناه في هذا الوجود جميعاً، رفعناه فجعلنا اسمك مقروناً باسم الله كلما تحركت به الشفاه: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، وليس بعد هذا رفع، وليس وراء هذا منزلة، وهو المقام الذي تفرّد به ﷺ دون سائر العالمين، ورفعنا لك ذكرك في اللوح المحفوظ. ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهي العظيم الرفيع، وكان مجرد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذِكر لم ينلْها أحدٌ من قبل ولا مِن بعد في هذا الوجود»[٢].

---

(١) الأندلسي، ١٤١١هـ، ج١٦، ص٣٢٥، ٣٢٦.

(٢) قطب، ١٤٠٢هـ، ج٦، ص٣٩٣٠.

وهو ﷺ الأمين على أمته، الحريص عليها، وهو رؤوفٌ رحيمٌ بها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

## المحور الأول: الرسول ﷺ رحمة مهداة

ومن بشائر رحمته ﷺ بأمته أنهم في كنفه واهتمامه ﷺ، وهو يرشد الأمة إلى عدم القنوط واليأس، وكما بيّن الله تعالى في كتابه الكريم بطلان صفة القنوط واليأس، وأنها ليست من جِبلّة العبد المؤمن، وهو ﷺ يُبين أن المعاصي والذنوب والأخطاء والزلاّت فترة عابرة زائلة في حياة الإنسان يقع فيها الإنسان بجهله وغروره وقصر نظره حيناً، وبإغواء الشيطان وإغواء النفس بعض الأحيان، وأنّ الصلاح والصلاحية والاعتراف بالذنب والندامة أصلاً من أصول فطرته وجوهر إنسانيته، وأنّ الابتهال إلى الله والتضرّع والتذلُّل إليه والعزم الأكيد على عدم العودة إلى الذنب دليل على شرف الإنسان وأصالة معدنه.

إنّ نبيّنا محمداً ﷺ فتح أمام المذنبين الخطائين الغارقين في حمأة المعصية والرذيلة إلى آذانهم باباً واسعاً للتوبة، ودعا إليها الناس دعوةً عامة، وشرح فضل التوبة شرحاً وافياً، وأفاض فيه إفاضة واسعة، وهو لم يدعُ إلى التوبة كوسيلة اضطرارية يتدارك بها الإنسان ما فاته فحسب، بل رفع من شأنها حتى صارت من أفضل العبادات والقربات عند الله، وصارت طريقاً سهلاً للوصول في أقرب وقت إلى أقصى درجات القُرب والولاية، يُضبط عليها النُّساك والزهّاد والأبرياء والأطهار من عباد الله الخاشعين المتذللين.

«ومن هنا تتضح المنزلة العليا للنبي ﷺ، فقد كانت بعثته ﷺ نعمة كبرى من الله تعالى وتفضّلاً منه على العالمين، إذ كان سبباً في إخراجهم من الظلمات إلى النور وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، لذلك امتنّ الله عليهم

بعثته إليهم، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]»(١).

«فمخاطبة الله تعالى للعرب بأنّ الرسول ﷺ من أنفسهم تذكير لهم بأنه لهم ناصح ومحبّ، وعليهم مشفق، وعلى هدايتهم حريص، وأنه بهم رفيق، وعليهم مشفق، ويشقّ عليه ضلالُهم، ويفرح لهدايتهم. وورد أحاديث كثيرة تبين بعض مظاهر الرحمة المهداة والمتمثلة في المصطفى ﷺ، فمن ذلك: وفاته ﷺ قبل أمّته، ليكون لها سَلَفاً. ففي الحديث: «إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمّة من عباده قبض نبيَّها قبلها فجعله لها فرطاً وسلَفاً بين أيديها، وإذا أراد مهلكة أمّة، عذّبها ونبيّها حيّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقرّ عينَه بهلكتها حين كذّبوه وعصوا أمرَه»(٢).

وهو ﷺ رحمة عامّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

كما أنه نور يضيء طريق الهداية للناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٧٨].

ويصوّر الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه حقيقة منزلته ﷺ، وأنه رحمة مهداة وسراج منير بقوله رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء من المدينة كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلمَ كلُّ شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا(٣).

---

(١) الهوساوي، ١٤١٦هـ، ص٣١١، بتصرف.

(٢) مسلم، ج٤، حديث رقم: ٢٢٨٨.

(٣) رواه الترمذي، ج٥، ص٥٨٨، حديث رقم: ٣٦١٨.

وتتجلى في رسالة النبي الكريم كلُّ صور الرحمة، فقد رفع الله عن أمّته الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة، فيسّر لها الدين، ورفع عنها الحرج، ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقد امتلأت نفس الرسول ﷺ الكريمة بالرحمة، وأوصى أتباعه بأن يكونوا رُحماء، كما وصفهم القرآن في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن دلائل رحمته ﷺ بأمّته أنه ﷺ ادّخر دعاءَه المستجاب لأمته يوم القيامة. يقول ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في «صحيحه»: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة..» الحديث[1].

وكذلك قيامه ليلة كاملة متخشّعاً باكياً ﷺ بآية واحدة من كتاب الله الكريم داعياً لأمته. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (صلى رسول الله ﷺ ليلةً فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها، ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فلما أصبح قلت: يا رسول الله، ما زلتَ تقرأ هذه الآية حتى أصبحت، قال: «إني سألتُ ربي الشفاعة فأعطانيها، وهي آتلة إن شاء الله مَن لا يشرك بالله شيئاً»)[2].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم: ٣٣٨.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج٣، حديث رقم: ٢٤٠.

وقال تعالى قاصّاً عن عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه فقال: «اللهم أُمّتي أُمّتي» وبكى، فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إلى محمد ـ وربُّك اعلم ـ وسلهُ: ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله بما قال ـ وهو أعلم ـ، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد ﷺ فقل: إنّا سنُرضيك في أمّتك ولا نسوؤك[١].

ومن رحمته ﷺ بأمّته: تجوّزه في الصلاة إذا سمع بكاء الطفل حتى لا تُفتتن أمّه، وجعل ذلك نبراساً وهدياً نبوياً لكلِّ مَن يؤمّ الناس بأن يراعي أحوالهم وظروفهم، حتى يؤدوا صلاةً خاشعة بعيدة عن كل المشاغل الدنيوية الكثيرة والتي لا تُعدّ ولا تُحصى.

«وبعد؛ فهذا غيض من فيض، وكلُّه يشهد لهذا النبي الكريم ﷺ بأنه رحمة مهداة، وأنه غرس معاني الرحمة في أصحابه وأوصاهم بها، وملأ تعاليمه بذكرها، وشمل بها كلّ ذي روح من إنسان وحيوان، وسبق ذلك كلَّ لوائح حقوق الإنسان الحديثة وكلّ جمعيات البرّ والرفق بالحيوان، ممّا يحسبه بعض الناس من خصائص الحضارة الغربيّة وعطائها، فلا عجب أن كانت بعثته رحمةً للعالمين، وأن يعبّر عن جوهر رسالته بقوله عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة»[٢]. وسوف تظلّ تعاليمه تمسح جراحات المعذَّبين، وتلمس حنايا المستضعفِين، وتلين قلوب المتجبرين، وتملأ الحياة بالحُبّ والدفء والرحمة..»[٣].

---

(١) مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، حديث رقم: ٣٤٦.

(٢) الترمذي، ج٤، ص٦٥٤، حديث رقم: ٢٤٨٩.

(٣) العمري، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٦٣٥، ٦٣٨، بتصرف.

## المحور الثاني: متابعة الرسول ﷺ من دلائل الإيمان والخشوع

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فقد دلّت هذه الآية الكريمة على وجوب محبة الرسول ﷺ، ووضعت ميزاناً لهذه المحبة تقاس به، فليس المطلوب أن يحبّ المؤمن رسول الله ﷺ كحبِّه لأبيه وبنيه وأهله وماله فحسب، بل ينبغي أن ترجّح كفة محبة الله ورسوله على سائر ما يحبّ، فلا يكون في قلبه محبة لشيء تزيد على محبته للرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ سبب خروجه من ظلمات الجهالة والضلالة، وسعادته بالعلم والهداية، وإنقاذه من ضنك الدنيا وعذاب الآخرة، فنعمة الإيمان الحاصل سببُه ﷺ أعظم من سائر النعم، وأكبر من كلِّ الفوائد، فحقٌّ على مَن أدرك عظمة هذه النعمة أن يحبّ مَن أوصلها إليه. وقد أدرك الصحابةُ رضي الله عنهم هذه المعاني، فتعلّقوا برسول الله ﷺ أشدّ التعلّق، وأحبّوه أعظم الحُبّ، وفدوه بالنفس والأهل والمال.

قال صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فبينا نحن عنده إذْ ناداهُ أعرابي بصوتٍ له جهوري: يا محمد. فأجابه رسول الله ﷺ نحواً من صوته: «هاؤم»، وقلنا له: ويحك، اخفض من صوتك، فإنك عند النبي ﷺ، وقد نُهيتَ عن هذا، فقال: والله لا أخفض. قال الأعرابي: المرء يحبّ القوم ولا يلحق بهم. قال النبي ﷺ: «المرء مع مَن أحبّ يوم القيامة»[١].

---

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص٢٠٣٤، حديث رقم: ٢١٤٠.

قال أنس رضي الله عنه معلقاً على هذا الحديث الشريف: (فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدّ من قول النبي ﷺ: «فإنّك مع مَن أحببت»)[١].

«وإنما كان فرحهم بهذا القول عنه ﷺ أشدّ من فرحهم بسائر أعمال البرّ، أنهم لم يسمعوا إلا في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي ﷺ والكون معه إلا حُبّ الله ورسوله.

وقد بيّن ﷺ حدود المحبة اللازمة عندما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، أنت أحبّ إليّ من كلِّ شيء إلا نفسي، فقال: «لا، والذي نفسي بيده حتى أكونَ أحبّ إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنّك الآن والله لأنتَ أحبّ إليّ من نفسي، فقال: «الآنَ يا عمر»[٢].

وعلامة هذه المحبة هو اتّباع الرسول ﷺ، وعدم التقدم عليه بالقول أو بالعمل. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

فلا يكون رأي الإنسان أحبّ إليه من حديث الرسول ﷺ وحُكمه. وعلامة حدود المحبة وبلوغها المرتبة الواجبة: أن تكون نُصرة السنّة وقمع البدعة والذبّ عن الشريعة أحبّ لديه من رعاية مصالحه والحفاظ على نفسه وأهله وماله وجاهه؛ لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[٣]. [٤].

«والمحبة الحقيقية للرسول ﷺ إنما تكون في اتّباعه ﷺ في سائر العبادات التي بيّنها للمؤمنين، والحذر من البدع والمحدثات. قال تعالى:

---

(١) مسلم، المرجع السابق، حديث رقم: ٢٦٣٩.

(٢) البخاري، حديث رقم: ٦٦٣٢.

(٣) مسلم، حديث رقم: ٧٠.

(٤) القرطبي، ١٣٨٥هـ، ج٣، ص٢٥٠.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]: «إنّ حبّ الله ليس دعوى باللسان، ولا هياماً بالوجدان، إلا أن يصاحبه الاتّباع لرسول الله ﷺ والسير على هداه، وتحقيق منهجه في الحياة، وأن الإيمان ليس كلمات تُقال، ولا مشاعر تجيش، ولا شعائر تُقام، ولكنه طاعة الله والرسول، والقيام بمنهج الله الذي يحمله الرسول ﷺ»[١].

ومن مظاهر متابعته ﷺ: الاعتقاد القلبي الجازم بأنه رحمة مهداة، وأنّ هديَهُ موصل إلى السعادة في الدارين، ومن ذلك أيضاً: طاعته والاقتداء به، ومحبة ما جاء به ودعا إليه، ونُصرته في دينه، ونُصرة المؤمنين به من آل بيته وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وتوقيره وتعظيمه عند ذِكره وذكر شمائله وعند الوقوف على قبره للسلام عليه وعلى صاحبيه، وعند الجلوس في مسجده والصلاة فيه، وذلك بخفض الصوت وعدم ارتكاب أيّ حدثٍ فيه من قولٍ أو عمل أو اعتقاد، وعدم إقراره أو الرضا به.

كما أنّ طاعته واتّباعه ﷺ من الأمور الواجبة. قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[محمد: ٣٣]، وبقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، ويدلّ على عظم شأن طاعته ﷺ قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]. وقوله ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتُكم عنه فاجتنبوه»[٢].

وخلاصة القول: أنّ اتّباعه ﷺ في كل قولٍ وفعل وعمل يقوي الجانب الإيماني لدى المسلم، ويتحقق ذلك الاتّباع بالتمسك بسنّته والاهتداء

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ج١، ص٣٨٧، بتصرف.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ١١١٢.

بهديه، وذلك كالمحافظة على راتبة الفجر، وسنّة الوتر، والرواتب مع الفرائض، والمحافظة على صلاة الجماعة، والرغبة في الصفّ الأول والذي يليه، ونافلة الضحى، والصلاة بعد الوضوء، وترك الصلاة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها، وعدم الابتداع في العبادات وما ليس من هديه ﷺ. والالتزام بحسن السمت وخفض الصوت، وطهارة الجسد واللباس، وتحري الصدق في القول والعمل. وطلب الحلال في الطعام والشراب واللباس والنكاح. وحُبّ المساكين والإحسان إليهم، وزيارة القبور للترحم على أهلها والاستغفار لهم والتذكّر بحالهم. والالتزام بمبدأ قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وبمبدأ قوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمرٍ فأْتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[١].

ومعنى المتابعة له ﷺ: أن يكون اعتقاد العبد وقوله وعمله تابعاً لاعتقاد رسول الله ﷺ وعمله، فلا يخالفه في شيء من ذلك بتقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان، فلا يبتدع المسلم بدعة، ولا يعمل ببدعة ابتدعها غيره، وذلك لقوله ﷺ: «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كل محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة»[٢].

«وردّ كل قول غير قوله ﷺ، وترك كل تشريع يردّ شرعه، والإعراض عن كل ما خالف هديه ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل، والأخذ بكل ما صحَّ عنه وثبتَ نسبته إليه، والتمسك بالسنة الواجبة والمستحبة على حدٍّ سواء»[٣].

---

(١) مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ١١١٢.

(٢) ابن ماجه، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ج١، ص١٥، حديث رقم: ٤٢.

(٣) الهوساوي، ١٤١٥هـ، ص٤٠، بتصرف.

# المبحث الثاني

## منهج الرسول ﷺ في العبادة

يتمثل منهج الرسول ﷺ في العبادة بإقامة الفرائض، والإكثار من النوافل، والاهتمام بالعبادات القلبية من ذكر وخشوع وإنابة، رغم غفران الله تعالى له ورضاه عنه. قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١-٢].

وقد نزلت عليه سورة الفتح في طريق عودته من الحديبية إلى المدينة، بعد عقد صُلح الحديبية، وكان فرح الرسول ﷺ بها عظيماً؛ لما فيها من إقرار لموافقته على الصلح، وتبشير للمسلمين بأنّ ما تمّ فتحٌ لهم لِما وراءه من الخير الكثير الذي تحقق بانتشار الإسلام بعد الصلح، وكذلك فإنّ الآية أخبرت رسول الله ﷺ بالبشارة العظيمة: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

فما كان حال النبي ﷺ الموعود بغفران الذنوب؟ هل ترك العمل وجنح إلى الراحة؟ وهل كلّ ذلك الغفران من جدّه في العبادة واجتهاده في الجهاد؟ وهل قنع بما قدّم وطوى صفحات الكفاح في السِّلم والحرب؟

إنّ رسول الله ﷺ لم يفعل ذلك، بل مضى دؤوباً في ملء أشواق روحه وتطلّعات قلبه الذي انغمر بمحبة الله تعالى. ولم يعد يفيض إلا الذكر والشكر، فقد كان ﷺ يكثر من ذكر الله تعالى في كلِّ وقت. لقد بلغ الستّين من عمره ـ أو كاد ـ حين نزول سورة الفتح، وكان العقدان الأخيران حافلَيْن بمهامّ جسيمة تمثلت في أعباء الرسالة وتبليغها، ومقارعة خصومها بالحجّة والبيان في مكة، ثم بالحجة والجهاد في المدينة، وهو في صراعٍ طويل من

أجل الحقّ، لا يدع التزوّد من طاقات الروح الهائلة المفعمة بالإيمان وصدق التعلق بالله تبارك وتعالى.

وقد كان ﷺ يهدف في منهجه في العبادة إلى توثيق صلة القلب بالله تعالى بصورة دائمة كما بيّنت ذلك عائشة رضي الله عنها بقولها: (كان عمله ديمة)[١].

وكان ينوّع في عبادته ما بين صوم وصلاة وذِكر وتعليم وجهاد. وهكذا فإنّ منهجه ﷺ في العبادة هو الاتّصال الدائم بالله تعالى في جميع الأوقات والهيئات.

ويمكن عرض منهج للرسول ﷺ في العبادة من خلال المحاور التالية:

## المحور الأول: كيفية صلاة الرسول ﷺ:

يكتسب هذا المحور أهمية كبيرة؛ لأنه يبيّن كيفية صلاة الرسول ﷺ المعلم الأول وهادي البشرية إلى طريق الهدى والصراط المستقيم، ولأنّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال الله تعالى مخاطباً محمداً ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فقام ﷺ بأعباء الرسالة حقّ القيام، وكانت الصلاة من أعظم ما بيّنه الرسول ﷺ للناس قولاً وعملاً، حتى إنه صلّى مرةً على المنبر والناسُ ينظرون وهو يقوم ويركع ﷺ، حتى يبيّن للناس أعظم فريضة، ثم قال لهم: «إنما صنعتُ هذا لتأتمّوا بي ولتعلموا صلاتي». وأوجب علينا الاقتداء به فيها، فقال: «صلوا كما رأيتموني أصلّي». وبشّر ﷺ أنّ مَن صلاّها نحواً من صلاته أنّ له عند الله عهداً أن يدخله الجنة، فقال ﷺ: «خمس صلوات

(١) الألباني، ١٤٠٣هـ، ص١٦٤.

افترضهنّ الله عز وجل، مَن أحسنَ وضوءهنّ وصلاهنّ لوقتهنّ، وأتمّ ركوعَهن وسجودهنّ وخشوعهنّ، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومَن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذّبه»(١).

وقبل الحديث عن كيفية صلاة النبي ﷺ فإنه لا بدّ ـ ولو بطريقة ميسَّرة ـ من بيان أهمية الطهارة للصلاة، وأنه «لا صلاة لمَن لا طهورَ له»(٢). ولأنّ الطهارة من شروط صحّة الصلاة. وكذلك لأنّ إسباغ الوضوء من أسباب الخشوع، كما سيأتي بيانه:

١ ـ للطهارة والوضوء أثرٌ عظيم على الخشوع في الصلاة وحضور القلب، فعندما يعلم المصلي أنّ الاهتمام بالطهارة للعبادة والصلاة وتعظيم شأنها تخلِّصه من غفلته وكسله، وتُبعده عن وعيد الذين يفرِّطون في أمر الطهارة. فإن ذلك عائد لأهمية الطهارة في الصلاة. بل يمتدّ معنى الطهارة إلى ما هو أعمق من النظافة الحسية الظاهرة، فتنقِّي النفس من أصداء المعاصي وأدران الذنوب، فإذا كانت هذه الجوارح هي التي ترتكب المنكرات، فهو يغسل ظاهرها، وكله عزم ويقين على تطهيرها ـ بإذن الله ـ بالقرب من الله تعالى والبعد عن أسباب سخطه. وبهذه الروح الإيمانية وبهذا الشعور الإيماني الصادق يقف المصلي ـ بعد تأكّده من طهارته ـ بين يدي الله تعالى في صلاته منيباً خاشعاً.

ويتأكد حرص المصلي على طهارة جسده وملبسه ومكانه ما جاء من وعيد شديد في شأن المفرِّط عن قصد في الطهارة الحسية، مثل قوله ﷺ: «لا تُقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»(٣).

---

(١) الألباني، ١٤١١هـ، ص٣٥، ٣٦.

(٢) أبو داود، باب: التسمية على الوضوء، ج١، ص٢٥، حديث رقم: ١٠١.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٢٥.

وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «تنزّهوا عن البول، فإنّ عامّة عذاب القبر منه»(١).

لذلك كان لزاماً على المصلي أن يتحرى طهارة بدنه وثوبه ومكان صلاته قبل أداء الصلاة، إذْ لا يليق مع جلال الوقوف بين يدي الله أن يقف المسلم في صلاته بغير طهارة أو بثوبٍ قد أصابته نجاسة. قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

٢ ـ وكذلك فإنّ من أسباب الاهتمام بالطهارة والوضوء للصلاة: ما جاء من آيات كريمة تبيّن رضا الله عز وجل وحُبّه للمتطهرين، مثل قوله تعالى: ﴿. . . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ذلك لأنّ الوضوء طهارة يستعدّ بها العبد للقاء ربه، فيطهّر بها جوارحه حتى يقف أمام ربّه نقياً طاهراً. فما أعظم لقاء الله في الصلاة، وأجمل بالعبد يسبغ وضوءه موقظاً مشاعره ووجدانه مستعدّاً للقاء خالقه، مستحضراً قوله ﷺ وهو قادم إلى بيت من بيوت الله، وذلك في الحديث الذي رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه قوله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول: أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيّها شاء»(٢).

وكذلك قوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «ألاَ أدلّكم على ما يكفّر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغُ الوضوء على المَكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. . .» الحديث(٣).

---

(١) الألباني، ١٤١١هـ، ج٣، ص٣١٠.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٥٥٢.

(٣) مسلم، المرجع السابق، حديث رقم: ٥٨٦.

والطهارة منزلتها عظيمة، فهي عبادة يتمثل فيها العبد لأوامر خالقه ابتغاء مرضاته، يطهر بها جوارحه، ويغذي بها إيمانه استعداداً للوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى. فالوضوء ينشِّط الجسد، فيخرجه من حالات الكسل والفتور والاسترخاء، وينشّط الذهن ليستعدّ للقاء الله، ويُهيِّئُ المسلم لتذوّق لذّة العبادة بما يمنحه من طهارة حسية في أعضاء الوضوء، وبما يزيل عنه من التوتر والغضب.

٣ ـ وتتكرر عمليه الوضوء في اليوم الواحد خمس مرات أو أكثر، وتستمرّ كل يوم، فيزداد الإنسان طمأنينة وسكينة، ويزداد إيمانه يقيناً وتصديقاً، وتتربَّى النفس المؤمنة على مراقبة الخالق سبحانه وتعالى، فلا يلبث العبد يقترف الذنب حتى يرجع عنه أو يتوب، وذلك بمعاودته لصلاته الخاشعة.

والمداومة على الطهارة في الجسد والثوب والمكان تجعل المسلم في جميع أوقاته طيّب النفس، رفيع الذوق، سامي المشاعر. ولنتأمل ماذا كان حالنا لو لم يشترط الشرع هذه الطهارات.

ومراجعة القلب قبل كلِّ صلاة وتهيئته بالطهارة الحسيّة والطهارة المعنوية يبعث للقلب طمأنينته وللصدر سلامته، فيكون هذا هو حاله في كل وقت. عندئذٍ يقف العبد أمام ربّه لا يشغله شيء من الدنيا، فيخشع لله ويشعر بلذّة العبادة؛ لأنّه هيّأ نفسه لها.

## المحور الثاني: الصلاة المخبتة الخاشعة وأثرها على النفس المؤمنة

عندما نتحدّث عن هذا الجانب ـ وهو كيفية الصلاة الخاشعة ـ فإنّ صاحب الرسالة نبينا وقدوتنا ﷺ هو أعظم مَن صلّى وصام، وعبَد الله تعالى حقّ عبادته. فحريٌّ بِنا أن نتعرّف على كيفية صلاته ﷺ الذي يبلغ فيها الخشوع مبلغه؛ لأنّه عرف حقيقة الخشوع لربّه سبحانه وتعالى ولذّة المناجاة،

وأسمى معاني العبودية لله ربّ العالمين، وهو القدوة الحسنة لنا ﷺ، إذْ لا يمكن أن نعي حقيقة الخشوع في الصلاة وفي العبادة إلا من خلال المثال التطبيقي والتربوي لحياته ﷺ وكيفية أدائه للصلاة ولبقية العبادات.

فقد كان ﷺ:

إذا كبّر طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض بخضوع وإنابة، مستشعراً عظمة ربه سبحانه وتعالى.

وضع اليد اليمنى على اليسرى: فقد كان ﷺ يضع اليمنى على ظهر كفِّهِ اليسرى، وأمر بذلك أصحابه، وكان أحياناً يقبض باليمنى على اليسرى، وكان يضعهما على الصدر، ووضع اليدين بهذه الهيئة على الصدر لا شكّ أنها توحي بحالة مِن الإخبات والمسكنة والخضوع لله ربِّ العالمين.

دعاء الاستفتاح: لدعاء الاستفتاح أثرٌ عظيم في انصراف القلب الخاشع للصلاة وما فيها مِن أذكار ومناجاة وتوجّه صادق إلى اللهِ سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته.

وعندما نتمعّن أدعية الاستفتاح والتي وردت بصِيَغٍ مختلفة ومتعدِّدة، وكلها مأثورة صحيحة عن النبي ﷺ ـ كما سيأتي بيانها ـ نجد أن أدعية نبوية تدلّ على صدق التوجّه والتوحيد الخالص لله الواحد القهار الذي بيده ملكوت كل شيء سبحانه وتعالى. فقد كان ﷺ يستفتح صلاته بأدعية كثيرة متنوّعة يحمد الله تعالى فيها ويُمَجّده ويثني عليه. وقد أمر بذلك (المسيء صلاته) فقال له: «لا تتمّ صلاة لأحد من الناس حتى يكبّر ويحمد الله عز وجل ويثني عليه ويقرأ بما تيسّر من القرآن»[1].

---

(١) الألباني، ١٤١١هـ، ص٩١.

وكان تارةً يقرأ بدعاء، ومرّةً بدعاء آخر، فكان يقول ﷺ:

«اللهمّ باعِد بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب، اللهم نقِّني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَدِ». وكان يقوله في الفرض[١].

وكان يقول: «وجّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين، إنّ صلاتي ونُسكي ومحيايَ ومماتي لله ربِّ العالَمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرتُ وأنا أولُ المسلمين».

وتارةً بقوله: «اللهمَّ أنت الملك لا إلٰه إلاّ أنت، سبحانك وبحمدك أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلاّ أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخيرُ كله بين يديك، والشرّ ليس إليك، وأنا بك وإليك، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك»[٢].

ومنه قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسْمُكَ، وتعالى جَدُّك، ولا إلٰه غيرُك»[٣].

ومن أدعيته ﷺ في الاستفتاح للصلاة، قوله: «الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً». استفتح بها رجلٌ فقال ﷺ: «عجبتُ لها، فُتحت لها أبواب السماء»[٤].

---

(١) الألباني، ١٤١١، ص٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٩٤.

(٣) المرجع السابق، ص٩٥.

(٤) المرجع السابق، ص٩٥.

ومن أدعيته ﷺ في استفتاح الصلاة: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» استفتحَ بها رجُل، فقال ﷺ: «لقد رأيتُ اثني عشر ملكاً أيُّهم يرفعها»[١].

ولما لدعاء الاستفتاح من أثر في الخشوع وتفرغ القلب لصدق المناجاة والعبادة، فقد كان ﷺ يستفتح صلاة الليل بقوله ﷺ: «اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لِما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنّك تهدي إلى صراطٍ مستقيم»[٢].

«وكان يقول ﷺ في استفتاح الصلاة: «الله أكبر ـ ثلاثاً ـ ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظَمة»[٣].

وهكذا نرى من خلال عرض هذه الأدعية المأثورة عنه ﷺ في الاستفتاح للصلاة أنها متعددة ومتنوّعة، وذلك له تأثير كبير على الانصراف للصلاة والخشوع فيها بما تَحمِله من معانٍ إيمانية صادقة. وكان يقرَؤها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بتذلّل وخشوع وإخبات.

وعند الاستعاذة والبسملة: «كان ﷺ يقول بعد دعاء الاستفتاح: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»[٤].

«ثم يقرأ: «بسم الله الرحمٰن الرحيم» لا يجهر بها»[٥].

وأما قراءة الفاتحة والسورة: «كان يقرؤها ﷺ بترتيل وصوتٍ حسن، فقد كان النبي ﷺ يرتّل القرآن ترتيلاً كما أمره الله تعالى بقوله سبحانه:

---

(١) الألباني، ١٤١١هـ، ص٩٦.

(٢) المرجع السابق، ص٩٥.

(٣) المرجع السابق، ص٩٤.

(٤) المرجع السابق، ص٩٦.

(٥) المرجع السابق، ص٩٤.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. ولم تكن تلاوته ﷺ (هذاً ولا عجلة، بل قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً، وكان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها)(١). وكان يقف على رؤوس الآي ولا يصلها بما بعدها»(٢).

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقرأ سورة الفاتحة وهي سبع آيات قدر ما يقرأ غيره خمس عشرة آية؛ للتأني الذي يقر به. وتأمل قوله: «قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً» تفهم حدّ الاعتدال عند القراءة، فإنّ العجلة تذهب بمخارج الحروف، فيدخل بعضها على بعض. وعلم التجويد يحفظ اللسان من أنواع اللحن عند قراءة القرآن، فتعلُّمه ضروري؛ لخشوع القراءة واعتدالها، وهو عِلم يُتلقى عن الشيوخ، فإذا تيسَّر للمسلم دراسته بالسند على أحد علمائه فذاك أسلم وأضمن، ويتبين للمتعلم الكيفية الصحيحة لقراءته ﷺ، وإن لم يتيسّر ذلك فلينصت إلى الأئمة المقرئين أو إلى تسجيلاتهم حتى يتدرّب على مثل قراءة أحدهم.

وقد جاء في حديثين الإشارة إلى أمرين مهمين عند القراءة:

الأول: من آخر الآيات، والثاني: الوقوف عند رؤوس الآيات كما تقدّم.

والظاهر أنّ حدّه كان متعادلاً نهاية كل آية، فإنه ﷺ حريص على التناسب بين أعمال الصلاة.

وقد روى أبو داود وصححه الحاكم ووافقه الذهبي أنه ﷺ كان يقرأ الفاتحة ويقطعها آية آية: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، ثم يقف، ثم يقول: الحمدُ لله ربّ العالَمين، ثم يقف، ثم يقول: الرحمٰن الرحيم، ثم يقف، ثم

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الألباني، مرجع سابق، ص٩٦.

يقول: مالك يوم الدين. وهكذا إلى آخر السورة. وكذلك كانت قراءته كلها. يقف على رؤوس الآي ولا يصلها بما بعدها، وكان تارةً يقرؤها: (ملك يوم الدين)»[١].

(وكان ﷺ إذا فرغ من القراءة سكتَ سكتة، ثم رفع يديه على نحوِ ما يفعل في تكبيرة الإحرام وكبّر وركع)[٢].

«(وكان ﷺ يضع كفيه على ركبتيه كأنه قابضٌ عليهما)»[٣].

(وكان يفرّج بين أصابعه)[٤].

وقال للمسيء صلاته وأمرَه بقوله ﷺ: «إذا ركعتَ فضع راحتيك على ركبتيك، ثم فرّج بين أصابعك، ثم امكث حتى يأخذ كلّ عضوٍ مأخذه»[٥].

(وكان ينحّي مرفقيه عن جنبيه)[٦].

(وإذا ركع بسطَ ظهره وسوّاه)[٧]، (حتى لو صبّ عليه الماء لاستقرّ)[٨].

(وكان ﷺ لا يصوِّب رأسه ولا يقنع)[٩]، (ولكن كان بين ذلك)[١٠].

ومعنى الحديث: أنه ﷺ كما يكون ظهره يكون رأسه في استقامة واحدة.

---

(١) الألباني، ١٤١١هـ، ص٩٦.
(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٧١١.
(٣) البخاري وأبو داود، حديث رقم: ٨٦٨، الموسوعة، ص١٢٨٧، آل الشيخ.
(٤) أبو داود، حديث رقم: ٨٧٨.
(٥) رواه ابن خزيمة، كتاب الصلاة، حديث رقم: ٥٩٧.
(٦) الترمذي، حديث رقم: ٢٧٤.
(٧) البخاري، حديث رقم: ٢٢٨.
(٨) الطبراني، باب: الصلاة، حديث رقم: ٢٥٩٢.
(٩) رواه أبو داود، حديث رقم: ٨٨٣.
(١٠) مسلم، حديث رقم: ٧٧٢.

وكان ﷺ يطمئن في ركوعه، وكان يقول: «أتِموا الركوع والسجود، فوالذي نفسي بيده إني لأراكم من بعدي ـ أي: من ورائي ـ إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم»[١].

وكان ﷺ يقول: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته»، قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق في صلاته؟ قال: «لا يتمّ ركوعها وسجودها»[٢].

وأذكار الركوع متعدّدة؛ منها: (سبحان ربي العظيم (ثلاثاً). وكان أحياناً يكررها أكثر)[٣].

ومنها: (سبحان ربي العظيم وبحمده (ثلاثاً))[٤].

ومنها: قوله ﷺ: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، أنت ربي، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي ـ وفي رواية: عظامي ـ وعصبي وما استقلت به قدمي لله ربِّ العالمين»[٥].

ومن أذكار الركوع: (سُبّوحٌ قدّوسٌ ربُّ الملائكة والروح)[٦].

ومنها: قوله ﷺ: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي». وكان يكثر منها في ركوعه وسجوده، يتأوّل القرآن[٧].

ومنها: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»، وهذا قاله في صلاة الليل[٨].

---

(١) أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم: ٨٨٦.
(٢) الطبراني والحاكم وابن أبي شيبة، كتاب الصلاة.
(٣) أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم: ٨٧١.
(٤) المرجع السابق، حديث رقم: ٨٧٨.
(٥) مسلم، حديث رقم: ٧٧١. ومثله عن النسائي بسندٍ صحيح.
(٦) المرجع السابق، حديث رقم: ٦٢٥.
(٧) البخاري ومسلم، حديث رقم: ٧٩٤.
(٨) رواه النسائي، حديث رقم: ١٠٥٠.

(وكان ﷺ يجعل ركوعه وقيامه بعد الركوع، وسجوده وجلسته بين السجدتين قريباً من السواء)[١].

وقد نهى ﷺ عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، فقال: «ألا وإني نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظّموا فيه الربَّ عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقَمِنٌ أن يستجاب لكم»[٢].

وكان ﷺ يرفع صُلبه من الركوع قائلاً: «سَمع الله لِمن حمده»[٣].

وكان يقول وهو قائم: «ربنا ولك الحمد»[٤].

وكان يرفع يديه عند هذا الاعتدال، وقد يزيد على قوله: «ربنا ولك الحمد»: «ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيءٍ بعد»[٥].

أو يزيد بقوله ﷺ: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى» وهذا هو الذكر الذي قال فيه ﷺ وقد قاله أحد المصلين خلفه: «لقد رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيُّهم يكتبها الأول»[٦].

وكما ذُكر آنفاً، فقد (كان ﷺ يجعل ركوعه وقيامه بعد الركوع، وسجوده وجلسته بين السجدتين قريباً من السواء)[٧].

فعندما نتأمل قوله: «قريباً من السواء» أي أنه إذا أطال القيام من الركوع أطال الركوع والسجود والجلوس بين السجدتين، وإذا توسّط في القيام أو خفّف فعل ذلك في سائر صلاته.

---

(١) البخاري، حديث رقم: ٧٩٢.
(٢) رواه مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٢٠٧.
(٣) المرجع السابق، حديث رقم: ٢٠٢.
(٤) المرجع السابق، حديث رقم: ٢٠٣.
(٥) المرجع السابق، حديث رقم: ٢٠٤.
(٦) رواه أبو داود، حديث رقم: ٦٤٤.
(٧) أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم: ٨٥٢.

«لكن كثيراً من المصلين يخفّفون الركوع والسجود جداً، وكأنها معبر إلى القيام فحسب، فتبدو صلاتهم غير متعادلة. أي أن كلّ ركن من أركان الصلاة ليس بأقلّ من غيره في أحقِّيَّته بالاعتدال والاطمئنان. ولذلك نرى في حديث المسيء لصلاته تكرار الأمر بالاطمئنان في كلّ ركن، حيث قال له ﷺ: «اركع حتى تطمئنّ راكعاً، وارفع حتى تطمئن قائماً، واسجد حتى تطمئنّ ساجداً، وارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلِّها»[(١)].

وهذه التعادل في أداء الأركان سِمة عامة لصلاته ﷺ، منها غير ما ذُكر: قراءة الفاتحة والسورة في الأوليين من الصلاة الرباعية والثلاثية، والاقتصار على الفاتحة في الأخريين.

كما يبدو التعادل في صلاته عليه الصلاة والسلام من جهة الهيئة التي يكون عليها في القيام والركوع والسجود، فإذا قام للقراءة قام مستقيماً لا يترك منه سوى شفتيه، وإذا ركع كانت يداه على ركبتيه في اقتداء كامل، وكان ظهره ورأسه في استقامة واحدة، وإذا سجد كانت هيئة سجوده المرصونة في غاية الاعتدال والاستواء»[(٢)].

أما السجود فقد «كان ﷺ يأمر بإتمام الركوع والسجود، ويضرب لمن لا يفعل ذلك مثل الجائع، يأكل التمرة والتمرتين لا تغنيان عنه شيئاً، وكان يقول فيه: «إنه من أسوأ الناس سرقة». وكان يحكم ببطلان صلاة مَن لا يقيم صُلبه في الركوع والسجود»[(٣)].

---

(١) مسلم، حديث رقم: ٥٥٢.

(٢) توفيق، ١٤١٤هـ، ص٣٥-٣٧، بتصرف.

(٣) الألباني، ١٤١١هـ، ص١٤٥.

«(وكان ﷺ يكبّر ويهوي ساجداً، وأمر المسيء صلاته أن يكبر ويسجد حتى تطمئنّ مفاصلُه)[١].

وكان أحياناً يرفع يديه إذا سجد، رُوي ذلك عن عشرة من الصحابة، وبه قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ»[٢].

وكان يبدأ سجوده باليدين فيضعهما على الأرض ثم ركبتيه، وكان يأمر بذلك، ويقول: «إذا سجدَ أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير، وليضع ركبتيه قبل يديه»[٣].

وكان يسجد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ على سبعة أعضاء: الكفّان، ويجعلهما حذو منكبيه، وأحياناً حذو أذنيه، ويضمّ أصابعهما ويوجّههما نحو القِبلة، ولا يفترش ذراعيه، بل يرفعهما ويباعدهما عن جنبيه حتى يبدو بياض إبطه من ورائه، وحتى لو أن حَملاً أراد أن يمرّ تحت يديه مرّ، والركبتان، والقدمان، ويستقبل بأطراف أصابعهما القبلة، ويرص عقبيه وينصب رجليه. والجبهة والأنف، وكان يقول ﷺ: «إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب: وجهه، وكفّاه، وركبتاه، وقدماه»[٤].

وقال ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»[٥].

١ ـ وأما أذكار السجود؛ فكان ﷺ يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى ـ ثلاثاً ـ»، ويكررها أحياناً أكثر من ذلك[٦].

---

(١) مسلم، حديث رقم: ٦١٢.

(٢) الألباني، مرجع سابق، ص١٥١.

(٣) رواه أبو داود، حديث رقم: ٦٤٣.

(٤) مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٢٣١.

(٥) رواه أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم: ٩٠١.

(٦) المرجع السابق، حديث رقم: ٨٨٦.

٢ ـ وكان يقول: «سُبّوحٌ قدّوس ربُّ الملائكة والروح»[١].

٣ ـ وكان يقول في سجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده، يتأول القرآن[٢].

٤ ـ وكان يقول: «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وأنت ربي. سجد وجهي للذي خلقه وصوّره (فأحسن صوره) وشقّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسنُ الخالقين»[٣].

٥ ـ وكان يقول ﷺ في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقّه وجلّه، أوله وآخره، علانيته وسرّه»[٤].

وللمصلي أن يدعو بما شاء؛ لقوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء فيه»[٥].

(وكان ﷺ يرفع رأسه من السجود مكبراً حتى يستوي قاعداً، وكان يقعد على رجْله اليسرى)[٦].

(وكان ﷺ ينصب رجله اليمنى)[٧]، (مستقبلاً بأصابعهما القِبلة)[٨].

(وكان يطمئنّ في رفعه من السجود حتى يرجع كلُّ عظم إلى موضعه، وأمر بذلك المسيء صلاته)[٩].

---

(١) مسلم، حديث رقم: ٢٢٣.

(٢) رواه أبو داود، حديث رقم: ٨٧٧.

(٣) مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٦٢٠.

(٤) المرجع السابق، حديث رقم: ٢١٦.

(٥) المرجع السابق، حديث رقم: ٢١٥.

(٦) أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم: ٩٥٧.

(٧) البخاري، حديث رقم: ٨٢٨.

(٨) النسائي، حديث رقم: ١١٥٨.

(٩) رواه أبو داود، مرجع سابق، حديث رقم: ٩٥٧.

(وكان يطيل هذه الجلسة حتى تكون قريباً من سجدته)[١]. (وأحياناً يمكث حتى يقول القائل قد نسي)[٢].

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقول في هذا الجلوس: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وعافني وارزقني»[٣]. ثم يسجد السجدة الثانية ويفعل مثلما فعل في الأولى.

و(كان ﷺ يستوي قاعداً على رِجله اليسرى معتدلاً حتى يرجع كل عظم إلى موضعه)[٤]. وتسمى هذه الهيئة بجلسة الاستراحة.

(وكان ينهض معتمداً على الأرض إلى الركعة الثانية)[٥].

(وكان ينهض في صلاته يعتمد على يديه إذا قام)[٦]. وكان يفعل مثلما يفعل في الأولى، غير أنه يجعل الثانية أقصر.

أما التشهد والسلام: «كان ﷺ يجلس للتشهد بعد الفراغ من الثانية، فإن كانت الصلاة ركعتين كالصبح، جلس مفترشاً كما يجلس بين السجدتين. .)[٧] (وكذلكِ في التشهد الأول من الصلاة الثلاثية والرباعية)[٨]. (وإن كان في التشهد الأخير جلسَ متورِّكاً)[٩].

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٨٢٠.
(٢) المرجع السابق، حديث رقم: ٨٢١.
(٣) رواه أبو داود، حديث رقم: ١٠٠٨.
(٤) أبو داود، المرجع السابق، حديث رقم: ٩٥٩.
(٥) رواه البخاري، مرجع سابق، حديث رقم: ٨٢٤.
(٦) رواه البيهقي، كتاب الصلاة، حديث رقم: ٥٠٤٣.
(٧) رواه النسائي، حديث رقم: ٣٦.
(٨) رواه البخاري، مرجع سابق، حديث رقم: ٨١٨.
(٩) المرجع السابق، حديث رقم: ٨٢٨.

(وكان ﷺ يضع كفّه اليمنى على فخذه ـ وفي رواية: على ركبته ـ اليمنى، ووضع كفه اليسرى على فخذه ـ وفي رواية: ركبته ـ اليسرى)[١].

(وكان يضع حدّ مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى)[٢]. أي نهاية المرفق، فلا يرفعه عن جنبه.

(وكان يبسط كفه اليسرى على ركبته اليسرى، ويقبض أصابع كفّه اليمنى كلها، ويشير بأصبعه التي تلي الإبهام إلى القبلة، ويرمي ببصره إليها)[٣]. (وكان إذا أشار بأصبعه وضع إبهامه على أصبعه الوسطى)[٤]. (وتارةً كان يحلّق بها حلقة، وكان يحرك أصبعه يدعو بها)[٥]. (وكان يفعل ذلك في التشهدين جميعاً)[٦].

«وكان يتشهد ويصلي على نفسه ويدعو بعد الفراغ من قراءة التحيات والصلاة على نفسه ﷺ. وكان ﷺ يدعو في صلاته بأدعية متنوّعة تارةً بهذا وتارةً بهذا. وأقرّ أدعية أخرى. وأمر المصلي أن يتخيّر منها ما شاء»[٧].

وكان ﷺ يقول: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليستعذ بالله من أربع: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال، ثم ليدعو لنفسه ما بدا له»[٨].

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١١٢.
(٢) رواه أبو داود والنسائي، حديث رقم: ١١٦١.
(٣) رواه ابن ماجه، حديث رقم: ٩١٢.
(٤) رواه مسلم، حديث رقم: ١١٣.
(٥) رواه أبو داود والنسائي، مرجع سابق، حديث رقم: ١٢٧٤.
(٦) رواه النسائي، حديث رقم: ١١٦٢.
(٧) الألباني، ١٤١١هـ، ص١٨٢.
(٨) رواه مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ١٨٢.

وكان يقول عند التسليم: «السلام عليكم ورحمة الله» عن يمينه حتى يُرى بياض خدّه، ويقول مثل ذلك عن يساره[١].

(وكان أحياناً يزيد في التسليمة الأولى: (وبركاته))[٢].

وكان إذا قال عن يمينه: «السلام عليكم ورحمة الله» اقتصر أحياناً على قوله عن يساره: «السلام عليكم»[٣]. وأحياناً كان يسلّم تسليمة واحدة: «السلام عليكم» تلقاء وجهه يميل إلى الشقّ الأيمن شيئاً أو قليلاً[٤].

**المبادئ التربوية المستفادة من كيفية صلاته ﷺ:**

١ ـ أنه ﷺ هو القدوة، وهديهُ خير الهدي، وفيه النجاة والسعادة في الدارين.

٢ ـ أنّ بيان كيفية صلاته ﷺ فيه كثير من التوضيح، إذ يمكن للمصلي أن يأتي بالصفة على وجه السرعة والعجلة. ولكن عندما يتوقف عند كيفية وصفة قراءته وركوعه وسجوده وسائر صلاته ﷺ فإن ذلك يحتاج إلى مِران وتدريب؛ لكون الصلاة علماً في صدره، ثم يبدأ في إصلاح صلاته بهذا العِلْم حتى تصفو من كلِّ المؤثرات الفكرية والنفسية والحسية.

٣ ـ أن تحلي المصلي بالسكينة والوقار في أثناء ذهابه للصلاة، وفي أدائه للصلاة، ومراعاة الطمأنينة في كل أركان الصلاة.

٤ ـ التعوُّد على المحافظة على الأوقات، والحرص على النظام والدقّة في أداء العمل.

❑ ❑ ❑

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٢٩٥.
(٢) رواه أبو داود، حديث رقم: ٩٩٧.
(٣) النسائي، حديث رقم: ١٣١٩.
(٤) الإرواء، حديث رقم: ٣٢٧.

# المبحث الثالث

# الخشوع في أحاديث الرسول ﷺ

حياة الرسول ﷺ كانت مليئة بالعِبر والعِظات والدروس الإيمانية المستفادة، وكانت نبراساً لصحابته رضي الله عنهم، ينهلون من هديه ﷺ أصدق صور الإنابة والخشوع والخشية لله تعالى وصدق التعلّق به سبحانه رغبةً وطمعاً فيما عنده عز وجل من الأجر والثواب. وكانت حياته ﷺ كلها دلائل إيمانية صادقة على صدق الحياة الإيمانية الخاشعة المنيبة، كيف لا تكون كذلك وقد امتلأ قلبه ووجدانه ﷺ بالذّكر والطاعة وحُبّ الله تعالى! وحتى تتضح تلك الصور الإيمانية للخشوع في حياته ﷺ، نحاول هنا بيان بعض الأحاديث الشريفة التي دلّت على الخشوع لفظاً، ثم بعض الأحاديث الدالّة على الخشوع بالمعنى، يتبعها بعض الأمثلة التطبيقية لمظاهر الخشوع في حياته ﷺ.

وينقسم هذا المبحث إلى المحاور التالية:

## المحور الأول: الأحاديث الواردة في الخشوع لفظاً

أ ـ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرىءٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارةً لِما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة. وذلك الدهر كلّه»[1].

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٥٣.

ب ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مثل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كمثل القائم الخاشع والراكع الساجد»[١].

جـ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قِبلتي هاهنا؟! والله ما يخفى عليّ ركوعكم ولا خشوعكم، وإني لأراكم من وراء ظهري..»[٢].

د ـ عن هشام بن إسحاق بن عبد الله بن كنانة عن أبيه قال: أرسلني أمير من الأمراء إلى ابن عبّاس أسأله عن الاستسقاء، فقال ابن عباس: ما منعه أن يسألني: (خرج رسول الله ﷺ متواضعاً متبذِّلاً مُتخشِّعاً متضرّعاً، فصلى ركعتين كما يصلي في العيدين، ولم يخطب خطبتكم هذه)[٣].

## المحور الثاني: الأحاديث الواردة في الخشوع معنىً

الأحاديث الشريفة التي وردت في الخشوع معنىً أكثر من أن تُحصى، ولكن نورد ما غلبَ على ظني أنه يلتصق بالموضوع أكثر من غيره. وإلا فإنّ حياة رسول الهدى والرحمة ﷺ كلها حياة تضرّع وخشوع وإنابة وتفكّر وصدق تعلّق بالله تبارك وتعالى.

وأورد هنا بعض الأحاديث التي وردت عن الخشوع بالمعنى:

١ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي فروّحتُها بعشيّ، فأدركتُ رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس، فأدركتُ من قوله: «ما من مسلمٍ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٨٨٤.

(٢) المرجع السابق، حديث رقم: ٤٢٤.

(٣) النسائي، حديث رقم: ١٥٢٢

مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة»، قال: فقلت: ما أجود هذه؟! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود، فنظرتُ فإذا عمر قال: إني قد رأيتُك جئتَ آنفاً، قال: «ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول: أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيّها شاء»[١].

٢ ـ عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم رجُل يقرّب وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرّت خطايا وجهه ـ وفيه: وخياشيمه ـ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله، إلا خرّت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين، إلا خرّت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه، إلا خرّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين، إلا خرّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإنْ هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل، وفرّغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئة يوم ولدته أمّه»[٢].

٣ ـ عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، قال: «ومَن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[٣].

---

(١) مسلم، حديث رقم: ٢٣٤.

(٢) رواه النسائي، مرجع سابق، حديث رقم: ١٤٧.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٣٠٦.

## المحور الثالث: بعض المواقف التطبيقية والتربوية عن الخشوع في حياة النبي ﷺ

١ ـ **تعليمه ﷺ لخلاد بن رافع عندما دخل عليه في المسجد وصلى صلاةً** ليس فيها طمأنينة ولا خشوع. وهذا الحديث اشتهر اسمه عند أهل العلم بـ (حديث الرجُل المسيء في صلاته)، وفيما يلي نصّ الحديث الشريف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجلٌ فصلى، ثم جاء فسلّم على رسول الله ﷺ. فردّ رسول الله ﷺ السلام، فقال: «ارجع فصلِّ، فإنّك لم تُصلِّ»، فرجعَ الرجُل فصلى كما كان صلى، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلّم، فقال رسول الله ﷺ: «وعليك السلام»، ثم قال: «ارجع فصلِّ، فإنّك لم تصلِّ»، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فقال الرجُل: والذي بعثك بالحقّ، ما أُحسن غير هذا، علِّمْني. قال: «إذا قُمتَ إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثمّ ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[(١)].

٢ ـ **هيئته ﷺ عند خروجه لصلاة الاستسقاء كما ورد في أحاديث الخشوع** لفظاً ما رواه النسائي ـ رحمه الله ـ (أنه ﷺ إذا خرج لصلاة الاستسقاء خرجَ متواضعاً متخشعاً متذلّلاً)[(٢)].

٣ ـ **مخاطبة الله تعالى لنبيه ﷺ بقيام الليل وقبلها بتبليغ الرسالة الخالدة**؛ لينذر الناس ويدعوهم إلى عبادته سبحانه.

---

(١) المرجع السابق، حديث رقم: ٧٩٣.

(٢) رواه النسائي، حديث رقم: ١٥٠٧.

وقد بيّن تلك الصورة الإيمانية المشرقة وأبدع في تصويرها صاحب «الظلال» ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لسورة المزمل:

«قيل لرسول الله ﷺ: (قُم)، فقام وظلّ قائماً بعدها أكثر من عشرين عاماً لم يسترح ولم يسكن، ولم يعش لنفسه ولا لأهله، قام وظلّ قائماً على دعوة الله، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به. عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها، عبء العقيدة كلها، حمل ﷺ عبء الكفاح والجهاد في ميدان الضمير البشري الغارق في أوهام الجاهلية وتصوّراتها الفاسدة، والمثقل بأثقال الأرض وجواذبها، المكبَّل بالشهوات وأغلالها، حتى إذا خلص هذا الضمير في بعض صحابته وأصبحوا عوناً له بعد عون الله تعالى، بدأ معركة أخرى في ميدان آخر، بل معارك متلاحقة مع أعداء دعوة الله المتألّبين عليها وعلى المؤمنين، الحريصين على قتل هذه الغرسة الزكية في منبتها، ولم يكد يفرغ من معارك الجزيرة حتى كانت الروم تُعدّ العدّة لهذه الأمّة الجديدة، وتتهيأ للبطش بها. وهكذا قام رسول الله ﷺ، وهكذا عاش في المعركة الدائبة المستمرّة أكثر من عشرين عاماً لا يلهيه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد، منذُ أن سمع النداء العُلْوي الجليل، وتلقى منه التكليف الرهيب صلوات الله وسلامه عليه».

وشطر السورة الأول يمضي على اتباع واحد، ويكاد يكون على روي واحد، هو اللام المطلقة الممدودة، وهو اتّباع رخي وقور جليل، يتمشى مع جلال التكليف وجدّية الأمر، ومع الأهوال المتابعة التي يعرضها السياق.

فأمّا الآية الأخيرة الطويلة، قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ... ﴾ الآية، [المزمل: ٢٠]، فقد نزلت بعد عام من قيام الليل حتى ورمت قدماه الطاهرتان ﷺ. وطائفة من الذين معه، والله تعالى يعدّه ويعدهم بهذا القيام لتحمل أعباء الأمّة وما تواجهه من جهاد وكفاح وتضحية وصبر.

والسورة بشطريها تعرض صفحةً من تاريخ هذه الدعوة تبدأ بالنداء العُلوي الكريم بالتكليف العظيم، وتصور الإعداد له والتهيئة بقيام الليل، والصلاة، وترتيل القرآن، والذكر الخاشع المُتبتّل، والتوكل على الله وحده، والصبر على الأذى، والهجر الجميل للمكذبين.

إنها لمسة الرحمة والودّ والتيسير والطمأنينة بعد عام من الدعوة إلى القيام. ولقد خفّف الله عن المسلمين، فجعل قيام الليل تطوّعاً لهم لا فريضة، أما رسول الله ﷺ فقد مضى على نهجه مع ربه، لا يقلّ قيامه عن ثلث الليل يناجي ربّه في خلوة الليل وهدوئه، ويستمدّ هذه من هذا القيام وتلك المناجاة الإيمانية العظيمة زاد الحياة وزاد الجهاد. وكان صلوات الله وسلامه عليه قلبه دائماً مشغولاً بذكر الله متبتّلاً لمولاه، وقد فرّغ قلبه من كل شيء، إلا من ربّه سبحانه وتعالى»[١].

**٤ ـ هيئته ﷺ في صلاة الكسوف:**

لما كسفت الشمس خرج ﷺ إلى المسجد مُسرعاً فزعاً يجرّ رداءه، وكان كسوفها في أول النهار على مقدار رمحين أو ثلاثة من طلوعها، فتقدّم فصلى ركعتين، قرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة طويلة جهر بالقراءة ثم ركع، فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع فأطال القيام، وهو دون القيام الأول، وقال لما رفع رأسه: «سمع الله لِمن حمده ربنا لك الحمد»، ثم أخذ في القراءة، ثم ركع فأطال الركوع، وهو دون الركوع الأول، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم سجد سجدة طويلة فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ما فعل في الأولى، فكان في كل ركعة ركوعان وسجودان، فاستكمل في الركعتين أربع ركوعات وأربع سجدات، ورأى في صلاته تلك الجنة والنار، وهمّ أن يأخذ عنقوداً من الجنة فيريهم إياه، ورأى في صلاته

---

(١) قطب، ١٤٠٢هـ، ص٣٧٤٨، ٣٧٤٩، بتصرف.

أهل العذاب في النار، فرأى امرأةً تخدشها هرّة ربطتها حتى ماتت جوعاً وعطشاً، ورأى عمرو بن مالك يجرّ أمعاءه في النار، وكان أول مَن غيّر دين إبراهيم، ورأى فيها سارق الحاج يعذّب. ثم انصرف، فخطب خطبة بليغة، حُفظ منها قوله: «إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإن رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلّوا وتصدّقوا، يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، وقال: «لقد رأيتُ في مقامي هذا كل شيء وُعدتُم به، حتى لقد رأيتني أريد أن آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني أتقدّم، ولقد رأيتُ جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت»، وفي لفظ: «ورأيتُ النارَ فلم أرَ كاليوم منظراً قطّ أفظع منها»[١].

**٥ ـ صيامه ﷺ وصالاً حُبّاً في الله وشوقاً إليه:**

وكان ﷺ يخصّ رمضان من العبادة بما لا يخصّ غيره به من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحياناً ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون له: إنّك تواصل، فيقول ﷺ: «إني لستُ كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»[٢].

وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«إن المراد ما يغذّيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه، وتنعّمه بحبه والشوق إليه، وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح، وقرّة وبهجة النفوس والروح والقلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه، وقد يقوى هذا حتى يغني عن غذاء الأجسام مدة من الزمان. ومَن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ١٠٥٢.

(٢) مالك بن أنس، ص٣٠١، حديث رقم: ٣٨.

الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني، ولا سيَّما المسرور والفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرّت عينه بمحبوبه وتنعّم بقربه والرضى عنه، أفليس في هذا أعظم غذاء لهذا المحب؟! فكيف بالحبيب الذي لا شيء أجلّ منه، ولا أعظم ولا أجمل، ولا أكمل ولا أعظم إحساناً إذا امتلأ قلب المحبّ بحبه، وملك حبّه جميع أجزاء قلبه وجوارحه، وتمكن حبُّه منه أعظم تمكُّن، وهذه حاله مع حبيبه، أفليس هذا المحبّ عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلاً ونهاراً؟ ولهذا قال: «إني أظلّ عند ربي يطعمني ويسقيني». ولو كان ذلك طعاماً وشراباً للفم لما كان صائماً فضلاً عن كونه مواصلاً، وأيضاً فلو كان في الليل لم يكن مواصلاً، إذ قالوا له: إنّك تواصل. «لستُ أواصل»، ولم يقل: «لستُ كهيئتكم»، بل أقرّهم على نسبة الوصال إليه، وقطع الإلحاق بينه وبينهم في ذلك لما بيّنه من الفارق»[١].

وقال ـ رحمه الله ـ:

«فأخبر ﷺ أنّ ما يحصل له من الغذاء عند ربه يقوم مقام الطعام والشراب الحسي، وأن ما يحصل له من ذلك أمر يختصّ به، ولا يشاركه فيه غيره، فإذا أمسك عن الطعام والشراب، فله عنه عوض يقوم مقامه وينوب منابه، وكلما كان وجود الشيء أنفع للعبد من إقباله على الله واشتغاله بذكره، وتنعّمه حبه، وإيثاره لمرضاته، بل لا حياة ولا نعيم ولا سرور ولا بهجة إلا بذلك، فعدمه آلم شيء له، وأشدّ عذاباً عليه، وإنما تغيب الروح عن شهود هذا العذاب والألم لاشتغالها بغيره واستغراقها في ذلك الغير، فتغيب به عن شهود ما هي فيه من ألم الفوات بفراق أحبّ شيء إليها وأنفعه لها..»[٢].

---

(١) الجوزية، ١٤١٢هـ، ج٢، ص٣٢، ٣٣.

(٢) الجوزية، ١٤١٧هـ، ص٤٦٦، ٤٦٧.

**٦ ـ تذلّله ﷺ بالدعاء يوم عرفة:**

يوم عرفة يومٌ عظيم، وهو ركن الحجّ الأعظم، موقفٌ تُسكَب فيه العبرات، وتُقال فيه العثرات، وهو أعظم مجامع الدنيا، وهو يومٌ تُرجى فيه إجابة الدعاء.

ومن آدابه: أن يرفع الحاجّ يديه متذلّلاً خاشعاً منيباً موقناً بالإجابة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: (رأيتُ رسول الله ﷺ بعرفات يدعو ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين)[١].

وعن جرير رضي الله عنه قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ واقفاً بعرفة متأبِّطاً رداءه، رافعاً يده لا يجاوزان رأسه وعضلتاه ترعدان)[٢].

يتبين من خلال الحديثين الشريفين أنه ﷺ رؤي في ذلك اليوم العظيم متذلّلاً خاشعاً منيباً، راجياً عفو ربّه سبحانه وتعالى، فما زال يدعو وهو على ناقته القصواء حتى غربت الشمس.

وهو بذلك ﷺ يعطي لأمته المؤمنة دروساً تربوية عظيمة، ويرغّبهم في هذه الفريضة العظيمة بقوله ﷺ: «لكن أفضل الجهاد: حجّ مبرور»[٣]. وهو الذي لا يخالطه إثم.

وهناك مواقف متعددة لخشوعه ﷺ في الدعاء مثل دعائه يوم بدر وعند عودته من الطائف إن صح الحديث ودعائه يوم الجمعة، قال الإمام الحسن البصري إمام التابعين مبيناً معنى الحجّ المبرور:

«أن يرجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة. وكما قال ﷺ: «مَن حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه»[٤]. ولا شكّ أن المسلم إذا

---

(١) رواه أبو داود، ١٤٢٠هـ، كتاب الحج.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٣٣٢، حديث رقم: ٢٣٨٦.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ١٥٢٠.

(٤) المرجع السابق، حديث رقم: ١٥٢١.

قويت إرادته وكبح جماح غضبه، وأمسك حواسه وأعضاءه عن الفسوق والمعاصي طيلة أيام الحج، فإنه يتطبَّع بهذه الخصال، وقد تتحول إلى عادات حسنة وصفات جميلة تلازمه في حياته بعد أن تذوق حلاوتها وألفها خلال الحج. وقد وردَ في الحديث: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة»[(١)][(٢)].

**٧ ـ بكاؤه ﷺ في الصلاة وعند سماع آيات القرآن الكريم:**

وكان رسول الله ﷺ يحبّ أن يسمع القرآن من قراءة غيره، وكان صوته بالقرآن حسناً جميلاً. وقد أمر ﷺ بتحسين الصوت بالقرآن، واستمعَ مرةً إلى تلاوة أبي موسى الأشعري واستحسنها، وقال ﷺ له: «لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود»[(٣)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ»، فقلت: أقرأ عليك وعليكَ أُنزِل؟! قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري» فقرأتُ النساء، حتى إذا بلغتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال لي: «كفّ ـ أو: أمسك ـ»، فرأيتُ عينيه تذرفان)[(٤)][(٥)].

**٨ ـ أمره ﷺ بإزالة الخميصة وقت الصلاة:**

وكان ﷺ قد صلى ذات يوم على خميصة لها أعلام، فنظر أعلامها وهو في صلاته، فلما انصرف ـ أي: انتهى من صلاته ـ قال: «شغلتني أعلام هذه، اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيته، فإنها ألهتني عن صلاتي»[(٦)].

---

(١) المرجع السابق، حديث رقم: ١٧٧٣.
(٢) العمري، ١٤١٧هـ، ص٣٦، ٣٧ بتصرف.
(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٠٤٨.
(٤) المرجع السابق، حديث رقم: ٥٠٥٥.
(٥) العمري، ١٤١٧هـ، ص٤٧ بتصرف.
(٦) رواه الشيخان: البخاري، حديث رقم: ٣٧٣، ومسلم، حديث رقم: ٥٥٦.

كما أمر ﷺ عائشة بإزالة التصاوير التي رآها ﷺ في البيت. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله: كان قِرامٌ لعائشة سترت به جانباً من بيتها، فقال النبي ﷺ: «أميطي عنّا قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي»(١).

**٩ ـ نهيه ﷺ النظر إلى السماء في الصلاة، ورفع الأيدي للسلام في الصلاة:**

ومن التطبيقات العملية للخشوع في حياته ﷺ: أنه نهى عن النظر إلى السماء والعبد في صلاته. فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وفيه ناسٌ يصلّون رافعي أبصارهم إلى السماء، فقال: «لينتهينّ رجالٌ يشخصون أبصارهم إلى السماء، أو لا ترجع إليهم أبصارهم»(٢).

قال محمد بن سيرين: «كان رسول الله ﷺ يرفع بصره في الصلاة، فلما نزلت هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢] لم يكن يجاوز بصره موضع سجوده. فلما كان رفع البصر إلى السماء ينافي الخشوع، حرّمه النبي ﷺ، وتوعّد عليه»(٣).

قال شيخ الإسلام معلقاً على عدم كثرة الحركة في الصلاة:

«وإذا كان الخشوع واجباً في الصلاة، وهو متضمن للسكون والخشوع، فمَن نَقَرَ نقْرَ الغراب لم يخشع في سجوده، وكذلك مَن لم يرفع رأسه من الركوع ويستقرّ قبل أن يخفض لم يسكن؛ لأنّ السكون هو الطمأنينة بعينها، فمَن لم يطمئن لم يسكن، ومَن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده، ومَن لم يخشع كان آثماً عاصياً»(٤).

---

(١) البخاري، مرجع سابق، حديث رقم: ٣٧٤، ٥٩٥٩.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ١١٧.

(٣) الحراني، ١٤١٩هـ، ج١١، ص٦٨٢، ٦٨٣.

(٤) المرجع السابق، ج١١، ص٦٨٢.

ومن الأمثلة على حرصه ﷺ على الخشوع في الصلاة ونهيه عن كل ما يؤدي إلى إفساده: ما رواه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قوله: صلينا مع رسول الله ﷺ وكنا إذا سلّمنا قلنا بأيدينا: السلام عليكم، فنظرَ إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ما شأنكم تشيرون بأيديكم كأنها أذناب خيل شُمس؟ إذا سلّم أحدكم فليلتفت إلى صاحبه ولا يومىء بيده»[1].

«فقد أمر ﷺ بالسكون في الصلاة، وهذا يقتضي السكون فيها كلها، والسكون لا يكون إلا بالطمأنينة، فمَن لم يطمئنّ لم يسكن فيها، وأمرُه بالسكون فيها موافق لِما أمره الله تعالى به من الخشوع فيها. وأحقّ الناس باتّباع هذا هم أهل الحديث»[2].

**١٠ـ أمره ﷺ لصحابته بالسكينة عند خروجهم للصلاة:**

ومما يؤكد حرصه ﷺ بأمر الخشوع والسكينة في العبادة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ائتوا الصلاة وعليكم السكينة، فصلّوا ما أدركتم، واقضوا ما سبقكم»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث:

«فإذا كان النبي ﷺ قد أمر بالسكينة حال الذهاب إلى الصلاة، ونهى عن السعي الذي هو أسرع من ذلك، لكونه سبباً للصلاة، فالصلاة أحقّ أن يؤمر فيها بالسكينة وينهى فيها عن الاستعجال، فعُلم أن الراكع والساجد مأمور بالسكينة منهي عن الاستعجال بطريق الأولى والأحرى، لا سيما وقد أمره بالسكينة بعد سماع الإقامة الذي يوجب عليه الذهاب إليها، ونهاه أن

---

(١) رواه مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٤٣١.

(٢) الحراني، مرجع سابق، ج١١، ص٦٨٢.

(٣) أبو داود، حديث رقم: ٥٧٣.

يشتغل عنها بصلاة تطوّع، وإن أفضى ذلك إلى فوات بعض الصلاة، فأمره بالسكينة وأن يصلي ما فاته منفرداً بعد سلام الإمام، وجعل ذلك مقدّماً على الإسراع إليها. وهذا يقتضي شدّة النهي عن الاستعجال إليها، فكيف فيها؟ يبين ذلك أن الله عز وجل أمر في كتابه بالسكينة والقصد في الحركة مطلقاً، فقال: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [لقمان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]. قال الحسن وغيره: بسكينة ووقار. فأخبر أن عباد الرحمٰن هم هؤلاء، فإذا كان مأموراً بالسكينة والوقار في الأفعال العادية التي هي من جنس الحركة، فكيف الأفعال العبادية؟ ثم كيف بما هو فيها من جنس السكون، كالركوع والسجود؟ فإن هذه الأدلة تقتضي السكينة في الانتقال، كالرفع والخفض، والنهوض والانحطاط»(١).

## ١١ـ تعوّذه ﷺ من القلب الذي لا يخشع:

ومن اهتمامه ﷺ في حياته بخشوع القلب: فقد كان يستعيذ بالله تعالى من قلبٍ لا يخشع. وفي هذا بيان جلي منه ﷺ أنّ القلب الخاشع فيه كثير من السكينة والخضوع والإخبات، مما يكون له الأثر الكبير على بقية الجوارح.

عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذُ بك من العجز والكسل، والجُبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذُ بك من عِلمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها»(٢).

---

(١) الحراني، ١٤١٩هـ، ج١١، ص٦٨٦.

(٢) رواه مسلم، ج١٧، ١٨، ص١٤٣، حديث رقم: ٦٨٤٤.

ولهذا فقد كان السلَف الصالح يهتمّون أشدّ الاهتمام بصلاح القلوب وخشوعها والحرص على ذلك مخافة عدم القبول في العمل. وقد كان الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ يقول:

«إن المؤمنين لما جاءتهم هذه الدعوة من الله صدّقوا بها، وأفضى يقينُها إلى قلوبهم، وخشعت لله قلوبهم وأبدانهم وأبصارهم، وكنتُ والله إذا رأيتُهم رأيتُ قوماً كأنهم رأي عين، فوالله ما كانوا بأهل جدل ولا باطل، ولا اطمأنوا إلا إلى كتاب الله، ولا أظهروا ما ليس في قلوبهم، ولكن جاءهم من أمر الله فصدّقوا به، فنعتهم الله تعالى في القرآن أحسن نعت، فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ثم ذكر ليلهم خير ليل، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، ينتصبون على أقدامهم، ويفترشون وجوههم لربهم سجداً، تجري دموعهم على خدودهم فرقاً من ربهم»[(١)].

وعندما استعاذ ﷺ من قلبٍ لا يخشع يتضح أنّ القلب هو الأساس لتوجيه الجوارح، فإذا خشع القلب خشع السمعُ والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ معها، حتى الكلام. ولهذا خصّ الرسول ﷺ ذكر القلب واستعاذ بالله تعالى من القلب الذي لا يخشع.

«وأصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمَن كان بالله أعرف فهو له أخشع، ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له، وبحسب تفاوت مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع، وأهمها تذلّل القلب وانكساره بين يدي الله سبحانه وتعالى.

---

(١) الحنبلي، ١٤٠٨هـ، ص٤٢، ٤٣.

وقد جاء في السنّة الصحيحة ما يشهد بقرب الله تعالى من القلب المنكسر ببلائه، الصابر على قضائه، والراضي بذلك، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعُدني، قال: ربِّ، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمتَ أنّ عبدي فلاناً مَرِض فلم تَعُدْه، أما علمتَ أنّكَ لو عُدتَه لوجدتني عنده»[1]؟

فالله سبحانه وتعالى هو جابر القلوب المنكسرة من أجله، وهو سبحانه وتعالى يدني إليه مَن يناجيه في الصلاةِ ويعفِّر وجهه في التراب بالسجود، كما يكون قريباً من عبادِه الداعين له، السائلين له، المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار، ويجيب دعاءهم، ويعطيهم سؤلهم. ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القرب والإجابة»[2].

والقلب الذي لا يخشع في الصلاة وفي بقية أعمال العبادة يفقد الكثير من الخير، ولا يحصل له مراد الله من العبادات التي شرعها لعباده المؤمنين، وبالتالي يفوت ذلك القلب غير الخاشع كثير من الفضل والإنعام ويصبح محروماً. ولذلك كلّه كان ﷺ يستعيذ بالله تعالى من القلب الذي لا يخشع.

**١٢ـ تحذيره ﷺ من تلاوة القرآن بغير خشوع:**

نظراً لما للتدبر والتمعّن في العبادة بصفة عامة، والتدبر في تلاوة القرآن بصفة خاصة، فقد نهى ﷺ عن الغفلة في العبادة، ولا سيما في الصلاة.

عن العلاء بن عبد الرحمٰن أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد، فلما دخلنا عليه قال:

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٩٩٠.

(٢) الحنبلي، ١٤٠٨هـ، ص٣١-٣٣، بتصرف.

أصلّيتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلّوا العصر، فقمنا فصلّينا، فلما انصرفنا قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان، قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً»[(١)].

ومما يؤكّد أهمية التدبر في العبادة بصفة عامّة، والدعاء على وجه الخصوص: ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فسلوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنّ الله لا يستجيب لعبدٍ دَعاه عن ظهر قلبٍ غافل»[(٢)].

وقد (كان ﷺ إذا صلى تدبّر وخشع في آيات القرآن، فإذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ)[(٣)].

وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى مِن البكاء ﷺ)[(٤)].

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ معلّقاً على أهمية التدبر:

«فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشرّ بحذافيرها وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغايتهما وثمراتهما وقال أهلهما، وتُتِلُّ في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتُشيد بنيانه، وتوطّد أركانه، وتريه صورة الدنيا

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٢٢.

(٢) رواه الإمام أحمد، حديث رقم: ١٤٨.

(٣) رواه مسلم، مرجع سابق، حديث رقم: ٧٧٢.

(٤) رواه أبو داود، حديث رقم: ٩٠٤.

والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتُحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم، وتبصّره مواقع العِبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرّفه ذاته وأسماءَه وصفاته وأفعاله وما يحبّه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها. وتعرّفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرّفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه. وبالجملة تعرّفه الربّ المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا أقدَم عليه»[1].

من خلال ما تقدم تتبيّن الأهمية البالغة لصفة التدبر، وحرص النبي ﷺ البالغ على ذلك. وحثّه صحابته ﷺ وجميع الأمّة المؤمنة من بعدهم على التحلِّي بتلك الخصلة العظيمة؛ لينالوا السعادة في الدنيا والآخرة. وصدق الله العظيم حيث يقول جلّ وعلا في كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

❑ ❑ ❑

(١) الجوزية، ج١٠، ص٤٨٥-٤٨٧.

# المبحث الرابع

# بعض مظاهر الخشوع عند بعض الصحابة رضي الله عنهم والتطبيقات التربوية

## أولاً: فضل الصحابة رضي الله عنهم:

يقول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

هكذا يصف القرآن الكريم النبيَّ محمداً ﷺ وصحبَه الكرام، الذين صقلتهم العبادة، وكستهم الصلاة نوراً وبهاءً، وحددت العقيدة مفاهيمهم وقيمهم وولاءهم وبراءهم، حيث وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، يوالون بعضهم، ويحادّون مَن سِوَاهم، كما قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. ذلك الجيل الذي خلّدته كُتب السماء، فوصفته التوراة والإنجيل والقرآن بهذا الوصف الرائع. كما أنه جيل موصوف بالخيرية والأفضلية المطلقة على سائر الأجيال، كما أخبر بذلك النبيُّ ﷺ بقوله: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..» الحديث[١]. وقوله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحداً أنفق مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[٢].

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ١٩٠.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٥٤١.

وهذه الخيرية تجعل من جيل الصحابة رضي الله عنهم مُثلاً عُليا للمسلمين في كلِّ زمان ومكان، فهم يتطلّعون إليهم ويعتزّون بهم، ويقتدون بأعمالهم، ويسترشدون بسيرتهم، تلك السِّيَر المتنوّعة في الحرب والسِّلم والعبادة والمجاهدة والمعاملة، والتي تحوي في صفحاتها أغلى التضحيات وصدق الإيمان والطاعة الخالصة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهُم هُداةٌ مهتدون، ومعلّمون عاملون ومصلِحون، وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم أَمنة لأمته. ففي «صحيح مسلم» قوله ﷺ: «النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمنة لأمّتي. .» الحديث[1].

وقد كان جيل الصحابة الذي تربى في كنف معلم الناس الخير وهادي البشرية النبي المصطفى ﷺ كان يقرأ القرآن ويتأثر به ويخشع له، وتتصدّع القلوب وتهتزّ من أثره وكأنه ينزل على كلٍّ واحد منهم ـ رجلٍ كان أو امرأة ـ غضاً طريّاً، فولّد الأثر القوي في نفوسهم رضي الله عنهم؛ لفهمهم السريع للخطاب الرباني، مما جعلهم يستجيبون استجابة تامة لتعاليمه وأحكامه.

وبذلك صاروا رموزاً شامخةً وأعلاماً هادية، وقدوات صادقة تتطلع أجيال المسلمين إليهم بكلّ فخرٍ واعتزاز، وبكلٍّ تمجيد وتقدير.

## ثانياً: أنهم أفضل الناس خشوعاً بعد النبي ﷺ:

ما أحسن وصف ابن مسعود رضي الله عنه لأبناء جيله من الصحابة حين قال: «مَن كان منكم متأسياً فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٥٣١.

حالاً قدماً. اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[١].

ووصفهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعدّة كلمات إيمانية صادقة تخاطب الوجدان وكل قلب مؤمن أن ينظر في سيرهم ويتأمل في عبادتهم، وقبولهم لتعاليم دينهم.

«فقد صلى ذات يوم صلاة الفجر، فلما سلّم انفتل عن يمينه ثم مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح، قلّبَ يده فقال: لقد رأيتُ أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يُشبههم. والله إن كانوا ليصبحون شُعثاً غُبراً صفراً، بين أعينهم أمثال رُكَب المعزَى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذُكر الله مادوا كما تميد الريح في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبلّ ـ والله ـ ثيابهم. والله لكأنّ القوم باتوا غافلين»[٢].

«لقد وردوا رأس المال من عينِ الحياة عذباً صافياً زُلالاً، وأيّدوا قواعد الإسلام، فلم يَدَعوا لأحدٍ بعدهم مقالاً، فتحوا القلوب بعدلهم بالقرآن والإيمان، والقُرى بالجهاد والسيف والسنان، وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً، وكان سندهم فيه عن نبيّهم ﷺ عن جبريل، عن ربّ العالمين، سنداً صحيحاً عالياً. وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا، وقد عهدنا إليكم، وهذه وصيّة ربنا وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم. ثم سلكَ تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد، وهُدوا إلى الطيب من القول وهُدوا إلى صراط الحميد، وكانوا بالنسبة إلى مَن

(١) العمري، ١٤١٥هـ، ج٢، ص٦٥٩، ٦٦٩ بتصرف.

(٢) العفاني، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٠٩.

قبلهم كما أصدق القائلين: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤]»(١).

«إنها سيرة عظيمة لأولئك الرجال الذين جاءتهم دعوة الإسلام، فآمنوا بها، وصدّقتها قلوبهم، وما كان قولهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ . . . ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٣]، ووضعوا أيديهم في يد رسول الله ﷺ، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله تعالى. وأفضى يقينُها إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وقلوبهم، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب والحُبّ لله تعالى ولرسوله ﷺ والمحبة للمؤمنين والشدة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل والحرص على دعوة الناس، وإخراج خَلْق الله من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ومِن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحطامها، والشوق إلى لقاء الله، والحنين إلى الجنة، وعلوّ الهمّة، وبُعد النظر في نشر رِفد الإسلام وخيراته في العالَم، وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، وسهولها وحزونها، وأغوارها وأنجادها، ونسوا في ذلك لذّاتهم، وهجروا راحاتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مهجهم وحرّ أموالهم، حتى ألقى الدين بجرانه، وأقبلت القلوب إلى الله، وهبّت ريح الإيمان قوية عاصفة طيّبة مباركة، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى، ونفقت سوق الجنة، وانتشرت الهداية في العالَم، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً. ولذلك اشتدّت عناية المسلمين بهم، واستعانوا بها في إيقاظ همم المسلمين، وإلهاب قلوبهم بجذوة الإيمان الصادق»(٢).

---

(١) الجوزية، ج١، ص٣٢.

(٢) الكاندهلوي، ١٤٠٣هـ، ج١، ص٧، ٨.

«ومن أجلّ مظاهر تكريم الصحابة في الإسلام: أنهم اعتبروا موضع تدبّر وتأسٍّ من بين المسلمين، فكُتبت سِيَرهم، وعرفت أخبارهم، وبلغت كتب التراجم التي خلدت ذكراهم عشرات الألوف من الكُتب، فلم تُعْنَ أمةٌ بتسجيل تراجم رجالاتها مثل عناية الأمة الإسلامية، (وهذا هو السبب الذي جعل كُتب التراجم أوسع موضوعات المكتبة العربية الإسلامية).

وكان العلماء قديماً وحديثاً يوجهون النشء إلى النظر في سيرة الرسول ﷺ وسيَر الصحابة رضي الله عنهم الذين جعلوا الآخرة همّهم الأول، والبعد عن حظوظ الدنيا الزائلة، (يُروَى أنّ أعرابياً شهد فتح خيبر أراد النبي ﷺ أثناء المعركة أن يقسم له قسماً، وكان غائباً، فلما حضر أعطوه ما قُسم له، فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما على هذا اتّبعتُك، ولكني اتّبعتك على أن أُرمى ههنا ـ وأشار إلى حَلقِهِ ـ بسهم فأَدخل الجنة، قال: «إن تصدُق الله يصدقك». فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتي به يُحمل قد أصابه سهمٌ حيث أشار، فكفّنه النبي ﷺ بجُبّته وصلى عليه ودعا له، فكان مما قال: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً، وأنا عليه شهيد»)»[1].

«وقد أثبت الأبطال المسلمون ترفُّعاً عن الدنيا وما فيها، وشمخت نفوسهم إلى الرضوان الأكبر. فعن جابر رضي الله عنه قال: (والله الذي لا إله إلا هو، ما اطَّلعنا على أحدٍ من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة)»[2].

هكذا كان أولئك الجيل من صحابة المصطفى ﷺ يعيشون حياتهم بكلّ معاني الإخلاص والتضحية، فحريّ بالمربين أن يلفتوا أنظار النشء إلى تلك الصور الإيمانية مدعمة بالشواهد والتصوير اللغوي الحي لحياتهم وبيان

---

(١) مصنف: عبد الرزاق، ج٥، ص٢٧٦.

(٢) الطبري، ج٤، ص١٩.

مواضع الاقتداء بهم لا مجرد سرد باهت لقصة حياة صحابي دون تحريك المشاعر لتلك الحياة السامية، فهناك مواضع متعدّدة للاقتداء بهم رضي الله عنهم، فهناك المروءة والشجاعة والكرم والصدق والعفاف والمعروف. وغير ذلك من أنواع البذل والعطاء.

وقد نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة تحقيق هذا المنهج في الاقتداء بالصالحين، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ومن خلال تلك المنطلقات الإيمانية الصادقة يمكن أخذ العظات والدروس التربوية المستفادة، والاهتمام بها، والتركيز عليها، والسير بها جنباً إلى جنب مع تطلعات العصر ومبتكراته، فيأخذ النشء الرحيق الإيماني من تلك السيَر المباركة، ويسير في عصره مستشعراً عِظم مسؤوليته تجاه أمّته ومجتمعه المسلم، على أن ينبَّه عليهم وعلى كل مَن يطّلع على سيَر الصحابة رضي الله عنهم أنهم بشر، وليسوا بمعصومين رضي الله عنهم. فيجب أن يُقتدَى بهم من الجانب الذي تميزوا به مما يتطابق مع أحكام الشرع ومقاصده، فيستفاد من تطبيقهم ذلك في حياتهم لتوضيح المعنى وإبراز موضع القدوة، وأنّ الاقتداء الشامل الكامل الذي لا مرية فيه لمطالب الدنيا والآخرة يكون باتّباعه ﷺ؛ لأنّه لا ينطق عن الهوى، وهو المعصوم ﷺ.

## ثالثاً: بعض مظاهر الخشوع عند بعض الصحابة رضي الله عنهم والتطبيقات التربوية:

لقد حاز أصحاب رسول الله ﷺ قصب السبق في ورعهم وتقواهم وخشوعهم في عباداتهم، وتجرّدهم وإخلاصهم وصدق تعلّقهم بالله تبارك وتعالى. فكانوا رضي الله عنهم يبيتون الليل سُجّداً وقياماً يرجون رحمة ربهم ويخشون أليم عقابه.

وحسبُنا هنا أن نورد أمثلة ونماذج لمظاهر الخشوع عند بعضهم رضي الله عنهم، وإلا فإنّ تتبُّع سيرهم كلّ على حِدَة سيطول به المقام، ولا نستطيع إيفاء كلّ واحد منهم رضي الله عنهم في مبحث واحد كهذا المبحث. ولذلك فإن هذه الدراسة ستُركّز على بعضٍ من الصحابة رضي الله عنهم. وتتمّ طريقة الاختيار لسيَر بعضهم رضي الله عنهم بما له علاقة مباشرة بهذه الدراسة. وقد تمَّ اختيارُ بعضٍ من الصحابة رضي الله عنهم لبيان مظاهر الخشوع في حياتهم من مبدأ علاقتهم المباشرة بموضوع الدراسة الرئيسي، وهو الخشوع وتطبيقاته التربوية.

ونبدأ بالصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الذي يُعدّ أول مَن جهر بالقرآن الكريم بعد رسول الله ﷺ.

«كان عبد الله ربَّانياً عابداً، أوّاهاً منيباً، خاشعاً بكّاءً، رقيق الحاشية، واسع الخوف من الله تعالى، عريض الأمل والرجاء، راضياً بالقضاء. . »(١).

«وعن علقمة بن قيس قال: بِتُّ مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقام أول الليل، ثم قام يصلي، فكان يقرأ قراءة الإمام في حيّه، يرتّل ولا يرجّع، يُسمع مَن حوله ولا يرجّع صوته، حتى لم يبقَ من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها، ثم أوتَر»(٢).

وقال أبو بكر البيهقي:

«وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يختم القرآن في رمضان ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

ومآثر ابن مسعود رضي الله عنه كثيرة، ولا نستطيع حصرها هنا، ولكن نشير فقط إلى بعض المواقف الإيمانية العظيمة له رضي الله عنه في حياته

---

(١) الشيخ، ١٤١٠هـ، ط٢، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٥.

والتي تدلّ على إيمانٍ عميق، وثباتٍ على الدين، وخشوع وتذلل لله سبحانه وتعالى.

فمِن المواقف العظيمة لهذا الصحابي الجليل، والتي تدلّ على إنابة وخشوع وتذلّل لله تبارك وتعالى، أنه كان يقول: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكونَ باكياً محزوناً، حكيماً عليماً سكيناً. وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صخاباً، ولا صياحاً، ولا حديداً)»[١].

وكان يقول رضي الله عنه: «مَن راءَى في الدنيا راءَى الله به يوم القيامة، ومن يسمّع في الدنيا يسمّع الله به يوم القيامة، ومَن يتطاول تعظّماً يضعه الله، ومَن يتواضع تخشُّعاً يرفعه الله»[٢].

«ومن الأمور الإيمانية العظيمة التي تدلّ على تذلّل هذا الصحابي وحبّه لله تعالىَ ولرسوله ﷺ: أنه رضي الله عنه حظي بوصف النبي ﷺ بأنه «غلام معلّم»»[٣].

وكذلك قوله رضي الله عنه: «فأخذتُ من فيه سبعين سورةً ما ينازعني فيها أحَد»[٤].

من خلال ما تقدّم تتبيّن المنزلة العظيمة لهذا الصحابي الجليل في دين الله وما حظي به رضي الله عنه دون سائر الصحابة في حفظه سبعين سورةً من

---

(١) الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٧٨.

(٢) المرجع السابق، ج١، ص١٧٨.

(٣) المسند، ج١، ص٣٧٩، ٤٦٢.

(٤) الأصفهاني، مرجع سابق، ج١، ص١٧٢.

القرآن الكريم مِن فَمِ الرسول ﷺ مباشرةً، مما يدلّ على إيمان عميق، وصدق تعلّق بالله تعالى، وخشية له وخشوع وإنابة، حتى حظي بهذا الفضل العظيم.

وفي موقف آخر يبيّن المثال التطبيقي للخشوع عند ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: «(إذا وقعتُ في (آل حم) فقد وقعتُ في روضات أتأنّق فيهنّ)، ومعنى: (أتأنّق فيهنّ): أي أُعجب بهنّ وأستلذّ بقراءتهنّ، وأتتبّع محاسنهنّ»[(١)].

وذكر الإمام الذهبي عن زيد بن وهب قوله: «رأيتُ بعيني عبد الله ـ يعني ابن مسعود رضي الله عنه ـ أسود من البكاء»[(٢)].

ومن تلك المواقف الإيمانية التي تدلّ على التذلّل والخشوع لهذا الصحابي الجليل ما ذكره الإمام الذهبي أيضاً عن القاسم بن عبد الرحمٰن أنّ ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول في دعائه: «خائفٌ مستجير، تائبٌ مستغفر، راغبٌ راهب»[(٣)].

ويكفي هذا الصحابي الجليل فضلاً ومنزلة عُليا في دين الله أنه رضي الله عنه أول مَن جهر بالقرآن بعد الرسول ﷺ، وقد قرأ بسورة الرحمٰن كما تدلّ على ذلك تراجم سيرته رضي الله عنه، مما يدلّ على عِظم خشوعه وصدق إيمانه رضي الله عنه وأرضاه رغم ما واجه في هذا الموقف من بلاءٍ عظيم حين جهر بالقرآن أمام كفار قريش، فصبرَ واحتسب بكل تذلّل وخشوع رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص١٧٢.
(٢) الذهبي، ١٤٠٢هـ، ج١، ص١٢٠.
(٣) الذهبي، ١٤٠٢هـ، ج١، ص١٥٠.

ومن مظاهر الخشوع عند الصحابة رضي الله عنهم؛ ما ذكره أبو نُعيم في «حلية الأولياء»:

«أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنتَ أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دِثاراً أو شعاراً، فرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام، يا نوف إنّ الله تعالى أوحى إلى عيسى أن مُر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيدٍ نقيّة، فإني لا أستجيب لأحدٍ منهم ولا لأحد من خلقي عنده مظلمة»[١].

ومن مظاهر الخشوع عند الصحابة رضي الله عنهم؛ ما ذكره أبو العالية:

«عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه قال: عليكم بالسبيل والسنّة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكرَ الرحمٰن عز وجل ففاضت عيناه من خشية الله فتمسّه النار، وليس من عبدٍ على سبيل وسنة ذكر الرحمٰن فاقشعرّ جلده من مخافة الله عز وجل إلا كانت مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فبينا هي كذلك إذ أصابتها الريح، فتَحاتَّ عنها ورقها، وإلا تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتَّ عن هذه الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل الله وسنّته خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنّته، فانظروا أعمالكم، فإن كانت اجتهاداً أو اقتصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسنّتهم»[٢].

من خلال هذه العبارات الإيمانية المؤثرة لهذا الصحابي الجليل يتبيّن حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أثر الرسول ﷺ والاهتداء بسنّته،

---

(١) الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ج١، ص١١٩، ١٢٠.

(٢) الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ج٢، ص٣١٨.

وعدم الابتداع في العبادة، وكذلك يستفاد تربوياً من هذا النص لأُبيّ رضي الله عنه أنّ العبد الخاشع المتذلل المنيب والمخبت إذا ذكرَ الله تعالى فإنه يكون قريباً من رحمة الله ومغفرته، وهذا ـ بلا شكّ ـ من أهمّ أسباب الاستقرار النفسي والروحي في حياة المرء المسلم، والتي يمكن الاستفادة منها في الميدان التربوي.

ومن المظاهر الدالة على تأثر الصحابة رضي الله عنهم وتذلّلهم وخشوعهم لأوامر ربهم سبحانه وتعالى؛ تلك المهمة العظيمة التي أوكلها أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه لجمع القرآن، فنهض زيد رضي الله عنه بهذا العمل الإيماني الكبير، وأبلى بلاءً عظيماً في إنجاز أشقّ المهامّ وأعظمها، فمضى يجمع الآيات والسور من صدور الحفّاظ ومن مواطنها المكتوبة، ويقابل ويعارض ويتحرَّى حتى جمع القرآن مرتباً ومنسقاً، وقال رضي الله عنه ـ وهو يصوّر هذه المهمة العظيمة في جلالها وقدسيتها ـ : «والله لو كلّفوني نقل جبل من مكانه لكانَ أهوَن عليّ مما أمروني به من جمع القرآن»(١).

وهذا عملٌ إيماني كبير يدلّ على صدق إيمان وخشية وإنابة وخوف من الله تبارك وتعالى، مخافة أن يقع رضي الله عنه في خطأ في كتاب الله، فاستعان بالله تعالى فأعانه الله تعالى على إتمام هذا العمل العظيم. وما كان ليكون لولا توجّهه إلى الله تبارك وتعالى وتذلّله الصادق رضي الله عنه وخشوعه لربه سبحانه وتعالى أن يعينه على هذا العمل المبارك، فكان له ما أراد، وحفظ الله تعالى كتابه على مرِّ السنين، وسيظلّ كذلك إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

---

(١) خالد، ١٤١٦هـ، ص٤١٦، ٤١٨، بتصرف.

ولا شكّ فإنّ تذلل وخشوع أئمة الصحابة كأبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وسائر الخلفاء الراشدين فيه الكثير من صدق الإيمان وصدق التوجه إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن مظاهر الخشوع والتذلُّل عند الصحابة رضي الله عنهم؛ ما ذكره أبو نُعيم في «حلية الأولياء» عن الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه حيث قال: «ومنهم المتقشِّف المحزون، الممتحن في عينه المطعون، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون، كان إلى الاستجابة لله سابقاً، وبمعالي الأحوال لاحقاً، وفي العبادة ناسكاً، وفي المحاربة فاتكاً، لم تنقصه الدنيا، ولم تحطه عن العُليا، فعمل إلى المحبوب فتسلّى عن المكروب»[1].

ويكفي هذا الصحابي الجليل إنابةً وتذلّلاً وخشوعاً وإخباتاً لله تعالى أنّ النبي ﷺ شهد له بالزهد في الدنيا، وأنه سلف خير. وذلك فيما رواه أبو نعيم «عن ابن عباس رضي الله عنهما (أنّ النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون حين مات، فانكبّ عليه، فرفع رأسه، ثم حنَى الثانية، ثم رفع رأسه، ثم حنَى الثالثة، ثم رفع رأسه، وله شهيق، فعرفوا أنه يبكي، فبكى القوم، فقال: «استغفر الله، استغفر الله، اذهب عنها أبا السائب فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشيء»)[2]»[3].

«ولمّا توفيت رقية بنت النبي ﷺ قال عليه الصلاة والسلام: «الحقي بسَلَفِنا الخيّر عثمان بن مظعون»[4].

---

(١) الأصفهاني، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٤٧.

(٢) الطبراني الكبير، ج١، ص٣٣٣، حديث رقم: ١٠٨٢٦.

(٣) الأصفهاني، مرجع سابق، ج١، ص١٤٧.

(٤) مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٣٥٥.

هكذا كان وداعه ﷺ لهذا الصحابي الجليل العابد الزاهد المتبتّل الأواب؛ ولئن كان أصحاب الرسول ﷺ كانوا جميعاً يحملون روح الخشوع والزهد والتبتّل، فإن عثمان بن مظعون رضي الله عنه كان له طابعه الخاص، إذ أمعنَ في زهده وتفانيه إمعاناً رائعاً أحال حياته كلها في ليله ونهاره إلى صلاة دائمة مضيئة، وتسبيحة طويلة عذبة جعلته يستغرق في العبادة بصفة دائمة حتى همّ رضي الله عنه بتقطيع كل الأسباب التي تربط الناس بمناعم الحياة»[1].

كما نجد في حياة الصحابي الجليل عباد بن بشر رضي الله عنه صوراً إيمانية رائعة لمظاهر الخشوع في حياة هذا الصحابي الجليل. ويتضح ذلك من خلال حراسته للنبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع. ولعلّ هذه الواقعة التي نبيّنها هنا تكشف لنا بعضاً من قوّة إيمانه وخشوعه في صلاته.

«فبعد أن فرغ الرسول ﷺ والمسلمون من غزوة ذات الرقاع نزلوا مكاناً يبيتون فيه، واختار ﷺ للحراسة نفراً من أصحابه يتناوبونها، وكان منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه وعباد بن بشر رضي الله عنه في نوبة واحدة، ورأى عباد صاحبه (عماراً) مجهداً، فطلب منه أن ينام أول الليل على أن يقوم هو بالحراسة، ورأى عباد أن المكان حوله آمن، فقام يصلي، وإذا هو قائم يقرأ فاتحة الكتاب ثم سورة من القرآن اخترم عضده سهمٌ، فنزعه واستمرّ في صلاته، ثم رماه المهاجم في ظلام الليل بسهم آخر، فنزعه وأنهى تلاوته، ثم ركع وسجد بكلِّ إنابة وخشوع وتذلّل، فاستيقظ عمار رضي الله عنه على صاحبه متأثراً من جراحه برمي السهام في جسمه وآثار الدم بادية منها، فقال له عمار رضي الله عنه: سبحان الله، هلاّ أيقظتني؟! فأجابه عباد رضي الله عنه: كنتُ أتلو في صلاتي آيات من القرآن ملأتْ نفسي روعة. وكان لسان حاله يقول رضي الله عنه: ملأت نفسي روعة

---

(١) طالب، ١٤١٦هـ، ص٢٧٢.

وتذلُّلاً وخشية وخشوعاً ولذة ومناجاة لله تعالى، فلم يحبّ أن يقطع هذه اللحظات الإيمانية التي لا تعوّض بالدنيا وما فيها»(١).

إنها قصة مؤثرة لهذا الصحابي الجليل تجسد الأثر العظيم للخشوع والسكينة إذا استقرّت في وجدان القلب المؤمن؛ فإنها ترتفع إلى مقام الصدّيقين والشهداء والصالحين من عباد الله المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فصدقهم الله ورزقهم صِدق الإنابة والتذلل والخشوع التي تتدفق من نفوس مؤمنة بربّها محبة لله ولرسوله ﷺ حباً عظيماً.

ومن مظاهر الخشوع عند الصحابة رضي الله عنهم؛ قصة الصحابي الجليل أُسيد بن حضير رضي الله عنه. ولنترك الصحابي الجليل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يكشف لنا تفاصيل هذه القصة المؤثرة، فيقول ﷺ: (بينما هو ـ يعني أسيد بن حضير رضي الله عنه ـ ليلة يقرأ في مِرْبَدِه إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرى، فقرأ، ثم جالت أيضاً، فقال أسيد: فخشيتُ أن تطأ يحيى، فقمتُ إليها فإذا مثل الظلّة فوق رأسي فيها أمثال السُّرج في الجوّ حتى ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأتَ لأصبحت يراها الناس وما تستتر منهم»)(٢).

«وأنّى للكلمات أن تصوّر هذا المشهد الندي واستغراق الملائكة للاستماع في الليل لمزمار داود في ليلة ويقرأ القرآن، مثل هذا إلا لمثل أصحاب رسول الله ﷺ جيل العبادة رضي الله عنهم»(٣).

«لقد كان أسيد رضي الله عنه عابداً قانتاً باذلاً روحَهُ وماله في سبيل الخير، ولقد كان لدينه وخُلقه موضع تكريم الصحابة له، وكان الاستماع

(١) خالد، ١٤١٦هـ، ص٦٠٩، بتصرف.
(٢) رواه البخاري، حديث رقم: (٣٧٣٦).
(٣) العفاني، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٣٠، بتصرّف.

لصوته وهو يرتّل القرآن إحدى المغانم الكبرى التي يحرص صحابته رضي الله عنه على الاستماع إليها. ذلك الصوت الخاشع الباهر المثير الذي اهتزّت الملائكة لخشوع تلاوته وصدق مناجاته لربه سبحانه وتعالى، إنه صوت أسيد رضي الله عنه»[1].

## رابعاً: بعض مظاهر الخشوع عند بعض المربِّين المسلمين والتطبيقات التربوية:

اعتنى كثير من المربِّين المسلمين في ثنايا مصنفاتهم بأمر الخشوع، وتحدّثوا عنه في مواضع متعددة، ولا سيما في أبواب الصلاة والعبادات، وتحدثوا عنه من جوانب متعددة، فقهيةٍ كانت أو من حيث صدق الإخلاص والتذلل لله تعالى، وأعظم مَن اهتمّ بهذا الجانب الإيماني والتربوي المهمّ ـ الخشوع وآثاره ـ؛ الأئمّة الأعلام: ابن القيم ـ رحمه الله ـ، وكذلك ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، وقبلهم سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ. وغيرهم من أئمة التابعين وتابعي التابعين ـ رحمة الله على الجميع ـ. وتبحث الدراسةُ هنا نموذجاً واحداً لأحد الأئمة الأعلام والمربين المسلمين الذين اشتهروا بعلمهم الواسع وآرائهم التربوية المستنبطة من القرآن الكريم والسنّة المطهرة. . وهو الإمام ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ:

### الإمام ابن قيم الجوزية:

اشتهر اسم هذا العالِم الرباني الحافظ بهذا اللقب، واسمه: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي الشهير بابن القيم الجوزية اشتهر بين علماء عصره ـ رحمه الله ـ بأنه (طبيب القلوب) نظراً لِما جمعته مؤلفاته من صدق التعلّق بالله والتوكل والإنابة والخشية والخشوع والإخبات،

---

(١) خالد، ١٤٠٨هـ، ص٤٨٧، بتصرف.

حتى أضحت تلك الصفات هي السمة الواضحة لمؤلفاته ـ رحمه الله ـ ومعظم تصانيفه. ولا شكّ أنّ كل مَن يقرأ مؤلفاته ـ وخاصة كتاب «مدارج السالكين».

«يخرج بأدلّة واضحة على أن ابن القيم ـ رحمه الله ـ كان لديه من عمارة قلبه باليقين بالله والافتقار والعبودية والاضطرار والإنابة إلى الله الثروة الطائلة، والقدح المعلّى في جوّ العلماء العاملين الذين هم أهل الله وخاصته، وأنّ لديه من الأشواق والمحبة التي أخذت بمجامع القلوب لا على منهج المتصوّفة والغُلاة، بل على طريق السلَف الصالح ما عمّر قلبه بالتعلّق بالله في السرّ والعلن، ودوام ذكره، وأنّ العبادة حلّت منه محلّ الدواء وترويض النفس، فلا عجب إذا رأيناه زاهداً في الدنيا مزدرياً بها. وقد تلاشت عنده مظاهرها، وتجلّت حقيقتها أنها إلى فناء، فشَمَّرَ سائراً إلى الله وإلى الدار الآخرة.

وقد ذكر مترجموه عن مشاهدة وعيان عن مظاهر خشوعه وعبادته وزهده وصدق لهجه ما يبعث على الدهشة والاستغراب..»[١].

**١ ـ من مظاهر الخشوع عند ابن القيم ـ رحمه الله ـ:**

يقول تلميذه الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

«وكان رحمه الله ـ يعني ابن القيم ـ ذا عبادة وتهجّد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتألّه ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار، والافتقار إلى الله والانكسار له، والاطّراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه عِلماً، ولا أعرَف بمعاني القرآن والسنّة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أرَ في معناه

---

(١) أبو زيد، ١٤٠٠هـ، ص٢٥.

مثله، وقد امتُحن وأوذي مرات. وحجّ مراتٍ كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدّة العبادة وكثرة الطواف أمراً يُتعجب منه»[١].

وقال كذلك تلميذه ابن رجب ـ رحمه الله ـ: «لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمدّ ركوعها وسجودها، ويلومه كثيرٌ من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك ـ رحمه الله ـ»[٢].

وفيما يلي أبيّن هنا نموذجاً لمظهر من مظاهر الخشوع عند الإمام ابن القيم الجوزية ـ رحمه الله ـ من أحد مصنّفاته، وهو كتاب «طريق الهجرتين»:

«فاسمع ـ رحمك الله ـ إلى مواعظه التي تدمي القلوب قبل الأجفان، استمع إلى حالهم بقلم يشعُّ منه النور ويفيض روحانية وهو يصفُ المتهجّدين، يقول طبيب القلوب وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: (أما السابقون المقرّبون فأستغفر الله الذي لا إله إلا هو أولاً من وصف حالِهم وعدم الاتّصاف به، بل ما شممنا له رائحة، ولكن محبة القوم تحمل على تعرّف منزلتهم والعلم بها).

يقول ـ رحمه الله ـ: فنبأ القوم عجيب، وأمرهم خفيّ إلا على مَن له مشاركة مع القوم، وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله، وغُمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته، فسَرَت المحبة في أجزائهم، فلم يبقَ فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحُبّ، فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه، واجتمع همّه عليه متذكراً صفاته العُلا وأسماءَه الحسنى، مشاهداً له في أسمائه قد تجلّت على قلبه أنوارُها، فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه،

---

(١) الحنبلي، ج٢، ص٤٤٨.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٤٤٨.

وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه، فآواه إليه وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كلِّ جهة من جهاته. فيالَها سجدةً ما أشرفها من سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء.

وقيل لبعض العارفين: أيسجد القلب بين يدي ربِّه؟ قال: أي والله بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة. وشتّان بين قلبٍ يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه بيداء الأكوان، وخرق حُجب الطبيعة، ولم يقف عند رسم، ولا سكن إلى علم حتى دخل على ربه في داره، فشاهد عزّ سلطانه وعظمة جلالته وعلوّ شأنه وبهاء كماله، فإذا صارت صفات ربه وأسماؤه مشهداً لقلبه أنْسَتْه ذكر غيره، وشغلته عن حُبِّ مَن سواه. وبالجملة فيبقى قلب العبد الذي هذا شأنه عرشاً للمثل الأعلى، أي عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبته، وناهيك بقلبٍ هذا شأنه، فياله من ربه وما أدناه».

ويقول ـ رحمه الله ـ مستطرداً في تصوير هذا المشهد الإيماني الخاشع:

«فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان، وسجدت تحت العرش وأبدانهم في فرشهم، كما قال أبو الدرداء: إذا نام العبد المؤمن عُرج بروحه حتى تسجد تحت العرش، فإذا كان طاهراً أُذِن لها بالسجود، وإن كان جُنباً لم يؤذن لها بالسجود. وهذا ـ والله أعلم ـ هو السرّ الذي لأجله أمر النبي ﷺ الجُنب إذا أراد النوم أن يتوضأ. فإذا استيقظ هذا القلبُ من منامه صعد إلى ربه بهمّه وحبّه وأشواقه مشتاقاً إليه، طالباً له، محتاجاً إليه، عاكفاً عليه، فحاله كحال المحبّ الذي غاب عنه محبوبه الذي لا غنى له عنه ولا بدّ له منه، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النفس والطعام والشراب، فإذا نام غابَ عنه، فإذا استيقظ عادَ إليه الحنين، وإلى الشوق الشديد والحُبّ المقلِق.

فإذا استيقظ أحدهم وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن، فأول ما يجري على لسانه ذِكر محبوبه والتوجّه إليه واستعطافه والتملّق بين يديه، والاستعانة به

أن لا يخلا بينه وبين نفسه وألا يكله إليها، فيكله إلى ضعةٍ وعجز وذنب وخطيئة، بل يكلأه كلاءة الوليد الذي لا يملك ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فأول كما يبدأ به: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) مُتدبراً لمعناها مِن ذكرِ نعمة الله عليه بأنْ أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت، وأعاده إلى حاله سويّاً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات المهلكات التي هو عرَضٌ وهدفٌ لسهامها كلّها التي تقعده بالهلاك أو الأذى، والتي من بعضها شياطين الإنس والجنّ، فمن ذا الذي كلأه وحرسه وقد غابَ عنه حِسُّه وعلمه وسمعه، فإذا تصوّر العبدُ ذلك فقال: (الحمد لله) كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك، ثم تفكر أن الذي أعاده بعد هذه الإماتة قادراً على أن يعيده بعد موتته الكبرى ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يدعو ويتضرّع، ثم يقوم إلى الوضوء بقلبٍ حاضر مستصحِب لما فيه، ثم يصلي ما كتب الله له صلاة مُحبّ ناصح لمحبوبه، متذلّلٌ منكسرٌ بين يديه، لا صلاة مدلّ بها عليه، يرى من أعظم نِعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره، واستزاده وطرد غيره، وأهلّه وحرم غيره، فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته، ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه ولذّته وسروره في تلك الصلاة، فهو يتمنى طول ليلة ويهتم بطلوع الفجر كما يتمنى المحبّ الفائز بوصل محبوبه. فهو يتملّق فيه مولاه الرحيم، ويناجيه بكلامه، مُعطياً لكلّ آيةٍ حظّها من العبودية، فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد، والآيات التي فيها الصفات، والآيات التي تعرّف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم وإحسانه إليهم، وتطيبُ له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البرّ والمغفرة، فتكون بمنزلة الحادي الذي يطيّب له ويهوّنه، وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به إلى غيره،

المائلين إلى سواه، فيجمعه عليه ويمنحه أن يشرد قلبه عنه، فتأمل هذه الثلاثة وتفقّه فيها، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلى في كلامه، ويعطي كل آيةٍ حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق به وبأنها كلام الله، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها.

فوأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضي الزمان وينفد العمر، والقلبُ محجوبٌ ما شمّ لهذا رائحة، وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاقَ أطيب ما فيها، بل عاشَ فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، فكانت حياته عجزاً، وموته كمداً، ومعاده حسرةً وأسفاً، فإذا صلى ما كُتب له، جلس مطرقاً بين يدي ربه هيبةً له وإجلالاً، واستغفره استغفار مَن تيقّن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه، فإذا قضى من الاستغفار وطراً، وكان عليه بعد ليل، اضطجع على شقِّه الأيمن مُجمّاً لنفسه مريحاً لها، مقوياً لها على أداء الفريضة فيستقبلها نشيطاً بجدّه وهمّته كأنه لم يزل نائماً طول ليلته لم يعمل شيئاً»(١).

وقد كان لهذا الشعور الإيماني العظيم في أعماق نفسه ـ رحمه الله ـ انعكاس على آرائه التربوية وفكره التربوي ـ رحمه الله ـ، حيث اعتمد ـ رحمه الله ـ على عدة محاور لمنطلقاته التربوية.

**٢ ـ مفهوم التربية ومبادئها وأهدافها عند ابن القيم، والتطبيقات التربوية:**

مفهوم التربية عند ابن القيم ـ رحمه الله ـ يشمل تربية القلب وتربية البدن في آن واحد. ثم يبين ـ رحمه الله ـ كيف يُربَّى كلٌّ من القلب والبدن، فقال ـ رحمه الله ـ: «وكلٌّ من القلب والبدن محتاج إلى أن يتربى، فينمو ويزيد

---

(١) الجوزية، ١٤١٤هـ، ص٩٠، بتصرف.

حتى يكمل ويصلح، فكما أنّ البدن محتاج إلى أن يزكو بالأغذية المصلحة له والحمية عما يضره، فلا ينمو إلا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره، فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتمّ صلاحه إلا بذلك، ولا سبيل له إلى الوصول إلى ذلك إلا من القرآن، وإن وصل إلى شيء منه من غيره فهو شيء يسير لا يحصل له بتمام المقصود»[١].

ونستفيد من تعريفه للتربية: أنها تتناول معنيين: أحدهما: يتعلق بعلم المربي، حيث يشرف على علمه فيكمّله ويصونه ويتعهّده كما يربي صاحب المال ماله، والثاني: تربية الناس بهذا العِلْم والتدرج بها كما يربي الأطفال أولياؤهم.

أما المعنى الأول: فيزيده وضوحاً بذكر مراتب العِلْم، فأول مراتب العِلْم عنده: سماعه، وثانيها: عقله وفهمه، وثالثها: تعاهده وحفظه حتى لا يُنسى فيذهب، ورابعها: تبليغه وبثّه ونشره بين الناس. يقول: رحمه الله ـ موضّحاً ذلك: . . فإنّ النبي ﷺ دعا لِمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلّغه. وهو يشير إلى قوله ﷺ: «نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثمّ أدّاها إلى مَن لم يسمعها»[٢].

وهذه هي مراتب العِلْم أولها وثانيها سماعه وعقله، فإذا سمعه وعاه بقلبه ـ أي: عقله ـ واستقرّ في قلبه كما يستقرّ الشيء الذي يوعى في وعائه. المرتبة الثالثة من أساليب التعليم: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. والمرتبة الرابعة: تبليغه وبثّه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثّه في الأمة[٣].

(١) الحجاجي، ١٤٠٨هـ، ص١٥٥، بتصرف.
(٢) صحيح الجامع، ج٦، حديث رقم: ٦٦٤٢.
(٣) الحجاجي، ١٤٠٨هـ، ص١٥٨، ١٥٩، باختصار.

وابن القيم يؤكد أمر نشر العِلْم، ويرى أن نشره وبثّه بين الناس عامل قوي في زيادته وحفظه وصونه وعدم ذهابه، وأنّ كتمانه أقوى عامل لضياعه، لهذا فهو يُشبّه بالكنز المدفون، فيقول: فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض، الذي لا ينفق منه، وهو معرّض لذهابه، فإن العِلْم ما لم ينفق منه ويعلّم، فإنه يوشك أن يذهب، فإن أنفق منه نَما وزكا على الإنفاق.

«كما يبين ابن القيم رحمه الله ـ أنّ للتربية أهمية قصوى في تهذيب الخُلق وتقويم السلوك، كما يوضح أن التربية السليمة هي التي تجعل للتدريب والتعويد شأناً في رسوخ الصفات الطيبة، وفي هذا القول أيضاً يحمّل ابن القيم مسؤولية انحراف الأخلاق والسلوك»[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) المرجع السابق، ص١٥٩، بتصرف.

# الفصل الخامس

# خاتمة الدراسة

وتنقسم إلى المحاور التالية:

أولاً: نتائج الدراسة.

ثانياً: برنامج تطبيقي لترسيخ الخشوع، وذلك من خلال بعض الوسائط التربوية.

ثالثاً: المقترحات.

# الفصل الخامس

# خاتمة الدراسة

من خلال عرض الباحث لمفهوم الخشوع والآيات الدالة عليه لفظاً ومعنًى، وكذلك عرض الأحاديث الدالة على الخشوع لفظاً ومعنًى، وبيان مظاهر الخشوع في حياته ﷺ وعند بعض الصحابة رضي الله عنهم وبعض المربِّين المسلمين، وكذلك بيان الوسائل المعينة على الخشوع وكلّ ما يتعلق بهذا الجانب التربوي المهمّ؛ بعد كل ذلك توصّل الباحثُ إلى مجموعةٍ من النتائج، وكانت على النحو التالي:

## أولاً: نتائج الدراسة

١ ـ الخشوع حاجة ماسّة وضرورة مهمّة للمؤمنين، فهو سبيل الصدق مع الله تعالى، وباب التوبة إليه والرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى.

٢ ـ الخشوع من أهمّ موضوعات الإيمان والتوحيد في مدرسة الإسلام، ولا تسمو الحياة الإيمانية إلا باستشعار جذوته وأهميته.

٣ ـ الصلاة الخاشعة تورث الحياة في نفوس النشء والبُعد عن الآثام، فتتفرَّغ النفس للطاعة وتشتغل بما ينفع.

٤ ـ لصلاة الجماعة أثرٌ عميق في تربية النفوس وتنمية الخشوع في أعماقها.

٥ ـ الخشوع يغرس في نفوس النشء الهدوءَ وعدم العبث وكثرة الحركة وضبط النفس.

٦ ـ التخطيط المتقَن للمنهج الدراسي المبني على الثوابت الإيمانية الراسخة من كتاب الله تعالى وهدي رسوله ﷺ، وتنويع النشاطات اللامنهجية والاهتمام بجدواها التربوية من أسباب تنمية الخشوع.

٧ ـ الخشوع سبب مباشر وقوي لبعد النشء المسلم عن الانحراف الأخلاقي والضياع والتِّيه والحيرة.

٨ ـ للخشوع دور مهمّ في توجيه الطالب وإرشاده لِما ينفعه في دنياه وآخرته، وذلك من خلال التدبّر والتأمّل لعاقبة الأمور، وأنّ اللجوء الصادق والخشوع له سبحانه هو المفرّ والمخرج مِن كلِّ همٍّ وكُربة.

٩ ـ للخشوع دور مهمّ في قدرة الطالب على حلِّ المشاكل ومواجهة المواقف الصعبة بثبات ورويّة وقدرة على تحمّل المسؤولية.

١٠ـ يسهم الخشوع في إثراء الجدوى التحصيلية العِلْمية لدى الطالب، ويجعله متحفّزاً لتلقي العِلْم وطلبه بجدّ واجتهاد.

١١ـ ربط المتعلمين بالعبادات له دورٌ هامٌ في غرس كثير من القيَم التربوية الإسلامية الفاضلة.

١٢ـ تعمُّق الخشوع في قلب الشابّ المسلم يكبح جماح شهواته المختلفة، ويوظف الطاقات توظيفاً تربوياً متناسقاً.

١٣ـ الخشوع يمحق أسباب الاستهانة بحرمات الله وشعائره أو الاستخفاف بها، ويقف سدّاً منيعاً أمام التكاسل في العبادات أو التفريط في الطاعات.

١٤ـ الخشوع يهذّب الشابّ المسلم على الخُلق القويم وحُبّ التواضع، وكراهية الكِبر، ولين الجانب والأدب الجمّ.

١٥ـ يحقق الخشوع في نفوس النشء عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الصادقة، ويسمو بهم إلى التطلّع إلى معالي الأمور.

١٦ـ للأسرة دورٌ كبير ومهمّ في تنشئة جيل مؤمن صالح يضع رِضا الله تعالى نصب عينيه في كلِّ صغيرة وكبيرة.

١٧ـ يمكن تحقيق تربية إيمانية خاشعة إذا كان كلٌّ مِن الأبوين قدوةً صالحةً لأبنائهم في الترغيب بفعل الطاعات والبُعد عن المحرمات.

١٨ـ كثرة ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه الكريم يجلب السكينة والخشوع والطمأنينة للقلب المؤمن، فيسلك سُبل الخير ويحذر طرق الشر والغِواية.

١٩ـ الاهتمام بالنشء وحفز هممهم ومكافأتهم وتشجيعهم على الحرص على القيم الإيمانية الفاضلة يؤدي إلى الإقبال على الطاعات وعدم التفريط فيها، وحُبّهم لها.

٢٠ـ أنّ المنطلق الأساسي لأيّ تربية إيمانية خاشعة، إنما يكون بترسيخ العقيدة في قلوب الناشئة بجميع الوسائل التربوية والتعليمية الممكنة.

٢١ـ أن تكامل دور المدرسة مع بقية مؤسسات المجتمع مثل المسجد والأسرة ووسائل الإعلام يثمر عن تربية إيمانية تنعكس على سلوك النشء المسلم.

٢٢ـ أهمية دور المعلّم المسلم في ترسيخ الإيمان الصادق في قلوب الناشئة، وأنه يلعب دوراً مهماً لتحقيق الخشوع في قلوب ونفوس النشء المسلم.

٢٣ـ لعنصر التدريب والتربية والبناء التربوي لترسيخ القيم جوانب مهمّة لبناء تربية إيمانية خاشعة.

٢٤ـ تذكير النشء بزيارة القبور والاتّعاظ بأحوال الموتى أسلوب تربوي مؤثّر. وقد قام الباحث مع طلابه بزيارة إحدى المقابر القريبة من مدرستهم؛ فكان لها أبلغ الأثر في نفوسهم.

٢٥ـ الخشوع يربي النشء على حُسن التصرف والفطنة والذكاء؛ لأنّ الخشوع حالة تهيُّؤ فكري ويقظة للنفس والسلوك والجوارح، فهو يروّض النفس على تلك السجايا والصفات الحميدة.

٢٦ـ ضرب المثال والأسلوب القصصي إذا تَمّ عرضهما بأسلوب مؤثر، فإنّ لها آثاراً تربوية فعّالة لتحقيق الخشوع في نفوس النشء المسلم.

٢٧ـ الحصول على تمرة الخشوع في العبادة ـ ولا سيما في الصلاة ـ يحتاج إلى صبر وجهاد مستمرّ ويقظة دائمة، وإعداد تربوي للنفس، وترويضها على حُبّ الطاعات والمسابقة في ميادين الخير والفلاح.

٢٨ـ التفكُّر في ملكوت الله تعالى وإبداعه في الكون، وإثارة الوجدان لهذا المركَّب الكوني الحافل بالخشوع والسجود والتسبيح والتذلُّل للواحد القهار يُعدّ من أقوى الأساليب المؤثرة في نفوس النشء لإثارة اليقين والإيمان في قلوبهم.

٢٩ـ للخشوع آثار تربوية تمتدّ إلى خارج العبادة؛ فالخاشع في صلاته وعبادته لا يكذب ولا يخلف الوعد، ولا يعقّ والدَيه، وهكذا... إلخ.

٣٠ـ تبيّن من خلال هذه الدراسة أنّ بعض الآيات الكريمة الدالّة على الخشوع فيها تصوير دقيق لمشاعر النفوس المؤمنة حينما يغمرها الخشوع والخشية، وصوّرت بأسلوبها المعجِز أنّ الخشوع إنما ينطلق مِن صدق الإيمان والتوحيد، ويمتدّ ليشمل كافة ميادين الحياة.

٣١ـ أنّ العِلْم الشرعي والتفقُّه في دين الله تعالى بعِلم وبصيرة هي المنطلقات الأساسية لحياة إيمانية خاشعة، ولذلك تبيّن من خلال هذه الدراسة أنّ أكثر المؤمنين خشوعاً وإنابةً وإخباتاً هم العلماء الربَّانيون والعُبّاد المخلصون الذين اتّخذوا الحياة الدنيا مطيةً للدار الآخرة.

## ثانياً: برنامج تطبيقي لترسيخ الخشوع، وذلك من خلال بعض الوسائط التربوية

فيما يلي يقدّم الباحث برنامجاً تطبيقياً لكيفية ترسيخ الخشوع في نفوس أبناء المجتمع المسلم، ويتمّ عرض هذا البرنامج التطبيقي من خلال المحاور التالية:

### ١ ـ المسجد:

المساجد هي بيوت الله في الأرض، وقد عظّم الله تعالى شأنها، ورفع قدرها، وبيّن سبحانه وتعالى أن التقوى والطهارة هي أساس هذه البيوت التي يرفع فيها اسمه سبحانه وتعالى. فقد قال سبحانه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وأمر سبحانه وتعالى نبيّه ﷺ بأن تكون المساجد بعيدةً عن الشرك وأهله قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وبيّن سبحانه وتعالى أنه أذن بأن يُذكر فيها اسمه ويُرفع، حتى تكون معلنةً للتوحيد والإخلاص وصدق التعلّق بالله تعالى، فقال سبحانه: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

كما بيّن سبحانه وتعالى أنّ المؤمنين الصادقين هم الذين يعمرون مساجد الله، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

«إنّ العبادة تعبير عن العقيدة، فإذا لم تصحّ العقيدة لم تصحّ العبادة. وأداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالاعتقاد الصحيح والخشية والخشوع والإنابة، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء. تلك هي القاعدة في استحقاق عمارة بيوت الله وفي تقويم الشعائر والعبادات على حدٍّ سواء بيّنها الله تعالى للمسلمين»[(١)].

مِن خلال ما تقدّم يتَّضح مدى الأهمية الكبيرة التي تحظى به بيوت الله تعالى في الشرع المطهَّر، وأنها منارات خير وهدى لا غنى للمجتمع المسلم عنها.

ويضطلع المسجد بدور كبير في ترسيخ الخشوع في قلوب مرتاديه.

إن ركعة واحدة يؤدّيها المسلمون في بيتٍ من بيوت الله جنباً إلى جنب تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنسانية وموجبات الودّ والأخوّة ما لا تفعله عشرات من الكُتب التي تدعو إلى المساواة، وتتحدث عن فلسفة الإنسان المثالي، لذا بدأ رسول الله ﷺ إقامة المجتمع الإسلامي في طيبة الطيبة بعمارة المسجد، معلناً بذلك أنه الركن الأول والدّعامة الأولى لقيام مجتمع إسلامي تحفّه المحبة والتعاون والألفة، وهذا ما رسّخه ﷺ في صحابته، فكان المسجد خير ضمانة لهم، وأعظم ملاذ عن كل شاغل من مشاغل الدنيا.

«من هنا ندرك الأهمية الكبرى للمسجد، والوظيفة التربوية التي يقوم بها تجاه المجتمع المسلم لتحقيق الأخلاق الفاضلة والعمل المثمر الجاد، وهذه ـ ولا شكّ ـ هي ثمار الخشوع الإيماني الصادق، بل إنّ دور المسجد في ترسيخ الخشوع يبدأ من بداية الخطوات الأولى التي يخطوها العبد

---

(١) قطب، ١٤٠١هـ، ج٣، ص١٦١٤.

المسلم من بيته إلى بيتٍ من بيوت الله، مستحضراً في قلبه وذهنه الأجر العظيم المترتِّب على ذلك»(١).

ولأهميته فقد رغَّب ﷺ في تشييد المساجد والمساهمة في بنائها، فقال: «سبع يجري للعبد أجرهنّ وهو في قبره بعد موته: مَن علّم عِلماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرسَ نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّثَ مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»(٢).

**أ ـ صلاة الجماعة ودورها في ترسيخ الخشوع:**

«مما لا شك فيه، أنّ رسالة المسجد في الإسلام تتركز بالدرجة الأولى على التربية الروحية؛ لما لصلاة الجماعة وتلاوة القرآن الكريم مِن ثواب عظيم وأجرٍ جزيل»(٣).

وعندما يستشعر المصلي هذه (الحوافز الإيمانية) وعِظَم الأجر والثواب، فإنّ ذلك يؤدي إلى الخشوع وتعلُّق القلب المؤمن بها، حتى يحظى بها بإذن الله.

يقول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «صلاة الرجُل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا أحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يَخْطُ خطوةً إلا رُفعت له بها درجة، وحُطّت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة»(٤).

---

(١) السدلان، ١٤١٥هـ، ص١٧-١٨، بتصرف.

(٢) صحيح الجامع، حديث رقم: ٣٦٠٢.

(٣) السدلان، ١٤١٥هـ، ص٣٤، بتصرف.

(٤) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٤٩.

ولذلك فإن من أهم وظائف المسجد التربوية: أنه يعوّد المسلمين على التزام الجماعة والارتباط بها عدة مرات في اليوم الواحد، حيث يستشعر المسلم أهمية أدائه مع إخوانه شعيرةً عظيمة، وهم في ذلك سواسية ـ كأسنان المشط ـ حين وقوفهم أمام المولى سبحانه وتعالى، فهم متساوون متوحدون.

وقد حثّ النبي ﷺ على المحافظة على صلاة الجماعة؛ لِما في ذلك من الأجر العظيم. ويشعر المسلمون في المسجد بمعاني الأخوّة الإسلامية الصادقة. ومجتمعُ المصلين داخل المسجد مجتمعٌ يسوده الحبّ والصفاء والوِئام، فهو مجتمع يتفقّد الغائب، ويعين بعضه بعضاً.

ولقاء المسلمين في اليوم والليلة خمس مرات داخل المسجد يُنمِّي بينهم روح الجماعة والتآلف والمحبة، كما أنه يقوّي الصلة الفكرية والنفسية والاجتماعية فيما بينهم، ويعوّدهم الالتقاء على الخير، والتعاون على البِرّ والتقوى، والبُعد عن الإثم والعدوان، وكل تلك المشاعر الإيمانية دعائم قوية لتحقيق الخشوع في العبادة؛ لأنّ النفوس مهيأة لاستقباله واستقراره في كوامن النفس المؤمنة المطمئنة.

ولذلك؛ فإنّ حضورهم الجماعة في المسجد يغذّي أرواحهم بالقرآن، ويربي نفوسهم بالإيمان والخشية والإخبات، والتواضع لله ولعباده المؤمنين لأنه ـ أي المسجد ـ ومِن خلال صلاة الجماعة يخضعهم أمام ربّ العالَمين خمس مرات في اليوم والليلة عن طهارة بدن، وخشوع قلب، وخضوع جسم، وحضور عقل، «فيزدادون كلّ يوم سُموّ روحٍ، ونقاء قلبٍ، ونظافة خُلق، وتحريراً من سلطان الماديات ومقاومة الشهوات، ونزوعاً إلى ربّ الأرض والسماوات، ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس، ويزيدهم إيماناً وتسليماً»[1].

---

(١) السدلان، ١٤١٥هـ، ص٣٤، ٣٥، بتصرف.

ولهذا كان سلف الأمّة من الصحابة رضي الله عنهم يشتاقون إلى الصلاة ويهرعون إليها، كما كان فعل نبيهم ﷺ، بل كان بعض الصحابة ـ ومنهم عَديّ بن حاتم رضي الله عنه ـ يستعدّ للصلاة بالوضوء قبل حلول وقتها، ويقول رضي الله عنه: (ما أقيمت الصلاة منذُ أسلمت إلا وأنا على وضوء)[١].

وحتى تتحقق أهداف الصلاة في تزكية الأفراد والجماعات والبيئات، ركّز الشارع الحكيم على الإطار الجماعي والاجتماعي في أدائها، فلا يفرق الأفراد في بيئات اجتماعية وثقافية مادية مُوحِلة، ولا تهبط إلى مستوى يفتقد للأخلاق الفاضلة، ولذلك كان التشديد على صلاة الجماعة في المساجد، ولم يرخص الشرع المطهر بصلاة الفرد في بيته إلا لعذر شرعي مُعتبر.

ومن الطبعي أنّ غايات الصلاة في التزكية واستحضار الخشوع فيها لا تتحقق إلا إذا برز فقه شامل راسخ يقوم على البحث العِلْمي في ميادين النفس والاجتماع وفق المنهج الرباني، وانطلاقاً لِما تخبر به الآيات الكريمة عن الفوائد الجمّة التي يجنيها المصلي، وحضوره للمسجد لأداء صلاة الجماعة، وكذلك العواقب المترتبة على تركها أو عدم أدائها مع جماعة المسلمين في بيوت الله، وإنّ الجهل بهذا الفقه العِلْمي الإيماني عن آثار الصلاة في ميادين النفس والمجتمع يبقي الصلاة مجرد حركات وتمتمات لا حياة فيها، وقد يحوّلها إلى عادات موروثة لا روح فيها ولا أثر لها، ولذلك أصبح من أولى مسؤوليات منهاج التزكية وبثّ روح الإيمان الصادق أن يفرز مقررات دراسية ودراسات تربوية متأنية، وموضوعات وأبحاث شرعية تعتمد على الدليل من الكتاب والسنة ومِن أقوال السلَف الصالح لإبراز دور صلاة الجماعة في بيوت الله، وتعزيز مكانة المسجد ورسالته وتأثيره في إحداث التوازن المطلوب في حياة الفرد المسلم والمجتمعات الإسلامية، وتحقيق

(١) إلهي، ١٤١٩هـ، ص١٢١.

العمل المثمر لخيري الدنيا والآخرة، «لا سيما وأنّ الدراسات البيئية الحديثة التي أجريت في المدن الكبرى أنّ الكتابة المطبوعة وبرامج التلفزيون وتقارب الإنترنت والمكالمات التلفونية لا تغني عن اللقاءات المباشرة بين بني الإنسان، وأنّ جميع مراكز الترفيه والتسلية لا تسدّ جوعة الإنسان وحاجته إلى الهوية والانتماء القائمَين على أنبل ما فيه مِن مزايا رفيعة وأشواق روحيّة، ولهذا فإنه لا غنى للعبد المسلم عن حاجته لجماعته، فهو قويّ بهم، ولا يتحقق ذلك بتجرد وبنوايا حسنة وإيمان صادق إلا في بيوت الله سبحانه وتعالى»[1].

**ب ـ دور خطبة الجمعة في التربية والتوجيه وترسيخ مبدأ الخشوع:**

لا تزال الخطابة هي أكثر الوسائل فعالية في نشر المبادىء الإسلامية الصحيحة وتوجيه السلوك الإنساني نحو المفاهيم الأخلاقية الفاضلة.

وخطبة الجمعة تنعقد أسبوعياً داخل المسجد، وهي تهدف إلى تحقيق الأغراض التالية:

ـ الوعظ والتذكير بالله تعالى واليوم الآخر، وبالمعاني الإيمانية التي تحيا بها القلوب المؤمنة، وبثّ روح الخشية والإنابة والتضرع إلى الله تعالى، وأن الأمر بيده سبحانه من قبل ومِن بعد.

ـ تبصير المسلمين بأمور دينهم، وتعليمهم حقائق دينهم من كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ، مع العناية التامة بسلامة العقيدة من الانحرافات، وسلامة العبادة من البدع، وسلامة الأخلاق والآداب من الانحراف.

ـ تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وردّ الشبهات والأباطيل من أعداء الإسلام بأسلوب مقنع حكيم، ومواجهة الأفكار الهدّامة بتقديم الإسلام في صورته الصحيحة المشرقة.

---

(١) الكيلاني، ١٤١٩هـ، ص٢٥٤-٢٦٠، باختصار.

ـ من الأمور التي تسهم في ترسيخ الخشوع في القلوب المؤمنة: التذكير بفضل حضور خطبة الجمعة والثواب المترتب على ذلك، ومنه قوله ﷺ: «مَن اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد، فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته، ثم يصلي معه، غُفِر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام»[١].

ـ من الأمور التي تسهم في تحقيق الخشوع في قلوب المستمعين: أسلوب إلقاء الخطبة، ومدى قدرة الخطيب على استعمال الأسلوب الأمثل المستند على هدي الرسول ﷺ، الذي كان إذا خطب (احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتدّ غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبّحكم ومسّاكم..) الحديث[٢].

وكلما كان الخطيب قريباً من مستمعيه بموضوع خطبته وبطريقة إلقائه ومراعاة مقتضى الحال، كان ـ بإذن الله ـ مؤثراً في قلوب السامعين، وكلما حافظ الخطيب على هدي النبي ﷺ في كيفية الخطابة، كان النجاح حليفه بإذن الله، وتحقق الهدف الأسمى للخطبة من العِظة والعِبرة والتذكير، ووصول كلمات الخطبة إلى أعماق القلوب المؤمنة.

**جـ ـ المواعظ والدروس في المسجد ودورها في التربية وترسيخ الخشوع:**

إنّ وجود المسجد على الهيئة التي أراد الله تعالى أن تكون له، كما كان في عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين منارة علم وتوجيه، لَهو مِن أجلّ الأمور الإيمانية المعينة على تحقيق الخشوع، وإنّ أهمّ الوسائل المعينة على ترسيخ الخشوع في قلوب المصلين وطلاب العِلْم بصفة خاصة، هو التربية الإيمانية على الإخلاص وحُسن النية والتجرّد إلى الله تعالى. فالعلم عند

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٨٥٧.

(٢) المرجع السابق، حديث رقم: ٢٠٠٢.

السلف الصالح علماء المساجد وطلابها كان المقصود به صدق الإيمان وتربية النفوس على طاعة الله وترك معصيته، ولذلك أثّروا ذلك التأثير العجيب في العالَم بعِلمهم وعملهم وإيمانهم، نظراً لنشأتهم على عِلم إيماني راسخ وتوجيه مخلص ودور فاعل في الدعوة والتوجيه، فتحقق الخشوع، وأصبح سِمة بارزة في حياتهم الإيمانية.

إنّ القوة الروحية التي أساسها أداء العبادات والمحافظة على الصلوات بخشوع وإخبات تغرس في الناشئة ـ على وجه الخصوص ـ كثيراً من القيم والمبادىء التربوية والفضائل الإيمانية التي تجعل منهم أعضاء صالحين في بناء أمّتهم والنهوض بها ودفعها إلى مراتب العزّة والسؤدد؛ لتتبوّأ مكانتها اللائقة بها بين الأمم، وتغرس فيهم الشجاعة والإخلاص، وتكتمل تلك الصوَر الإيمانية المشرقة بسلاح العِلْم والمعرفة والفقه في دين الله، وهذا هو الدور المناط على جانبي التعليم والوعظ داخل المسجد إذا تَمّ استغلالهما بطريقة عِلمية سليمة تلبي رغبات النفوس المؤمنة وتطلّعاتها، وتراعي الظروف والمتغيرات المختلفة والمتشابكة التي طرأت على الحياة المعاصرة وصياغة منظومة فكرية تربوية يكون شعارها الأول الترغيب لا الترهيب، والحِكمة والموعظة الحسنة وتأليف القلوب والتقرّب إليها بكلّ وسيلة ممكنة.

وهذا يحتّم على الأئمة والخطباء والوعّاظ أن يكونوا على دراية تامّة برغبات وتطلّعات وآمال مَن يحدّثونهم؛ لتتحقق الثمرة الإيمانية المرجوّة، ويكون الوعظ والدرس قلباً نابضاً بالحياة الإيمانية الصادقة بحسب مدى الإدراك النفسي والفكري والاجتماعي لجماعة المسجد وغيرهم من المتلقّين وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تنمي الخشوع والاطمئنان في النفوس المؤمنة.

### د ـ الدور الاجتماعي للمسجد وأثره في ترسيخ الخشوع:

ويمكن من خلال الدور الاجتماعي للمسجد تنمية الخشوع، وذلك عن طريق الأساليب التربوية التالية:

ـ دعم روح الأخوّة والتعارف بين المؤمنين، مما يؤدي إلى دعم القيم الخُلقية الإسلامية، وتوحيد السلوك الاجتماعي، ونبذ كل ما يُضعف الروح الإيمانية والاجتماعية من قِيم غير سوية، كالظلم، والحسد، واحتقار الغير، والسخرية. وغيرها من أمراض اجتماعية تُضعف البناء الاجتماعي الإسلامي وتفرّق وحدته وتماسكه.

ـ يتأكد أثر القدوة الصالحة من خلال المسجد، ويتمّ في ظلّ هذه القدوة التعاون الجماعي الذي تسوده روح المحبة والإخاء، والتسابق في أعمال الخير.

ـ إمداد الأفراد بالفضائل الإيمانية المتعددة، مما يمكّن للعمل الصالح لدى المجتمع داخل المسجد وخارجه، ويكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان؛ لأنّ صلاتهم في المسجد وأداءَها جماعةً تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وتأمرهم بالعدل والإحسان، وبكلّ منافذ الخير والصلاح.

ـ يستطيع المسجد القيام بدوره في عملية تنمية القيم الإسلامية لدى المجتمع المسلم، وجعله قادراً على خدمة الحياة الإسلامية المعاصرة في إطار أهداف الإسلام إذا توافرت له الإمكانيات، وتضافرت له الجهود المخلصة، مثل الاهتمام بمكتبة المسجد وتزويدها بالمراجع المهمّة، وكذلك بالكتب المختصرة المبسطة؛ ليسهل استيعاب ما فيها من الجميع، وكذلك الاهتمام بحلقات تحفيظ القرآن الكريم، والمحافظة على طاقات الشباب واستغلال قدراتهم فيما يعود عليهم بالنفع. «كلّ ذلك يسهم ـ بإذن الله ـ في ترسيخ دور المسجد في الأذهان، مما يكون له أجمل الأثر في

نفوس المجتمع المسلم الذي تتوق قلوبهم إلى عمارة بيوت الله بكلّ حرص وعناية وإخبات»[١].

ـ التعارف قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية، بل هو ضرورة من ضرورات المعاملات بين الناس، فالمسجد له دور كبير في تأكيد هذا التعارف، وهو كفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني لا يُنسى، ذلك أن المصلين في الحي لا يلتقون غالباً في المسجد إلا لأداء الصلاة، فهم خرجوا من بيوتهم لأداء الصلاة وابتغاء الأجر والثواب، فلقاؤهم في المسجد هو تأكيد وتقوية أواصر الأخوّة الإيمانية المبنية على المحبة والإخلاص وحُسن الظنّ، والعفو والتناصح الأخوي، فتتآلف النفوس، وينشأ التعاون الأخوي المؤدي إلى الخير والفلاح.

ـ كما يمكن للمسجد أن يؤدي دوره الاجتماعي بأن يكون منطلقاً لتفاعل المجتمع المسلم. ولقد أقرّ رسول الله ﷺ بعض الناس أن يتصدق بالسلاح في مسجده؛ لحديث جابر رضي الله عنه: (أنه ﷺ أمر رجلاً كان يتصدّق بالنَّبل في المسجد أن لا يمرّ بها إلا وهو آخذٌ بنصولها)[٢].

ـ عندما يكون للمسجد مكانة في المجتمع الإسلامي لا يتخلَّف المسلمون عن حضور صلاة الجماعة، فإنّ الإيمان يتمكن من قلوبهم، فيحبوا مفاتح الخير والعمل الصالح، ويكرهوا ما سوى ذلك من أعمال السوء، فيصلحوا بين المتخاصمين، ويردّوا المظالم إلى أهلها، ويعينوا المحتاج والضعيف، وهذه الجوانب الإيمانية التي يضطلع بها المسجد في مجتمع المسلمين تؤدي إلى صدق الإيمان واليقين، وصدق التعلق بالله تعالى.

وأخيراً؛ فإنّ للمسجد ثماراً إيمانية عظيمة تجسِّد معنى وحقيقة الإيمان واقعاً ملموساً، كما قال الرافعي ـ رحمه الله ـ:

---

(١) أبو العينين، ١٤٠٨هـ، ص١٧٢، باختصار.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٦١٤.

«عرفت ـ والله ـ من معنى المسجد ما لم أعرف، حتى كأني لم أدخله مِن قبل. انكشف لي المسجد في نوره الروحي عن معانٍ أدخلتني من الدنيا في دنيا على حِدَة، وهو ليس كغيره من الأمكنة، بل هو تصحيح للعالم الذي يموج من حوله ويضطرب، فإنّ في الحياة أسباب الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها، وهذه كلها يمحورها المسجد، إذ يجمع الناس مراراً في كل يوم على سلامة الصدر وبراءة القلب وروحانية النفس، ولا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزّهة، مسبغةً على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر الذي يسمى الوضوء، كأنما يغسل الإنسان آثار الدنيا عن أعضائه قبل دخوله المسجد، ثم يستوي الجميع في هذا المسجد استواءً واحداً، ويقفون موقفاً واحداً، ويخشعون خشوعاً واحداً، ويكونون جميعاً في نفسية واحدة، بل يخرّون إلى الأرض جميعاً ساجدين لله، فليس لرأسٍ على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز، ومِن ثَمّ فليس لِذات على ذات سلطان، وهل تحقق الإنسانية وحدتها في الناس بأبدع من هذا؟! ولَعمري أين يجد العالَم صوابه إلا ههنا؟ فالمسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع، هو فكر واحد لكل الرؤوس، ومِن ثَمّ فهو حَلٌّ واحد لكل المشاكل، وكما يُشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدم، يُقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله»[١].

## ٢ ـ الأسرة، ودورها في ترسيخ الخشوع في نفوس النشء:

تمثل الأسرة الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى الطفل منها معلوماته، ويتفاعل مع أفرادها، ويشعر بالانتماء إليها. ويتعلم منها كيفية معاملة الآخرين.

(١) العفاني، ١٤٢٠هـ، ج١، ص٣١٢، ٣١٣.

ولقد سعى الإسلام سعياً حثيثاً لإصلاح الأُسَر والبيوت، وبدأ ذلك بالأسس التي يتكون منها البيت المسلم، وفي مقدّمة ذلك الأمر: اختيار الزوجة الصالحة؛ لأنّها من أهمّ العوامل لتنشئة جيل صالح، وكذلك لا بدّ أن يكونَ الأب صالحاً ذا خُلق قويم، حتى يترعرع الأبناء في محيط تلك الرعاية الإيمانية الخيِّرة، لأنّ لصلاح الوالدَين ـ وهما القدوة الحسنة للطفل الناشىء ـ أثراً كبيراً على نفس الطفل، فبالإضافة إلى تقواهم لله واتّباعهم لمنهجه مع شيءٍ من الجُهد والتعاون ينشأ الطفل على الطاعة والانقياد لله سبحانه وتعالى.

ويمكن للأسرة تنمية جانب الخشوع في نفوس الناشئة من خلال ما يلي:

**أ ـ دور الأسرة في ترسيخ التربية الخاشعة:**

إنّ مسؤولية الأسرة متكاملة تجاه الأطفال وتربيتهم، ذلك أنّ تنمية القيم لا تأتي وحدها، بل تكون في إطار إشباع الحاجات التي يحتاجها الطفل جسمية وعقلية وخُلقية ونفسية وعقدية واجتماعية.. وغيرها. فالأسرة مهمّتها العناية بتلك الجوانب وإشباعها النشء بكل نواحي تلك الجوانب على أساس قِيَمي. وتشير السنّة المطهرة إلى ذلك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصّرانه أو يمجِّسانه...» الحديث[1].

«وإنّ مما يساعد الأب على التربية الصالحة للأبناء والرعاية لهم: الزوجة الصالحة التي تتفهم دورها ووظيفتها على أكمل وجه، فهي الركن الرئيسي في هذا العمل، وعملها هذا له دور تاريخي في تاريخ المجتمعات،

---

(١) البغوي، حديث رقم: ٦٩.

فقد تنتج ولداً مصلحاً للمجتمع يقود الأمّة إلى الخير والقوة والفلاح في الدارين»[١].

وكلما كانت الأسرة متمسكة بدينها ومبادئه وقيمه، انعكس ذلك على تربية الأطفال، حيث تعمل على تنشئة أطفالها على القِيم الصحيحة، فيحكمون الشرع ومبادئه وأحكامه في كل تصرفات حياتهم، حتى تقوم على الأسس الصحيحة السليمة، ولهذا وردت النصوص الكثيرة موجهةً في بناء الأسرة وترسيخ الإيمان اليقيني الصادق في قلوب أبنائها.

وإن أهمية الأسرة المسلمة في تنشئة الطفل المسلم على المبادىء والقِيم الإسلامية غاية في الأهمية، ومسؤوليتها متكاملة تجاه تلك التنشئة، ليكتسب الطفل المسلم الشخصية الإسلامية الصحيحة والمتكاملة والمتوازنة.

«وتكوين مثل هذه الشخصية مهمّ جداً أدرك ضرورتها العلماء الربانيون وعلماء النفس والتربية لوقاية الإنسان من الأمراض النفسية المختلفة، والتي تنشأ نتيجة الصراع الداخلي بين الميول والاتّجاهات المختلفة، وضروري أيضاً لتحقيق الطمأنينة والسعادة النفسية، ومِن ثَمّ يرون أن السعادة متوقفة على بناء شخصية متكاملة عن طريق توحيد ميوله وإقامة الانسجام بينها، وأنّ السعادة مرتبطة بتكامل الشخصية والتوافق التامّ بين نزعات الشخص وعواطفه واتجاهاته، بحيث يكون بعيداً عن القلق والصراع والخوف، ويضمن توجيه الطاقة البشرية لِما ينفعها في الدارَين»[٢].

وعندما يعيش الطفل بين أسرته في جوّ نفسي متوازن، ويتلقى التوجيهات الأخلاقية التي ترشده للأنماط السلوكية الإيجابية من خلال المبادىء الإيمانية، فإنه ينشأ نشأة أخلاقية تتّسم بالصدق والإخلاص.

---

(١) سويد، ١٤١٩هـ، ص٣٥.

(٢) يالجن، ١٤١٦هـ، ص٦٠، ٦١، بتصرف.

وكلما قاومت الأسرة الأفكار السلبية لدى الأطفال، وذلك بتعويدهم على الفضائل وتشجيعها لهم، «وإرسال الرسائل الإيجابية، وتحفيزهم وتحريك هممهم بعبارات المدح والثناء، تحققت لهم التربية الإيمانية الخاشعة، وترسيخ ذلك بتعليمهم الأذكار الواردة عن النبي ﷺ»[١].

كما يجب عليها تهيئة المناخ المناسب المساعد على اكتساب القيم عن طريق صلاح الأسرة وصلاح الأبناء، وتهيئة المجال للطفل للاقتراح والتخطيط المناسب، ومساعدته على تمثُّل القيم والحقائق والمبادىء الإسلامية.

والنشأة الإيمانية الصالحة للأبناء تتطلب من الآباء والأمهات أن يستعينوا بالحكمة والأناة والصبر، فالتربية تحتاج إلى مجاهدة، حتى لا تؤدي إلى تربية سلبية خالية من العطف والحنان، بل المتعيَّن على الأسرة «أن تكون تربيتها قائمة على اختيار الجيد، والبُعد عن أساليب الانغلاق والحِرمان، والاعتماد على تكوين الحسّ الإسلامي في نفوس الأطفال، وبالتدرج في إنضاج القدرة على الاختيار الجيد والبُعد عن السفاسف والرذائل»[٢].

ب ـ دور الأسرة في مواجهة التحديات المعاصرة:

تعيش الأسرة المسلمة في الوقت الحاضر في ظلّ متغيرات اجتماعية وثقافية كثيرة، وأصابها من التغيير ما أصابها، وتواجه تحدّيات كثيرة، بل إنَّ بعضها يعيش صراعاً قيمياً ذا أبعادٍ متعددة، ومع هذا التغيّر الاجتماعي تغيرت في الأسرة بعض المعالِم، منها الإيجابي ومنها السلبي، وكان لهذا التغيّر أثره الفعال على الأسرة من جوانب متعددة. ومن أهمّ المؤثرات التي طرأت حديثاً وتنبىء بكثير من السلبيات على سلوكيات الأطفال والناشئة: تأثير وسائل الإعلام المتعددة، وخطرها على الأسرة، فهي تقوم بدور

(١) الهلالي، ١٤١٩هـ، ص١٤٠، بتصرف.

(٢) موسوعة نضرة النعيم، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٦٦، بتصرف.

بالغ الخطورة والأهمية في حياة الناس بعامّة، وفي حياة الناشىء بعينه خاصة، وأصبحت أهمية وسائل الإعلام واضحةً في مجال التربية، فهي تقوم على قيَم معينة هي قيَم المجتمع الذي نعيش فيه، وهي إما أن تساعد على تثبيت هذه القيم ودعمها، وإما أن تعمل ضدّها، بحيث تغرس في نفوس الأفراد قيَماً أصيلة جيدة، أو تخلع منها قيماً رديئة وتغرس محلّها قيماً أخرى جيدة، وهذا يعود ـ بالتأكيد ـ إلى القائمين على أمر هذه الوسائل ومدى فهمهم لثقافة المجتمع ومعاييره وقيمه، وقد تُستخدم هذه الوسائل استخداماً سيئاً يعطّل في الإنسان عقله ووجدانه واهتمامه بالقيم، مما يؤدي إلى حالة من الركود والخمول واللامبالاة، أو ما يسمّى بعدم الاهتمام، أو الاهتمام الظاهري الكاذب بمشكلات الأسرة والمجتمع، فكما أنّ لها استخداماتها الفعّالة فإنّ لها استخدامات ضارّة أيضاً خاصة إذا ما وجهت توجيهاً ضدّ قيم المجتمع الأصيلة، فهي في هذه الحالة تهدم ولا تبني، وهذا ما نعيشه في هذا العصر، ولا يخفى على كلّ ذي لبّ ما يُبثّ عبر هذه الوسائل من وسائل الهدم والتدمير لأخلاق الناشئة والشباب، وصور المكر ونشر الرذيلة في كثير من هذه الوسائل، بل من الملاحظ في حياتنا المعاصرة تسرّب ظواهر معينة من خلال وسائل الإعلام، كإشاعة العنف، والهروب من الواقع، والاستغراق في الخيال والسلبية والتقليد الأعمى. وغير ذلك مما يؤكد ما ذهبنا إليه، وتؤكّده دراسات متعددة عن الأثر السلبي لوسائل الإعلام، ومن هنا تتأكد الحاجة الماسة إلى صياغة إعلامية إسلامية يكون مستندها الأساسي القرآن الكريم والسنّة المطهرة والعلوم المرتبطة بهما، وما تحتاجه وسائل الإعلام من مبادئ سليمة وأسس قويمة وقواعد متينة، وحقائق ثابتة، وذلك لبناء ما عجز عنه الإعلام المعاصر الذي يستند إلى نظرية الربح المادي بأيّ وسيلة كانت.

«هذا البناء هو بلورة نظرية متكاملة للإعلام الإسلامي تراعي جميع الرغبات والتطلّعات من منطلق إيماني صادق، لتقف جنباً إلى جنب مع تطلعات الأسرة

المسلمة تجاه أبنائها في خِضمّ هذا البركان الرهيب من الغزو الإعلامي الذي يرمي بحممه صوب صدور مجتمعنا وتجاه قلوب شبابنا وناشئينا»(١).

ورغم وجود بعض الوسائل الإعلامية الإسلامية على الساحة حالياً التي تغذِّي الجانب الروحي لدى الناشئة، لكنها لا تتناسب مع حجم الغزو الإعلامي المركز تجاه الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم. «ولذلك فإنّ من مظاهر الغزو الثقافي في مجال الإعلام: حرص أعداء الأمّة الإسلامية على ضياع الهوية الحقيقية للأمّة في وسائل إعلامها، وتخبّط تلك الوسائل في دياجير الحيرة والتيه، وجمعها بين الغثّ والسمين مع طغيان الغثّ في كثيرٍ من الأحيان»(٢).

«وهكذا انخدع كثيرٌ من المسلمين ولا يزال البعض بهذه الحضارة الجاهلية بسبب ذلك الغزو الموجّه، فوقعوا في أحضانها وبراثنها، ولن يكون لهم خلاص إلا بالعودة إلى الإيمان واليقين»(٣).

ولا يخفى على أحد في عصرنا الحاضر أنّ الاتصال الإعلامي بقنواته المرئية والمسموعة والمكتوبة أصبح مصدراً معرفياً مهماً عند السواد الأعظم من الناس، ولا يمكن إغفال أثره وتأثيره على اتجاهات وحياة الأسرة والمجتمع، فالموضوع جدّ خطير.

«وإن أسوأ نتائج الحضارة المعاصرة هي تحوّل التقدم العلمي إلى وسائل تدمير، وتحول الإعلام إلى وسائل ترفيه غير بريء، وفي معظم الأحيان إلى وسائل تدمير للطاقات العقلية في الإنسان، إنه يحول بينها وبين الوصول إلى غايتها، يحاول تشكيلها وفق غاياته والتحكم فيها لحسابه»(٤).

---

(١) سليمان، ١٤٠٩هـ، ص٩٨، باختصار.

(٢) الخريجي، ١٤١٣هـ، ص١٢٧، بتصرف.

(٣) العقل، ١٤١٤هـ، ص٩١، بتصرف.

(٤) إمام، ١٤٠٣هـ، ص٢١٠-٢١١، بتصرف.

وفي ظل هذا الزخم الهائل من أساليب الغزو الفكري التغير الثقافي والاجتماعي في عصرنا الحاضر وتأثيره على الأسرة والمجتمع المسلم، فإنّ هذا التغيير الكبير يجعل وظيفة الأسرة المسلمة أكثر أهمية وصعوبة، خاصة في مجال تنمية القيم الإسلامية وفي إطار أهداف الرسالة الإسلامية الخالدة المتجددة في إطار تلك المتغيرات التي أصابت الأسرة في عقر دارها، لذلك فإنّ دورها في تنمية القيم الخلقية وفي إطار رعايتها للنموّ المتكامل لشخصية الطفل المسلم عقيدةً وسلوكاً إنما يكون بالرجوع إلى الأصل الإيماني الثابت الذي لا يتزعزع، إنها العقيدة، «فهي المحرك الذي يحرك النفس من الداخل، وهي الموجّه إلى شتى صنوف العمل وصنوف السلوك وصنوف الوجدان الإيماني الصادق، ومِن ثَمّ ذهبت في حياة البشرية حضارات مادية كثيرة، واندثرت أو بقيت آثارها صَمّاء جامدة خاوية من الحياة، وبقيت العقائد هي المنطلق الإيماني لكل فعل خيّر»[(١)].

«إنّ الإيمان الصحيح متى استقرّ في القلب ظهرت آثاره في السلوك، والإسلام يتضمن عبادات متنوعة ومتعددة، فهي بمجرد تحققها في عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج، ولتترجم نفسها إلى حركة وعمل في عالم الواقع»[(٢)].

وإنّ الوالد المسلم الحصيف يعرف كيف يتسرب إلى نفوس أبنائه ويغرس فيهم الحِكمة والخُلق القويم، وقبل ذلك صدق التعلّق بالله تعالى أولاً وأخيراً، مستخدماً في ذلك «الأساليب التربوية الحكيمة من قدوة مُثلى محبَّبة، وتبَسُّط ومخالطة وحُسن تعهّد، ورحمة وتواضع وبِشر، وحُبّ واهتمام وتشجيع، وعطف ومساواة وعدل، ونصح وتسديد وإرشادٍ في لين

---

(١) قطب، ١٤٠٣هـ، ص٨٨، بتصرف.

(٢) فائز، ١٤٠٦هـ، ص٢٦٣.

من غير ضعف، وشدّة من غير عنف، وبذلك ينشأ الأولاد في جوّ أسري كلّه بِرّ ورعاية وحنان، ولا شكّ أنّ مثل تلك الرعاية الإيمانية الصادقة تستطيع بإذن الله تنشئة أجيال صالحين أوفياء بارّين بوالديهم، أسوياء الشخصية، مفتَّحي الأذهان، قادرين على العطاء والعمل المثمر الجادّ، مهيئين لتحمل المسؤوليات؛ لأنها ترتب على مبادىء الإيمان اليقيني الخاشع المتعمق في القلوب، وتتأدّب بأدب القرآن بكلّ صدقٍ وإيمان»[1].

هكذا قُدّر للأسرة أن تكون على هذا القدر العظيم من الأهمية في رعاية ناشئتها في ضوء هذه التحديات المحيطة بها من كلٍّ جانب، وهناك تحدّيات كثيرة تواجه الأسرة المسلمة لا نستطيع في هذه الدراسة تفصيلها أو الاستطراد فيها خشية الإطالة، وأنّ ما تمَّت مناقشته وطرحه عن بعض التحديات المعاصرة المتمثلة في الغزو الثقافي والإعلامي للناشئة وللأسرة المسلمة، إنما هو بسبب تأثيرها المباشر وأبعادها الخطيرة والمؤثرة على حياة الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم فكراً ومنهجاً وسلوكاً، وبقية العوامل المؤثرة على كيان الأسرة سلباً تكون أقلّ وطأة مما تَمّ عرضه ومناقشته.

## ٣ ـ المدرسة ودورها التربوي في ترسيخ الخشوع:

تمتاز المدرسة عن بقية المؤسسات الاجتماعية والوسائط الثقافية بأنها بيئة تربوية مُبسِّطة للمواد العِلْمية والثقافية. وهي تستكمل ما تقوم به الأسرة من رعاية وتوجيه، وتستطيع المدرسة أن تسهم الإسهام الفعّال في بناء شخصية الفرد بما تهيِّئُه له من بيئة تربوية متكاملة تساعد الطالب على النمو المعرفي والإيماني، لا بما تقدّمه من معلومات نظرية فقط، «بل بالممارسة العملية وتكامل الجانب المعرفي مع الجانب التطبيقي، مما يؤكد الدور

(١) الهاشمي، ١٤١٠هـ، ص١٠٥-١٠٦، بتصرف.

الكبير الذي تقوم به المدرسة لتنمية القيم الإسلامية ليس نظرياً، وإنما ترسيخه واقعاً ملموساً يمارسه النشء في حياته اليومية»[١].

والوظيفة الأساسية للمدرسة هي: تحقيق القيم الإسلامية بأسسها الفكرية والعقيدية، وبأهدافها التربوية الإيمانية، وفي مقدّمة ذلك: عبادة الله وحده، والخضوع لأمره وحُكمه سبحانه وتعالى، وتنمية كل مواهب النشء وقدراته على الفطرة السليمة التي فطرَ الله النّاس عليها.

وللمدرسة مهامّ تربوية وتعليمية متعددة، منها ما يلي:

**أ ـ التبسيط والتلخيص:**

ومعنى ذلك: اختيار المفاهيم التربوية والتعليمية المناسبة لكلّ مرحلة، وتوجيه الطالب تجاهها حتى يعيش في مجتمعه مدركاً بأحوال البيئة المحيطة به حتى يتفاعل معها، ويستطيع أن يستوعب جميع المتغيرات حوله، كما أنّ الطالب بحاجة إلى التبسيط والتلخيص في أمور دينه، حتى لا يختلط عليه الأمر، ومهمة الدراسة تزويده بما يحتاجه وبما يستطيع استيعابه من قيم ومبادىء إسلامية.

**ب ـ إيجاد التجانس والتوازن المطلوب بين الواقع النظري والتطبيقي:**

يرتاد المدرسة مئات الطلاب من البيئات المختلفة في الفقر والغِنى، والمكانة الاجتماعية وغير ذلك من الاختلافات النفسية وغيرها. ومهمة المدرسة تهيئة البيئة التربوية لهم في ظلّ نظام مدرسي واحد، والمساهمة في تأليف الروابط الاجتماعية بين الطلاب، وتشدّ قلوبهم ونفوسهم بعضها إلى بعض، وهذه الصفات والروابط تتحقق بنشر روح الأخوّة بينهم وعدم التفريق في المعاملة بين الطلاب، بل توجيههم إلى ما هو أسمى من ذلك،

---

(١) أبو العينين وآخرون، ١٤١٨هـ، ج١، ص١٧٥، باختصار.

وهو غرس القِيم الإسلامية في قلوبهم ونفوسهم، وتوحيد خضوعهم لله تعالى، وترويضهم على حُبِّ الطاعات وتحقيق معنى العبودية.

**جـ ـ غرس الثقة بالنفس عند الناشئة والشباب، وأنهم قادرون على تحمُّل المسؤوليات:**

وهذا أمر يُلقى على عاتق المدرسة، ولا سيَّما في هذا العصر بما يعجّ من بيئات وظروف مختلفة[١]، حيث جلبت المدنية الحديثة كثيراً من دواعي الكسل والخمول والاتكالية عند كثير من الناشئة والشباب، فيبلغ الشباب من العُمر مرحلة البلوغ وهو ما زال يعتمد على والدَيه أو أحدهما في أبسط الأمور، ولا يستطيع الاعتماد على نفسه، ناهيك عن المؤثرات الأخرى، مثل وسائل الإعلام في زعزعة الثقة في قلوب الناشئة والشباب بما تبثّه صباح مساء من صوَر الإعجاب والذهول والرقي للمجتمعات الغربية، حتى أصبح من النادر مساهمة هذه الوسائل في تكوين رؤية إسلامية صحيحة يستفيد منها النشء المسلم في حياته اليومية، مما يجعل المسؤولية تتعاظم على البيئة المدرسية لتحقيق تربية إسلامية عصرية مؤثرة. وبالتالي فإنه يمكن للمدرسة أن تساهم بشكلٍ فعّال ومؤثّر في ترسيخ الخشوع في نفوس الناشئة والشباب من خلال الآتي:

**أولاً: المهام التربوية للمعلم وأثرها في ترسيخ الخشوع:**

مما سبق يتّضح أنّ المسؤولية الأولى لتربية الأبناء تقع على الأسرة، وينتقل النشء بعدها إلى المدرسة، فتصبح عملية التربية بين الطرفين، وبالنظر إلى وظائف المدرسة نجد أنّ جوانب عملية التعليم والتربية فيها متعددة، مثل: التلميذ، المنهج، الطريقة أو الوسيلة. وكلها غير كافية لأنْ

(١) النحلاوي، ١٤٠٣هـ، ص١٤٩، ١٦١، باختصار.

تحقق للمجتمع المسلم الأهداف السامية التي يرغب في تحقيقها من خلال تربية المدرسة حتى مع التقدم العِلْمي والتقني الذي نعيشه في عصرنا الحاضر، مثل: تقنية الحاسب الآلي، والوسائل التعليمية الحديثة بمختلف أشكالها وأساليبها. كل هذا لا يصل بالمتعلم إلى ما نصبو إليه من غرس القيم وتجسيد المبادئ وتعليم الأدب وإكسابه كثيراً من الصفات التي يحتاجها في حياته، والتي تعينه ـ بإذن الله ـ على التزوّد بما ينفعه في آخرته، ويبقى المعلم المسلم هو الأهمّ، فجميع المناهج والتقنيات المعينة على التعليم لا يمكن لها إغفال المعلم ودوره الأساسي، فهو أهمّ عامل في العملية التربوية، والمعلم المسلم الكفء حتى مع اختلاف المناهج وطبيعتها يمكنه أن يحدث أثراً طيباً في تلاميذه، وعن طريق الاتصال بالمعلم يتعلم التلاميذ كيف يفكّرون، وكيف يستفيدون مما تعلّموه في سلوكهم، ومهما تطوّرت التقنيات التعليمية والتربوية، فإنه لا يمكنُ الاستغناء عن دور المعلّم الذي يعي دوره ومسؤوليته تجاه مجتمعه المسلم[1].

«ولعلّ تطوير المناهج وتفسيرها وترجمتها إلى واقع ملموس في النشاط التربوي داخل المدرسة وتطوير أساليب وطرائق التقويم إنما يعتمد على المعلمين وعلى كفاءتهم ووعيهم بمهمّتهم وإخلاصهم في أدائها، لذا فإنّ وضع الخطط المستقبلية للتربية في أيِّ مجتمع ـ ولا سيما المجتمع المسلم ـ إنما يعتمد على المعلِّمين؛ لأنّهم يشكلون ركناً رئيساً من أركان تحقيقها»[2].

ويستطيع المعلم المسلم أن يسهم بفاعلية كبيرة وتأثير مباشر في ترسيخ الخشوع في سلوك طلابه، وذلك من خلال الجوانب التالية:

---

(١) محمود، ١٤١٥هـ، ص٢٠-٢٦، باختصار.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥، بتصرف.

أ ـ غرس القيم الإيمانية في نفوس النشء:

وقبل الاستطراد في بيان هذا الجانب وكيفية دور المعلم فيه، فلا بدّ من الحديث باختصار عن مقوِّمات ومواصفات المعلم والمربي المسلم الأساسية؛ لأنّه بدون تلك المقوِّمات لا يستطيع القيام بمهمته التربوية في المساهمة في بناء تربية إيمانية خاشعة.

وهذه المقوّمات على النحو التالي:

ـ مقوِّمات شخصية: ومن أهمِّها:

ـ أن يكون قويّ الإرادة.

ـ أن يتمتع بالثقة في النفس والقدرة على حلِّ المشكلات.

ـ أن يكونَ صوته ولغته جيدة.

ـ أن يكونَ متّزناً ناضجاً من الناحية العاطفية والانفعالية.

ـ مقوِّمات عقلية: ومن أهمها:

ـ أن يكون حكيماً في تصرّفاته وفي حلِّ المشكلات.

ـ أن يكونَ سريع البديهة وذكياً.

ـ مقوِّمات علمية: ومن أهمها:

ـ أن يكون عالِماً في مجال تخصصه، وعالِماً بحكمة المبادئ الإسلامية وقيمها.

ـ أن يكونَ واسع الثقافة مدركاً للمتغيرات المحيطة بمجتمعه.

ـ أن يكون عالماً بطرق تدريس العلوم الإسلامية.

ـ أن يكون عارفاً بالميول النفسية وحاجات الطلاب، وأن يتّخذ من التربية والتعليم رسالة سامية له.

ـ مقوّمات إيمانية وأخلاقية:

وهذا الجانب هو مِن أهمّ المقوّمات في صفات المربي المسلم الذي يستطيع من خلالها أن يترجم بعضاً من جوانب الخشوع واقعاً ملموساً في سلوك التلاميذ، وهي باختصار كما يلي:

ـ أن يكون صحيح العقيدة، قويّ الإيمان بالله تعالى، ملتزماً بالعبادات والواجبات والمستحبات الإيمانية داعياً إليها.

ـ أن يكونَ طاهر النفس، حسن النية والغاية، ويعكس قوله فعلاً وعملاً.

ـ أن يعمل باستمرار لتنمية الإيمان والحياة الروحية لدى المتعلّمين، وأن يلفت أنظارهم للتدبر في ملكوت الله تعالى وبديع خلقه، معظِّماً كتاب الله تعالى وهدي نبيه ﷺ.

ـ أن يكون مخلصاً صادقاً أميناً في كل ما اؤتمن عليه.

ـ أن يكون صابراً وحليماً حازماً وحاسماً مع التسامح وعدم الغلظة.

ـ أن يكونَ متواضعاً من غير مهانة ولا مذلّة، وعاملاً بعِلمه، قدوةً لتلاميذه.

ـ مقوّمات تربوية: ومن أهمّها:

ـ «أن يكون على علم بالأساليب التربوية الإسلامية.

ـ أن يهدفَ من تربيته بناء شخصيات إسلامية منهجاً وسلوكاً.

ـ أن يتخذ مِن كلّ المواقف مع الطلاب وسيلة تربوية لإصلاح النفوس وتهذيبها، والتحلي بالفضائل، وحثّهم على محاسبة النفس والإكثار من الطاعات، وتعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى»[١].

---

(١) يالجن، ١٤١٣هـ، ص١٢٨-١٣١، باختصار.

ـ أن يوجّه الطلاب إلى الأهداف العليا والغايات السامية والنيات الحسنة والأعمال الخيّرة وصدق التعلّق بالله تعالى، وتذكيرهم بأنّ «الأمرَ كله لله، ولا حول ولا قوّة إلا به، ولو تخلّى سبحانه عن عبده لحظةً واحدة لهلك. وقد جاء عن النبي ﷺ الإكثار من هذا الدعاء: «يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفةَ عين»[١]»[٢].

وبعد هذا العرض المختصر لأهمّ المقوّمات التربوية والروحية التي تتعلق بصفات المعلِّم والمربي المسلم ليكون بإذن الله مؤثراً في طلابه، فإنه يمكن أن يسهم في ذلك بغرس المفاهيم الإيمانية في نفوس تلاميذه. وتعتبر العقيدة ضرورية لصحّة الطالب النفسية والتنشئة السوية، وإذا أُصيبَ بفراغ عقدي فإنّه يؤدي به إلى القلق والاضطراب.

وإذا وجد الطالب الرعاية التربوية المستمرة فإنه سيوجّه سلوكه نحو القيم والمبادىء الإسلامية، ويلتزم بها في ضوء التوجيه والمتابعة من المعلم والمربي المسلم داخل المدرسة؛ لأنه وكما سبق ذكره فإنّ وظيفة المعلِّم الأساسية هي «تمكين طلابه من الحصول على المعارف والقيم الصالحة والمُثل العليا، وإتقان المهارات وتعودهم السلوك الاجتماعي، والقدرة على الانسجام مع البيئة التي يعيشون فيها ويتفاعلون معها»[٣].

والمعلّم الناجح هو الذي لا يقتصر على نقل المعلومات إلى أذهان التلاميذ وتربية مواهبهم العقلية، ولكنه يهتمّ إلى جانب ذلك بتربية الحسّ وتقويم الأخلاق وتهذيب السلوك. وذهاب المتعلمين إلى المدرسة لا يعني شيئاً ما لم يقترن بغرس الفضائل في نفوسهم وترويضها على محاسن الإسلام وكريم الصفات التي حثّ عليها ديننا الحنيف.

---

(١) صحيح الجامع، حديث رقم: ٥٨٢٠.

(٢) الجليل، ١٤١٩هـ، ج١، ص٣٣٣.

(٣) عبد العزيز، ج١، ص١٥٩، بتصرف.

«ويأتي التأكيد على ضرورة اهتمام المعلم بغرس القيم وضرورة الاهتمام بها؛ لأنّ المتغيرات التي يشهدها العالم في الحاضر تشمل بالدرجة الأولى قضية القِيم والأخلاق، حتى سيطرت القِيم المادية على سائر القيم في الحضارة المعاصرة، مما أدّى إلى انحطاطها بشكل مخيف»(١).

ولذلك، فإنّ المتعلم أو الطالب أحوَج ما يكون إلى توجيه صائب ونصح أمين له في خِضمّ هذه المتغيرات التي تأثرت بها كثير من النظم التعليمية في المجتمع المسلم، «حتى أصبحت كثير من جوانب الواقع التربوي المعاصر بحاجة ماسّة إلى إعادة تنظيمها وصياغة مفاهيمها لتكون ذات صبغة ربانية خالصة تمدّها بمعين لا ينضب من المقاصد السامية الرفيعة التي ترقى لتصل بالنشء إلى تحقيق أعظم غاية خُلقوا من أجلها، وهي العبودية الخالصة الخاشعة لله سبحانه وتعالى»(٢).

«وحتى يمكن تنشئة الأجيال تنشئة إسلامية سليمة ولمساعدة المربي المسلم في مهمّته التربوية يؤكّد خبراء التربية الإسلامية على ضرورة تطبيق آداب الإسلام ومبادئه تطبيقاً واقعياً داخل المدرسة أو المؤسسة التعليمية، وذلك بإنشاء مسجد في كلِّ مدرسة أو مؤسسة تعليمية، وأداء صلاة الجماعة في وقتها ـ وهذا ما هو حاصل في جميع مدارس المملكة ولله الحمد ـ وتشجيع السلوك الإسلامي بين المتعلِّمين من صدق وأمانة ومروءة وإيثار»(٣).

وعندما نتحدّث عن أسس التوجيه التعليمي والتربوي من جانب المربِّي المسلم ودوره المطلوب لتوجيه سلوك تلاميذه نحو معالي الأمور، فإنّ

---

(١) طهطاوي، ١٤١٦هـ، ص٢٣، باختصار.

(٢) ابن داود، ١٤١٧هـ، ص١١.

(٣) النقيب، ص٦٣، بتصرف.

الطالب نفسه ـ ولا سيما طالب المرحلة الثانوية على سبيل المثال ـ يجب أن يضع تلك الشخصية المؤمنة الخاشعة الخيِّرة نصب عينيه؛ ليعمل على تكوين شخصية مثلها، ولا بدّ أن يسعى للوصول إلى ذلك الهدف، وإن لم يسعَ إلى ذلك ولم يجاهد بنفسه فلا ينتظر من أحد أن يحقق له الهدف، وهذا كله بعد بذل كافّة الجهود والأساليب لإثارة التدبّر والتمعّن في توجّهات وسلوك الطالب. فالتعليم ينير بصيرة المتعلم، والتوجيه يرشده إلى الطريق السليم، والتربية تنمّي فيه الاستعدادات الطيبة وتهذّب سلوكه، وتخلع منه كثيراً من الجوانب السلبية، وتزرع فيه إتقان العمل والإقبال عليه بحرص وعناية.

والمعلم أو المربي المسلم يستطيع أن يكونَ مؤثراً في نفوس تلاميذه إذا سلكَ الأساليب المناسبة في توجيهه وتربيته من خلال تطبيق التدبر والاستبصار والتمعّن، وهذا لا يعني أنّ المعلم والمربي المسلم في سائر التخصصات العلمية هو بمنأى عن المساهمة في إثارة التدبر والتمعّن في تفكير الطلاب، بل على العكس، فجميع التخصصات مكملة لبعضها، ولا سيما في مقررات التعليم العامّ في بلادنا. والمعلم الناجح هو الذي يستطيع استنباط الأثر الإيماني والتربوي حيثما كان تخصصه، واستخراج المبادىء التربوية وتوجيه أنظار طلابه لها.

وعندما نتحدّث عن أهمية دور المعلِّم والمربي المسلم في ترسيخ الخشوع فإنّ المقصود هو شخصية وعقيدة المعلِّم المسلم، وليس تخصصه العلمي، غير أنّ معلِّم التربية الإسلامية مسؤوليته تكون أكثر وأكبر من غيره في بقية التخصصات؛ لأنّ طبيعة المادة التي يدرِّسها هي المنبع والأصل والمعين الإيماني لترسيخ الخشوع في القلوب الناشئة. وهذا ما تبينه هذه الدراسة في الفقرة التالية:

**ب ـ تربيتهم على العبودية الخالصة والخضوع التامّ لله سبحانه وتعالى:**

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

«عندما نتأمل هذه الآيات الكريمات التي تقف بنا في أسلوب قصير بليغ على غاية خلق الخلق، وترشدنا إلى الحقيقة العظيمة لسبب وجود الثّقَلَين في هذه الحياة الدنيا. فهناك غاية محدَّدة لوجود الجِنّ والإنس تتمثل في أداء مهمّة سامية، مَن قامَ بها فقد حقّق غاية وجوده، ومَن قصَّر فيها باتت حياته فارغةً من القصد ومِن معناها الإيماني، هذه الغاية المحددة هي عبادة الله وحده، كما شرع لعباده أن يعبدوه، ولا تستقيم حياة العبد كلها إلا على ضوء هذه المهمة والغاية العظيمة»(١).

وحتى يمكن للمعلم والمربي المسلم من ترسيخ هذا المبدأ الإيماني العظيم في نفوس وعقول تلاميذه فلا بُدَّ له من أمرين، هما:

١ ـ تحقيق معنى العبودية لله سبحانه وتعالى في النفس، وذلك باستشعار مراقبة الله تعالى في كلِّ وقت، وتدعيم ذلك بمختلف الأساليب التربوية، وكما سيأتي بيان بعضٍ منها عند الحديث عن دور المنهج في ترسيخ الخشوع.

٢ ـ التأكيد على صدق التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى بكلِّ حركة في النفس وكل حركة في الجوارح، بل وبكل حركة في الحياة، والتجرد إليه سبحانه من كلِّ شعور ومِن كلِّ معنى يخالف معنى العبودية لله سبحانه وتعالى. وبالتالي التركيز أيضاً على جانب العقيدة الصحيحة وترسيخها في الأذهان وفق ما شرع الله تعالى من أمر ونهي، حتى تتحقق له السعادة

(١) الطيار، ١٤١٦هـ، ص١٥.

في الدنيا بما يشعر من طمأنينة في النفس وراحة في الضمير لقيامه بوظيفته. وكذلك الفوز في الآخرة؛ لِما يجده من التكريم والنعيم والفضل العظيم، ومَلء قلوبهم بحقيقة العبودية في أبهى صوَرها، وأنّ عبادتنا لله تعالى شرفٌ عظيم يناله العابد؛ «لأنّ الله تعالى وصفَ أكرم خلقه وأفضل أنبيائه ورُسله بهذه الصفة السامية في أكثر من موضع في كتابه الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا...﴾ [الإسراء: ١]. وأنّ هذه العبودية وعقيدة التوحيد هي رسالة جميع الرسل. وبقدر ما يكون الأسلوب وحيوية الطرح من قِبل المعلِّم لموضوعات العقيدة وقدرته على عرضِها دقيقة وحيّة متصلة بحياة التلميذ من حيث المبدأ والمعاد ومِن حيث الظاهر والباطن، بقدر ما يؤثر ذلك في نفسه واتّجاهه في الحياة العملية»[١].

ولا شكّ أنّ هناك عوامل أخرى مؤثِّرة في توجيه النشء نحو هذا المبدأ الإيماني المهمّ، وهو الخشوع، وذكرتُ بعضاً منها في معرض الحديث عن دور المدرسة التربوي، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند الحديث عن دور المنهج بمعناهُ العامّ والحديث في ترسيخ الخشوع.

وبعد هذا العرض عن دور المعلم والمربي المسلم في ترسيخ الخشوع في سلوك طلابه وتلاميذه، فإن جميع الدراسات والبحوث التربوية قديماً وحديثاً تؤكد على جانب كبير من الأهمية، وهو إنّ أولى ما يجب الاهتمام بإصلاحه في الميدان التربوي هو المعلم باعتباره العنصر الأساسي في العملية التعليمية وفي الموقف التعليمي الذي يتفاعل معه المتعلم ويكتسب عن طريق تفاعله مع عناصره المختلفة خبراته ومعارفه ومهاراته واتّجاهاته، فإذا كان هذا الموقف التعليمي يدخل ضمن عناصره: الكتاب المدرسي،

(١) يالجن، ١٤١٧هـ، ص١٩٦، بتصرف.

والوسائل التعليمية، وما يحتويه الفصل من أدوات ووسائل وغيرها، وكذلك العلاقات المتفاعلة بين الطلاب ومنسوبي المدرسة، والعواطف السائدة بين مَن يضمّهم الموقف التعليمي من أشخاص، فإنه مِن أهمّ عناصر هذا الموقف التربوي هو عنصر المعلم الذي يقود ويوجِّه العناصر الأخرى في الموقف التعليمي ليجعلها قادرةً على اختيار السلوك الأمثل.

ولذلك فإنه لا يمكن أن يصلُح حال التعليم ولا الموقف التعليمي إلا إذا صلُح حال المعلِّم ديناً وخُلقاً وعِلماً وثقافةً عامة، وإعداداً فنياً وتربوياً وشخصيةً، أو بعبارة أخرى؛ أنّ حال التعليم لا يمكن أن يصلُح إلا إذا كان المعلم في وضع يمكنه من تنظيم الموقف التعليمي وترتيبه وتوجيهه الوجهة النافعة للعملية التعليمية والميسرة للمتعلم. والمعلم الصالح المخبت الخاشع الذي عرف عِظم هذه المسؤولية وتعمّقت في سويداء قلبه وروحه هو الذي يستطيع بكلّ تأكيد بإذن الله أن يعوّض كثيراً من جوانب النقص في العناصر الأخرى للموقف التعليمي، من منهج، ووسائل تعليمية، ومبنى مدرسي. وغيرها من العناصر. كما يستطيع أن يتلافى كثيراً من جوانب التقصير في التربية المنزلية نحو التربية الإيمانية النافعة. كما أنه أصبح الإيمان بأهمية المعلم وبدورِه القيادي في العملية التربوية داخل الفصل وخارجه أحد المبادىء والمسلّمات الأساسية التي تقوم عليها التربية الحديثة نظريةً وتطبيقاً. فالمناهج التعليمية التربوية تبقى حبراً على ورق ما لم يقم على ترجمتها مُربٍّ ومعلّم يدركها حسّاً وروحاً وضميراً وخُلقاً وسلوكاً، ويترجم مادة هي في نفسه وضميره قبل أن تكون في عقله وعلى لسانه؛ لأنّه هو القدوة المرئية والمحسوسة لهذا المنهج. وبقدر ما يُعطي من داخله بإخلاص بقدر ما يكون التلقي والإدراك السليم لهذا التلقي الموزون المؤثِّر.

وإنّ الحاجة ماسّة إلى ذلك المربي الذي جعل معتقده همَّه، ورِضا ربه غايته، ونهج رسوله ﷺ مبتغاه، فيعطي من روحه ودمه وعقله العُصارة

الصافية الدافقة الرافعة مِن شأن الأمّة وشبابها، فهذا النوع من الموجهين هم الذين يؤسّسون ـ بإذن الله ـ قواعد البناء الشامخ والمتين، ويغرسون البنية الإيمانية الراشدة التي تؤتي أُكُلها كلَّ حين بإذنِ ربها، ويزرعون الكلمةَ الإيمانية التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم.

وإن التأكيد على سلامة صدر وعقيدة المربي المسلم إنما يكون مرده أن هذا الدين ليس أمراً شخصياً يُهمّ هذا المعلم دون الآخر، أو يحتفظ به لنفسه، إنما هو أمر يخصّ عقيدة الأمّة، وتشترك في تقويته وتعاهده في قلوب وعقول النشء المسلم كل مَن له صِلة بالعملية التربوية، بل إنّ المجتمع المسلم بجميع فئاته يتحمل مسؤولية عظيمة تجاه أبنائه وناشئته.

والذي يرجع إلى أسس التربية الإسلامية والتي تستمدّ أصولها من الكتاب والسنّة ومن المصادر المعتبرة الأخرى، يجد فيها النصوص والشواهد الكثيرة ما يؤكد بوضوح مبدأ التأكيد على أهمية المعلم، وينبّه إلى الدور الخطير الذي يقوم به في بناء الفرد وإصلاح أحوال المجتمع، وحمل رسالة الإسلام وفهمها وإبلاغها للناس، ويرفع من شأن العِلْم والعلماء، ويجعل العلماء ورثة الأنبياء، ويعتبر عمل المعلِّم مِن أجلّ الأعمال الصالِحة التي تقرِّب إلى الله سبحانه وتعالى، «بل كان من اهتمام المسلمين الأوائل بالمعلم والإيمان بأهميته أن أوجبوا أن يؤخذ العِلْم مِن شيخ لا مِن كتاب، وسَمّوا مَن يأخذ مِن كتاب: (صحيفاً)، ولم يعوّلوا عليه»[1].

## ثانياً: دور المنهج الدراسي في ترسيخ الخشوع:

من المعروف أنّ الأسس العامّة التي يُبنى عليها أي برنامج تعليمي ينطلق عادةً من ثقافة الأمّة ومبادئها التي تؤمن بها. أو كما يُطلِق عليها البعض من المبادىء التي تعتقدها أو تنادي بها الأمّة. وإدراك القائمين على

(١) النشمي، ١٤٠٩هـ، ص٥٧-٦٤، باختصار.

العملية التربوية وعلى المؤسسات التعليمية لتربية النشء خاصة لهذه المبادى ، وفهمهم لها فهماً دقيقاً واعياً ضرورة مُلِحّة لا يمكن إغفالها أو التهاون فيها.

«ولما كان التعليم الإسلامي تعليماً عقائدياً وسلوكياً في وجهته وفي تربيته، فلا بدّ أن تكون المناهج والمقررات موجهة توجيهاً عقائدياً وسلوكياً، أي أنّ العقيدة الإسلامية هي التي تحدد طبيعة ومحتوى المنهاج التعليمي الذي يتمّ إقراره وتدريسه للنشء المسلم»(١).

ـ وعندما تورد هذه الدراسة أهمية المنهج في صياغة تربية راسخة ومؤثرة في سلوك الطالب، فإنها تعني خصائص المنهج التربوي الإسلامي تعريفاً وشكلاً وأسلوباً، ومدى تأثيره وإسهامه في تحقيق تربية إسلامية فاعلة في الميدان التعليمي والتربوي، وتحديداً فإن هذه الدراسة تعني بالمنهج الإسلامي بأنه «هو ما تقدمه المؤسسات التربوية للمتعلمين من المبادىء الإسلامية الثابتة التي جاء بها الشرع المطهر، والتي تعين الطالب على سلوك سُبل الخير، سواء في المقرر الدراسي أو النشاط المدرسي، أو غيرها من المواقف التربوية والتعليمية داخل المؤسسة التعليمية وخارجها، والتي تؤهله لتحقيق تنمية شاملة متكاملة متوازنة توصل الطالب المسلم إلى العمل الجادّ المثمر لنفسه ومجتمعه، وتقوده إلى السلوك الأمثل في حياته قولاً وعملاً وفق تعاليم الإسلام ومبادئه السامية»(٢).

«وقد أصبح المنهج المدرسي واسع المعنى يشمل جميع أنواع النشاط الذي يمارسه التلاميذ أو جميع الخبرات التي يمرون بها تحت إشراف المدرسة وبتوجيه منها، سواء كان ذلك داخل بناء المدرسة أم خارجها»(٣).

---

(١) محمود، ١٤١٥هـ، ص٣٠٨، بتصرف.

(٢) شوق، ١٤١٣هـ، ص١٢، بتصرف.

(٣) جان، ١٤١٩هـ، ص٣٣.

وللدور الكبير الذي يضطلع به المنهج التعليمي والتربوي وأثره في عملية التعليم، فإنّ هذه الدراسة تحاول هنا توضيح مدى وأهمية مساهمة المنهاج الدراسي في بلورة سلوك إيماني رفيع يؤدي إلى صدق الإيمان والعبودية لله تعالى بخشوع واطمئنان بين أوساط التلاميذ في الميدان التربوي والتعليمي، وذلك من خلال الجوانب التالية:

**أ ـ أهداف مناهج التربية الإسلامية ودورها في تحقيق تربية خاشعة:**

مما لا شكَّ فيه أنّ لكلٍّ فرد هدفاً أو مقصداً وغرضاً يسعى إليه في حياته، ومن المعلوم أنّ كل سلوك إنساني هو سلوك، إما إيجابي أو سلبي، أي: يهدف لغاية معيّنة، أو يسير لتحقيق غاية معيّنة. ويزيد من نجاح الإنسان للوصول إلى هذه الغايات وتلك الأهداف وضوحَ الغايات والأهداف نفسها.

«وفي مجال التربية تعتبر معرفة الأهداف وتحديدها من الأمور بالغة الأهمية، والعمل التربوي أو العملية التعليمية في شتّى مستوياتها ومداخلها في أمسّ الحاجة إلى وضوح الأهداف المراد تحقيقها، وكلما تكون الأهداف محدّدةً واضحة تكون جودة العمل التربوي. ولقد اهتمّ المربّون وعلماء التربية بوضوح الأهداف اهتماماً كثيراً؛ لأنّ وضوحها يساعد على رسم الخطط وأوجه النشاط»[(١)].

ولما كانت الأهداف التربوية في المنهج الدراسي على هذا القدر من الأهمية باعتبارها المكوّن الرئيس في بناء المنهج، فإنها في مجال التربية الإسلامية تزداد أهميةً، وترقى أهمية تحديد الأهداف التربوية فيها، بل وتتميز عن سِواها لتميزها في الأصول والقِيم والغايات والمهامّ المنوطة بها، «وأيضاً لارتباط هذه الأهداف بالسياسة التعليمية في بلادنا، وذلك بأن تكون العقيدة الإسلامية هي المحور الأساسي لكل تربية، ثم القوة الأخلاقية في

---

(١) إبراهيم وآخرون، ١٤٠٦هـ، ص٦٤، باختصار.

المرتبة الثانية، فقد أعطى ذلك الاهتمام بُعداً عميقاً ومحور اهتمام كبير لأهداف التربية الإسلامية»(١).

وحين نتحدّث عن مهمّة الأهداف وأهميتها في ترسيخ الخشوع في سلوك النشء، وكذلك في ترسيخ مقوِّمات الميدان التربوي، فإن الدراسة تعني أنّ البداية تبدأ من تخطيط المنهج كما سبق توضيحه، ولا تكون الأهداف مجرد واجهة تتصدَّر أعمال المنهج فحسب، بل المقصود أن تكون مفصّلة للمناهج تخطيطاً وتنفيذاً، وتتمّ متابعتها على أساس أنّ وظيفتها هي ترسيخ مقوِّمات التربية الإسلامية والعمل على تفعيلها، ولذلك فإنّ ترسيخ مثل هذه الأهداف التربوية والعمل على أن تكون أهدافاً حيويّة في جميع مراحل إعداد المنهج الدراسي تخطيطاً وتنفيذاً وتقديماً ومتابعةً، كما تكون الأساس لجميع مكوناته بدءاً بالمحتوى وطرق التعليم، وتوظيفاً للنشاط التربوي وتقنيات التعليم والتقويم، وانتهاءً بمخرجات المنهج.

ـ وليس المقصود بأن تكون الأهداف التربوية في التربية الإسلامية والتي تسهم في إثراء السلوك الحسن وتوجيه الطالب توجيهاً إيمانياً خاشعاً أن تكونَ في مرحلة دراسية بذاتها، ولا مدرسة بعينها ولا مستوى محدداً، ولكن المقصود أن تكون الأهداف فعّالة في جميع مراحل التعليم على اختلاف مستوياتها وتخصصاتها، وتكون مواكبة لمتطلبات روح العصر بتقنياته الحديثة وصياغتها بأساليب تربوية يمكنها التأثير في سلوك النشء التأثير المباشر في ظلّ الثورة المعلوماتية الهائلة التي يعيشها المتعلّم أو الطالب المسلم في العصر الحاضر.

«ولا شكّ أنّ أهداف التربية الإسلامية تعمل على إعداد الشخصية المسؤولة، وأنّ تحقيق أهداف التربية الإسلامية يوجب على الآباء والمعلِّمين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة التقوى والإيمان ومعاني الإيثار والرحمة

---

(١) يالجن، ١٤٢٠هـ، ص٢٨.

والحلم والأناة، حتى يكونوا يقظين في إيمانهم، وتتطلّع نفوسهم إلى معالي الأمور والهمة الإيمانية السامية»[١].

ويمكن إجمال أهداف التربية الإسلامية في أنها «تهتمّ بتربية الخُلق والإرادة معاً، بحيث يتزوّد الفرد الصالح من الأقوال والأعمال والعادات، ويكتسب بالتدريج شخصية قوية مؤثِّرة طائعة لله، تعمل على إرادة ووعي ما يكون حسناً، وتتجنّب ما يكون سيئاً عن بصيرة وعِلم»[٢].

وكذلك تحقيق «الإيجابية الفاعلة وتوضيح ذلك يدلّ عليه سياق الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . .﴾ [آل عمران: ١١٠][٣]، حيث تسعى التربية الإسلامية في أهدافها العُليا أن يعيش الشابّ المسلم بنور الإيمان اليقين ليس في نفسه وشخصه فحسب، بل يتعدّى ذلك إلى الدعوة إليه بالحِكمة والموعظة الحسنة. وهذا ما يسميه التربويون بالهدف الوجداني. فما حقيقته وما دوره بشكل خاصّ في ترسيخ الخشوع في سلوك الشابّ المسلم؟

«إنّ للوجدان أثراً كبيراً على سلوك الفرد، وتلك صِفة يشعر بها كل ذي وجدان مرهف يقظ شعوراً مباشراً، وربما جاز التخلص من الوجدان من الناحية المادية، ولكن من المحال أن يتخلص المرء من وجدانه في أعماق نفسه»[٤].

ولكي يكون أثر الوجدان قوياً متحكماً في تصرفات الشخص وموجّهاً إلى الفضيلة باستمرار، بعيداً عن دوافع الأهواء والنزوات وطغيان الغرائز الأخرى وإضلالها، ولكي تنمي حساسية الوجدان تربوياً وإيمانياً، فإننا

---

(١) علوان، ١٤٠١هـ، ج١، ص٣٧٢، بتصرف.

(٢) معلوم، ١٤١٣هـ، ص١٥٥، بتصرف.

(٣) الأشقر، ١٤٢١هـ، ص٥٠، بتصرف.

(٤) يالجن، ١٤١٧هـ، ص٥٦٣، بتصرف.

نحتاج إلى التربية الوجدانية، وذلك باعتبار أنّ الوجدان غريزة إحساس أخلاقي يمكن تنميتها بالوسائل التربوية المتعددة.

وإذا بحثنا عن المعاني الوجدانية في نظر الإسلام وجدناها تدور حول القلب، فالقلب هو معدن التقوى والسكينة والوجل والإخبات والخشوع واللين والطمأنينة والطهارة، فالقلب هو جوهر الانفعالات النفسية كلها، وترجع إليه الطمأنينة ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: ١١٣]، وهو مكان التقوى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٢]، وهو مكان الإخبات والخشوع ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

«وهذا الوجدان يتأثر بالعوامل التربوية والاجتماعية والثقافية، كالميول الطبيعية الأخرى، ووفقاً لذلك قد تقوى وظيفته، وقد تقلّ وتنقص، وقد يضلّ ولا يؤدي وظيفته. ولذلك كان لزاماً على التربية الإسلامية أن تهتمّ بهذا الجانب اهتماماً كبيراً، وأن تقوم بترسيخ الحقائق الإيمانية لتبصير النشء بهذا الجانب الوجداني والتركيز عليه، وذلك من خلال غرس تلك المبادىء الإيمانية في سلوك النشء، وعدم الانسياق وراء شهوات النفس وإبراز عاقبة السوء، والتركيز عليها وعلى آثارها الخطيرة، والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى إذا وسوسَ له الشيطان بتلك التخيّلات والتصورات التي تثير الغريزة، وذلك بتذكر عقاب الله وغضبه، والاستعاذة به من ذلك. ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠١]. فالهدف الوجداني هو بمثابة طاقة دافعة تسير بالنشء إلى القوّة الإيمانية المؤثرة تربوياً واجتماعياً»[1].

---

(١) يالجن، ١٤١٧هـ، ص٥٤١، ٥٨٦، باختصار.

ويستطيع المربي المسلم بإذن الله إيجاد تربية وجدانية مؤثرة في نفوس وقلوب وعقول المتعلمين من خلال الأساليب التعليمية والتربوية المتاحة له في الميدان التربوي.

**ب ـ أثر محتوى المنهج الدراسي في تربية النشء على الخشوع:**

يعتبر بناء الشخصية الإسلامية من المعالم البارزة للتربية الإسلامية ووجود العقيدة الإسلامية كأساس لهذا البناء يشكل المنطلق الأساسي لها، والقاعدة المنهجية التي تقوم عليها القواعد الأخرى التي تشكل عقل المسلم ونفسيته. ففي الجانب العقلي نرى المسلم يفكر على أساس الإسلام؛ لأنّه المقياس الوحيد للمفاهيم عن الحياة والمجتمع، وأنّ تفكير المسلم بصورة مغايرة للمنهجية الإسلامية وأصول التربية الإسلامية يحدث عنده نوعاً من الازدواجية وعدم الاتّساق في بناء شخصيته، وهو أمر تأباه عقيدته الإسلامية.

وفي الجانب النفسي فإنّ الإنسان المسلم يجد في نفسه عواطف وانفعالات وميول واتّجاهات تجعله يحبّ ويكره كغيره من البشر، ولكنّ محبته هذه ورغباته تبقى ضمن حدّ لا يتعارض مع محبته لله ورسوله ﷺ، فحبُّه لله تعالى ولرسوله ﷺ أسمى مِن كل عاطفة أخرى، وفي ضوء هذه الاعتبارات يكون بناء المنهج التربوي والتعليمي لتحقيق التربية الفاعلة، وفي الجانب الروحي والإيماني يمكن بناء منهج تربوي تعليمي مؤثّر من خلال مراعاته للجوانب التالية:

ـ استشعار الرقابة الدائمة لله سبحانه وتعالى، وتنمية ذلك في قلوب الناشئة والشباب.

ـ البُعد عن كل ما يؤدي إلى انفصام شخصية المتعلِّم عند بناء المنهج الدراسي والتعليمي.

ـ إيقاظ الروح بأداء الطاعات والقربات والتفكر في آيات الله المنتشرة في الكون وفي القرآن الكريم وتدبّر آياته.

ـ «يجب أن يكون المنهج أساساً لتربية الروح بالعبادة لتزكيتها وتهذيبها»[١].

ومن خلال تلك الجوانب يمكن للمنهج المساهمة في تكوين تربية إيمانية مؤثرة تصنع جيلاً خالص القلب والعقل والتصور والشعور والتكوين من أي مؤثر آخر على هدي كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، ولا سيما في مواد التربية الإسلامية، وكذلك ربط كلّ الموضوعات ببعضها، بل ربط جميع المواد ببعضها بما لا يؤثر على خصوصية كل مادة أو منهج دراسي كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله.

إنّ المنهج المدرسي الذي تتطلبه التربية الإسلامية ويكون محتواه محقّقاً لأهدافه هو الذي يكون منطلقاً من سماتها وأهدافها ويُبنَى على أسسها وتصوراتها الفكرية في شتَّى جوانب الحياة الدنيوية والأخروية؛ بحيث يكون المحتوى متّصفاً بالسّمات التالية:

ـ أن يكونَ المنهج متوازناً يراعي الجانب المادي والوجداني، فإذا كانت التربية الحديثة تؤكد على ضرورة شمولية المنهج، فإنه لا بدّ من إيجاد الضوابط اللازمة التي تؤدي إلى التوازن الفكري والمادي لإيجاد قيم تربوية متوازنة تؤدي لتنشئة جيل مسلم بِخُلق رفيع، وهذا هو هدف التربية الإسلامية.

ـ أن يكونَ في تربيته وموضوعاته موافقاً للفطرة البشرية يعمل على تزكيتها وحفظها من الانحراف، وسلامتها من السلوك غير السوي.

ـ أن يراعي في تطبيقاته ونشاطاته وأمثلته ونصوصه حاجات المجتمع ومنطلقاته الإسلامية المثالية، كالاعتزاز بالأمّة الإسلامية، والولاء الصادق لها بتحقيق الولاء لله والطاعة لرسوله ﷺ، وبمراعاة الاختصاصات التي تحتاجها الأمّة ليكون موجهاً نحو العمل الجادّ المثمر.

---

(١) أبو يحيى، ١٤٢٠هـ، ص١٥٢، بتصرف.

ـ أن يكون المنهج بمجموعه ومعاييره سليماً من التعارض، موجهاً وجهة إسلامية واحدة موافقاً للوحدة النفسية التي فطر اللهُ الناسَ عليها، فلا تعلل الوقائع وبعض الموضوعات تعليلات متعارضة متنافرة تظهر بين مادة دراسية وأخرى، بل يجب أن تُبنى العلوم والموضوعات بعضها على بعض، وأن يأخذ بعضها بأطراف البعض الآخر، فيكون بينها تناسق وترابط بين كلِّ سَنة والتي تليها والتي تسبقها، فترتب مناهج كل سنة من المرحلة ذاتها ترتيباً متسقاً متواصلاً. وفي السنة الواحدة يجب الربط ما أمكن بين كلّ مادة وأخرى، «كما يجب صبغ جميع المواد بصبغة إسلامية واحدة وتوجيهها بحيث تحقِّق بمجموعها هدفاً تربوياً سامياً. وإنّ اعتماد المنهج في أنشطتنا الفكرية والتربوية يجب ألّا يكون مقتبَساً من حضارة الغرب، بل يجب أن يكونَ منبثقاً من الجذور والأسس الأصيلة التي صنعناها نحن على هدي كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ»[١].

والمنهج المدرسي التربوي المؤثِّر هو الذي يقوم بحشد المعايير والأسس «والتنسيق بين معطياتها لتكون أغنى فاعلية وأكثر قدرة على التجديد والإبداع والعطاء الإيماني»[٢].

ـ أن يتّسم المنهج بالواقعية حتى يتسنّى للمتعلم أن يتفاعل معه ويتأثر به؛ لأنّ الإسلام «جاء بعبادات واقعية وعرف ظمأ الكائن الوجداني في الإنسان إلى الاتصال بالخالق عز وجل، ففرضَ عليه من العبادات ما يروي ظمأه، ولكنه راعى الطاقة المحدودة للإنسان، فلم يكلفه ما يعنته ويحرجه»[٣].

---

(١) النحلاوي، ١٤٠٣هـ، ص١٩٦، باختصار.

(٢) المزيدي، ١٤١٣هـ، ص٣٥، بتصرف.

(٣) طهطاوي، ١٤١٦هـ، ص٦٧.

«ولتأكيد ذلك فقد كان الرسول ﷺ ينهى صحابته من الخوض في أمور غير واقعة أو لا يترتب عليها عمل أو فائدة، وكان ينهاهم عن الأغلوطات وعضل المسائل وكثرة السؤال فيما لم يكن، أو لا فائدة فيه، وعلّم الأمّة كلها أن تدعو مستعيذة بالله من عِلمٍ لا ينفع: «اللهم إنا نعوذ بك من عِلمٍ لا ينفع . . .» الحديث[1]»[2].

وغير هذا كثير جداً مما كانت السنّة النبوية تربطهم به من الواقع حتى يكون العِلْم والمعرفة منضبطين بتيار الحياة وحاجاتها، ولا يتحوَّل إلى خيالات وأوهام، وأساطير وأحلام يكثر فيه القول ويقلّ العمل، وبذلك يقع الانهيار والفشل كما وقعَ لأقوام قبل الإسلام وبعد الإسلام تتبعوا فلسفات وثنية لا تُسمن ولا تُغني من جوع، وتأثروا بها، فحلّقوا بها بعيداً عن الواقع التربوي في المجتمع المسلم.

ـ أن يكون فعّالاً يعطي نتائج تربوية سلوكية، ويترك أثراً عاطفياً جيّاشاً في نفوس الأجيال بما يمتاز به من أساليب تربوية سليمة بعيدة الأثر، ونشاطات لا صيفيةٍ متعددة سهلة التطبيق معروضة عرضاً واضحاً.

ـ أن يُعنى المنهج بالجوانب السلوكية العملية ـ كالتربية ـ على نشر الدعوة الإسلامية وإقامة المجتمع المسلم قولاً وعملاً في الجوّ المدرسي، وتنمية المواهب المبدعة على التفكير الإبداعي. «وقد اعتزّ المسلمون وازدهرَ وجودهم في كثير من عصورهم الذهبية بتطبيق المنهج الإسلامي السديد، والأخذ بتوجيهاته في ميدان العِلْم، حتى نبغ كثير من العلماء في معظم نواحي الحياة، وارتفعت الحياة العقلية والعلمية بيقظة العقل عند المسلمين، فكوّنوا أعظم دولة رائدة تخطو في نور العِلْم وعلى هُدى

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٧٦٦.

(٢) حمادة، ١٤١٧هـ، ص٦٠.

الإيمان، وكان العِلْم دعماً لقوتهم كما كانت القوّة دعماً للعِلم والإبداع فيه»[١].

وخُلاصة القول؛ فإنّ الاهتمام بالمنهج التربوي «ليس بدعاً في التربية الإسلامية، بل هو نهج قديم فيها. فالقرآن الكريم بنى خِطابه الإقناعي على أصول الواقع الكوني والإنساني، وهو ما يبدو في استخدام الآيات الكونية مقدمات في الاستدلال على حقائق العقيدة واستخدام العِبر التاريخية باعتبارها وقائع إنسانية في الإقناع بما يبشّر به من تعاليم تتعلق بمصير الإنسان وغاية وجوده، والانطلاق من المصلحة العملية للإنسان في حمله على التسليم المطلق بأسس العقيدة الإسلامية»[٢].

### جـ ـ كيفية الاستفادة من أساليب التربية الإسلامية في ترسيخ الخشوع:

إنّ غاية التربية الإسلامية وأهدافها هي تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وتحقيق هذه الغاية يتطلب النمو المتكامل الشامل المتّزن للإنسان روحياً وجسمياً وعقلياً واجتماعياً ووجدانياً. ومِن أدوات التربية الإسلامية للوصول إلى ذلك النموّ المتكامل للشخصية المسلمة: استخدام السُّبُل والأساليب التربوية للوصول إلى تلك الأهداف المرجوّة، وهذه الأساليب التي تعزّز دور التربية الإسلامية لتحقيق أهدافها هي على النحو التالي:

#### ١ ـ القدوة الصالحة:

للقدوة الصالحة أهمية كبرى في تربية الفرد وتنشئته على أساس سليم، ولا سيّما في الفترة الأولى من حياة الإنسان الأولى حتى مرحلة النضج والبلوغ. فالطفل منذ ولادته يكتسب ألواناً من السلوك من خلال تقليده

---

(١) العجمي، ١٤٢٠هـ، ص٢٨.

(٢) النجار، ١٤١٢هـ، ص١٥٨، ١٥٩، بتصرف.

ومحاكاته للآخرين، وهذا يؤكد أهمية القدوة في تحديد سلوك الإنسان والعادات التي يكتسبها. وتؤكّد التربية الإسلامية أهمية أسلوب القدوة الصالحة في تنشئة الأجيال الإسلامية تنشئة سليمة يتحقق معها الخير لأنفسهم ومجتمعهم. وخير مثال وقدوة يهتدي بها المعلم والمربي المسلم هي سيرة نبيِّنا محمد ﷺ وأساليبه في التربية والتعليم، «ومعرفتها من تمام معرفة شخصيته ﷺ، فهو ﷺ المهيأ لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال، المؤهَّل لأعلى المنازل وأفضل الأعمال؛ لأنّها أصول تقود إلى ما ناسبها ووافقها، وتُنفر ما باينها وخالفها، تبعث على مصالح الخَلق وطاعة الخالق»(١).

وهو ﷺ المثل الأعلى للصحابة وللمسلمين على مرّ العصور، تتمثل فيه كل الصفات الخُلقية والطاقات الروحية والحيوية الخلّاقة، فيصدق صحابته أقواله؛ لأنّه سبقها بأفعاله، فتتحرك لها نفوسهم، وتهفو لها مشاعرهم.

ولأثر القدوة الفعال في عملية التربية، وخاصة في مجال الاتّجاهات والقيم، كان الرسول ﷺ هو قدوة المسلمين بنصّ القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ. . . ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولذلك فإنّ القدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة، والوسيلة العملية إلى ذلك هي تحويل القِيَم والمبادىء بالتربية إلى سلوك واقعي متمثّل في عادة متعمقة الجذور في النفس. وعلى المربِّي المسلم أن يكون هو في ذاته مستشعراً للقِيم والمبادىء الإسلامية من وراء سلوكه اليومي، ولا يؤدي العبادات على سبيل العادة، وخاصة في الصلاة، وهي عنوان الإسلام، وذلك بأن تؤدَّى أداءً آلياً بغير رصيد واقعي من الخشوع والخشية وتقوى الله تعالى، وذلك وحده يعطي جوّاً معيناً في تربية

(١) أبو غدّة، ١٤١٧هـ، ص٤١.

الطفل أو النشء، فيلتقطه ويؤثر فيه، فتظل تلك القيم حيّةً في نفسه، ولا تتحوَّل إلى أداء آلي، ثم بمداومة تذكير النشء بالله تعالى وأنّ الأعمال لا بدّ من إتقانها؛ فهذا التذكير بالله هو الضمان ضدّ تحوّل السلوك إلى أداء آلي (بدون خشوع)، وهو المعنى الحقيقي للقيم والمبادىء، والمعنى الحقيقي للتربية الإسلامية. «وعلى قدر هذا التذكُّر الحيّ لله والإحساس الحيّ الخاشع بوجوده سبحانه وبرقابته على الأعمال يكون تأثير التربية في دنيا الواقع، وتكون فاعليتها في النفس، فلا عجب إذَن أن تكون جماعة الرسول ﷺ هي الجماعة المثالية في تاريخ البشرية كله بما كانت عليه من ذكر دائم لله وإحساس حيّ بمراقبته سبحانه وتعالى، وتوجّه دائم إليه بالخشية والتقوى لتنال رضاه»[1].

وبهذا التصور التربوي عن دور التربية بالقدوة يمكن تحقيق الكثير من المعطيات الإيجابية لترسيخ الخشوع من خلال الأهداف الوجدانية وأثرها الفعّال على السلوك واتّجاهاته.

٢ ـ التربية بالآيات القرآنية الكريمة:

«يتضمَّن القرآن الكريم والسنّة الشريفة أصولاً تربوية ثابتة تشكل الأسس التربوية، التي تنطلق منها مجالات التربية الإسلامية»[2].

«فالقرآن الكريم قدّم بناءً تربوياً متكاملاً وشاملاً ومتزناً يحقق السعادة في الدنيا والآخرة للأمّة والأفراد، وهو كتاب يفيض بالتربية الهادفة إلى إعداد الشخصية المسلمة القوية المؤثِّرة، وإيجاد العناصر المطلوبة لإعدادها، والتي ترتكز حول جانب الفضائل وعاقبتها. وغير ذلك. ولا يكفي لإعداد الشخصية السليمة أن تكون مجبولةً على حُبّ الخير فحسب، بل لا بدّ أن

(١) قطب، ١٤٠١هـ، ص١٤٨-١٥١، باختصار.

(٢) الكيلاني، ١٤٠٥هـ، ص٢٥، بتصرف.

تكون نافرةً من الصفات الذميمة بشتَّى صورها، وهذا ما يربّيه القرآن الكريم في قلوب النشء المسلم»[١].

ومن هذا المنطلق فقد حدّد القرآن الكريم مبادىء تربوية سامية للآباء والمربِّين لينطلقوا منها في تربية الأبناء، وتتضح هذه المبادىء العظيمة في عدّة آيات، منها: وصايا لقمان لابنه، وفيها مِن القيم والمبادىء التربوية الكثير من الدروس التربوية المفيدة التي تؤكد الحاجة الماسّة إلى ضرورة استخدام هذا الأسلوب، وهو أسلوب التربية بالقصص القرآني أو بالآيات الكريمة، وعرضها عرضاً تربوياً مشوّقاً، حتى يكون هدفها الوجداني ملموساً ومشاهداً على سلوك الأبناء. فبدأ لقمان مع ابنه ببيان ما فيه الشرك وخطره، وحثّه على برّ الوالدين وطاعتهما في غير معصية الله، ثم بيّن له كيفية الحياة الإيمانية الخاشعة في آخر وصاياه، بأن لا يجعل حياته عبثاً.

وفي سورة الفرقان بيّنَ القرآن الكريم الصفات والخصائص التي يجب على المربِّين غرسها في النشء من خلال العملية التربوية. مِن الآية (١٣) حتى الآية (٧٤) من السورة الكريمة.

وفي سورة يوسف ينبهنا القرآن الكريم إلى أهمية القدوة الصالحة، فقد ضرب الله تعالى مثلاً بالشابّ الصالح العفيف النظيف الذي يراعي الله تعالى ويراقبه في السرّ والعلن، ويتمسك بتعاليمه في مواجهة إغراءات الدنيا وشهوات النفس، فقد اعتصم بعقيدته وصِدق إيمانه أمام إغراء امرأة العزيز ذات الحسب والنسب. وما أحرى ميداننا التربوي في هذا الوقت الحاضر إلى مثل هذا القصص القرآني المؤثّر، وبلورة معانيه بأسلوب تربوي جذّاب، والتركيز على مبادئه التربوية، وحَشْده بالشواهد الواقعية، وتقريب صورته الإيمانية العظيمة إلى قلوب الشباب، وبيان عاقبة الصمود أمام لهيب الشهوة

---

(١) الحقيل، ١٤١٦هـ، ص٧-١٥، باختصار.

الجامحة، وأنّ هذا الموقف يحتاج إلى مؤهلات إيمانية تعتمد على الصدق والإخلاص وصدق التعلّق بالله تعالى، وعندما يتمّ عرضها بأسلوب تربوي حيّ ومؤثر، فإنّ أحداث القصّة ستنعكس في ذِهن الشابّ وتعيش في وجدانه، فيرى فيها من الدروس الإيمانية ما يكون سبباً في كبح جوامح الشهوة والتحكم في نزواتها بكلٍّ صدق وثبات.

وهناك الكثير والكثير من الصور الإيمانية والتربوية الرائعة التي لا يمكن حصرها في هذه الدراسة، والتي تبيّن بوضوح أثر التربية بالقصص القرآني أو بالآيات الكريمة التي تتحدّث عن الحياة أو الكون أو عالم الغيب. . وغيرها من الصوَرِ الإيمانية الإبداعية التي صوّرها القرآن الكريم بكلّ دِقّة وإعجاز. ولا شكّ فإن أعظمها وأجلّها سيرة خاتم الأنبياء والرسل نبيُّنا محمد ﷺ، كما تَمّ بيان ذلك في ثنايا هذه الدراسة.

وإذا تعمّقَت معاني تلك الآيات الكريمة في القلوب الناشئة والشابّة، وخشعَت قلوبهم لخالق الكون سبحانه وتعالى، وأثارت هذه الآيات والدلائل العظمى عنده انفعالات الارتياح إلى الحقّ والخضوع والخشوع والتدبر والتأمل في هذه الحقائق الكونية، والتساؤل عن مآل الإنسان والكون، لتطبيق هذه النتائج والشعور بهذه الانفعالات أمام كل آية من آيات الله في الكون وفي الإنسان وغيرها، والوصول للقناعة الفكرية بعظمة خالق الكون سبحانه وتعالى، وتبعية ذلك في سلوكه، فإنها تؤثر على سلوكه وتنعكس في وجدانه. . إلى غير ذلك من وسائل التربية بالحوار والخِطاب الموجّه للمربين، وغيرها من الأساليب.

«وهكذا يدعونا القرآن الكريم إلى أن نسخّر ذكاءَنا، ونفتح مواهبنا، ونستخدم بصيرتنا وقوانا العقلية ومشاعرنا وحواسّنا لنفهم حقيقة الآيات الكريمة ونعقلها، بما فيها من إعجاز وأساليب بليغة في حُسن العرض

وتحدّي الفكر البشري، ولَفت الانتباه إلى مواطن الإعجاز تارةً بالمقارنة والمقابلة بين الأشياء المختلفة ذات المنشأ الواحد، وتارةً بدعوة المخاطب إلى استخدام العقل والسمع أو البصر أو كلّ ذلك معاً للوصول إلى حقيقة التمعّن والتدبّر لهذه الآيات، وتتحقق الأهداف التربوية المرجوّة»[١].

### ٣ ـ أسلوب الحوار والمناقشة:

من الأساليب التي تقوم عليها التربية الإسلامية في توجيه الإنسان نحو الحق والخير وصدق الإيمان؛ أسلوب الحِوار والمناقشة والإقناع والاقتناع عن طريق توظيف قدرات العقل، ويتضمن أسلوب الحِوار والمناقشة في التربية الإسلامية ضرورة تعريف الناشئة بالأساس العقلاني المنطقي لأيّ قضية مطروحة أمامهم، وألاّ يردّدوا المعلومات ترديداً أعمى دون فهم لمضمونها الحقيقي أو دون إدراك لارتباطها بواقعهم الذي يلمسونه في حياتهم، بل يجب أن تتاح لهم الفرصة للمناقشة الجادّة البنّاءة التي تُحلِّل أبعاد الموضوع المطروح للمناقشة والوصول إلى الأهداف التربوية المراد تحقيقها. وقد اهتمّ المربّون المسلمون بأسلوب المناقشة والمناظرة والحوار في التدريس، واعتبروه أسلوباً مفضَّلاً مجدياً في التعليم. «وحتى يكون هذا الأسلوب مؤثراً في سلوك التلاميذ يجب على المربي المسلم أن يتحلى بالثقة والهدوء وسعة الصدر وعدم التكلف، وأن يكون هدفه الأساسي الوصول بطلابه إلى تكوين ثقافة إسلامية تنمي عقولهم وفكرهم، وتساعدهم على تكوين خلفية ثقافية تمكنهم من التعامل مع مجتمعهم، وتساعدهم على القيام بدور المواطنة الصالحة، وأن يتيح لهم فرصة النقاش وإثارة الأسئلة ـ دون ملل ـ حول الموضوع، وحفزهم على التفكير السليم»[٢].

---

(١) النحلاوي، ١٤١٠هـ، ص٤٨، بتصرف.

(٢) مرسي، ١٤١٣هـ، ص١٢٨، ١٣٥، بتصرف.

وهذا الأسلوب التربوي والتعليمي منْ أهمّ الأساليب التي تسهم في ترسيخ مفهوم التغذية الراجعة للطالب من خلال تفاعله مع الآخرين، «وهذه التغذية تزوّده بأطر مرجعية تساعده على تحديد أعماله وسلوكه الاجتماعي وتأقلمه معه، مثل تعلمه أن الناس يبادرون بالسلام على بعضهم عندما يلتقون ببعضهم»(١).

## ٤ ـ أسلوب التوجيه والنصح:

وهو من الأساليب المعروفة في التربية الإسلامية، وله تأثيره القويّ في النفوس؛ لأنّه يتطرق إلى النفس الإنسانية من مداخلها الحقيقية، ويجعل الناصح في نظر المستمع شخصاً طيب النوايا حريصاً على المصلحة، ومن هنا يكون لكلامه قبول حسن، ويكون هذا الأسلوب فعّالاً، ويؤتي ثماره عندما يكون النصح صادراً من القلب؛ لأن ما يصدر من القلب يصل إلى القلب.

وفي أسلوب التوجيه والنصح مجال خصب للمربين المسلمين في توجيه طلابهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، ويمكن استخدام هذا الأسلوب التربوي من خلال عدّة جوانب، منها:

أ ـ أنّ هذا الأسلوب يسهم في إيقاظ عبادات إيمانية كانت قد رُبيت في نفس الناشىء بطريق الحوار أو العمل أو العبادة، مثل عبادة الخضوع لله سبحانه وتعالى والخوف من عذابه ووعيده، والرغبة في مرضاته وجنّته، كما يربي الوعظ أو التوجيه هذه العبادات وينمّيها، وقد ينشئها من جديد.

ب ـ الاعتماد على التفكير الإيماني الصادق والنظر إلى الحياة بنظرة المؤمن الذي يرجو الله واليوم الآخر، ويعمل لدنياه وآخرته، وأنّ الفلاح الحقيقي في هذه الحياة إنما يكون منطلقه العمل الصالح المثمر الجادّ.

---

(١) فرحان وآخرون، ١٤١٩هـ، ص٧٧، بتصرف.

جـ ـ من أهمّ آثار هذا الأسلوب؛ أنّ الشابّ المسلم يشعر بانتمائه إلى الجماعة المؤمنة الصالحة فيجد جوّاً من الانشراح والنشاط الإيماني ما لا يجده في غيره، ويكون التوجيه أشدّ تأثيراً وأبلغ في النفوس عندما يكون المستمعون أكثر عدداً، وتربطهم أواصر المودّة والأخوّة.

د ـ ومن آثار هذا الأسلوب؛ أنّ له تأثيراً في تزكية النفس وتطهيرها، «وهذا من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية الذي بتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات ومواطن السوء، ويأتمر الجميع بأمر الله بالمعروف والعدل والصلاح والبرّ والإحسان»[(١)].

**٥ ـ التربية بضرب الأمثال:**

لم تكن الأمثال القرآنية والنبوية مجرد أمثال عظيمة في أسلوبها وأبعادها وأهدافها وبلاغتها فحسب، ولكنها تهدف إلى غايات تربوية عظيمة تتأثر من خلالها النفوس المؤمنة، وتتعظ وتعتبر؛ لأنّ تلك الأمثال تحوي مضامين إيمانية عظيمة وأهدافاً تربوية بالغة التأثير. ومن هذه الأهداف التربوية التي يحققها أسلوب التربية بضرب الأمثال ما يلي:

أ ـ ففي القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

ب ـ أنّ هذه الأمثال ترمي إلى تقريب المعنى إلى الأفهام. فقد أَلِفَ الناسُ تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية، وقد بلغت الحكمة النبوية غاية في روعة الوضوح

---

(١) النحلاوي، ١٤٠٣هـ، ص٢٨٤-٢٨٥، باختصار.

عندما استخدم ﷺ هذا الأسلوب التربوي في أكثر من موقف، ولا يمكن حصرها هنا. ومثل ذلك قوله ﷺ: «المؤمن الذي يقرأ ويعمل به كالأترجّة، طعمُها طيّب وريحُها طيّب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة، طعمُها طيّب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة، ريحُها طيّب وطعمُها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة، طعمُها مُرٌّ أو خبيثٌ وريحُها مُرّ»[1]، [2].

جـ ـ ومثل ذلك قوله ﷺ: «أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كلّ يوم خمس مرّات، هل يبقى من درنه شي»؟ قالوا: لا يبقى من درنه، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا»[3].

د ـ ففي مثل هذه الأمثال من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ الكثير من الدروس التربوية التي يستنبطها المعلِّم المسلم وتوظيفها في الوصول لأداء رسالته العظيمة تجاه الناشئة والشباب؛ لأنّ فيها عِبراً وعِظات توقظُ عواطف النفس الإيمانية ومكامن الخير فيها؛ لتكون خاشعة خائفة خاضعة لأمر الله تعالى.

**٦ ـ التربية بالقصص القرآني:**

القرآن الكريم منهج تربوي متكامل وكتاب عقيدة شامل، وهو مليء بالقيَم الفاضلة التي تؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة، والقصة القرآنية إحدى وسائله لغرس القيم الإسلامية السامية، «وفي القرآن الكريم ثروة ضخمة من القصص القرآني، ويظهر في هذا القصص قيم تربوية كثيرة، ويمكن باستخلاص هذه القيم أن تحقق التربية الإسلامية أهدافها في بناء الإنسان

(١) النسائي، باب: مثل الذي يقرأ القرآن، ج٨، ص١٢٤، حديث رقم: ٥٠٣٨.
(٢) العدوي، حديث رقم: ١٩٣.
(٣) موسوعة الحديث الشريف، حديث رقم: ٥٢٨.

المتكامل بكافة جوانب شخصيته، والتي تهتمّ التربية المعاصرة ببعضها وتُغفل البعض الآخر»(١).

ويستطيع المربي المسلم أن يستنبط من القصص القرآني دروساً تربوية ومبادئ تعليمية متعددة تحثّ الناشيء والشابّ المسلم على التدبُّر والخشوع في عبادته وعلاقته بربّه سبحانه وتعالى، وذلك من خلال غرس الشعور الإيماني في قلوبهم، وأنه كلما كانت صِلته بالله تعالى أوثق كانت له السعادة والخير في الدنيا والآخرة.

كما يتّضح ذلك من خلال بعض المبادىء التربوية المستنبطة من القصص القرآني كما في نهاية قصة يوسف عليه السلام مع إخوته عندما صبرَ واحتسب ولجأ إلى ربه سبحانه وتعالى. وقد ترسخ الإيمان ومخافة الله تعالى في قلبه، وبمجرد شعوره بهمّ المعصية لجأ إلى ربه سبحانه وتعالى وفوّض أمره إليه، فأنجاه الله تعالى من محنته، وجمعَ له خيري الدنيا والآخرة.

ومثل هذه المبادىء الإيمانية والتربوية تجعل الشابّ المسلم منيباً خائفاً خاشعاً لله، جاعلاً رِضا الله تعالى نصب عينيه؛ لأنّه علِم نهاية المفرّطين والعاصين من خلال استعراض القصص القرآني وغيره، «وبالتالي تكون صلته بالله تعالى مستمرّة لا تنقطع، فهو دائماً يرجو رحمةَ ربِّه ويخشى عِقابه»(٢).

ويمكن أن تتحقق أهداف التربية الوجدانية بغرس القيم الوجدانية في ضوء القصص القرآني المليء بالعِبر والدروس التربوية، «فإذا وضعت القصة في قالب عاطفي مؤثر، فإنها تؤثّر في النفوس، والقصة ذات المغزى الأخلاقي المثير قد تخالج أعماق النفس، فتحرك الدوافع الخيّرة في الإنسان، وتطرد النزعات الشريرة منه، فهي قد تجعل القارئ يتدبّر أو

---

(١) طهطاوي، ١٤١٦هـ، ص٢٥.

(٢) يالجن وآخرون، ١٤٠١هـ، ص٣٣٠، بتصرف.

السامع بخشوع يتأثر بما يقرأ أو يسمع، فيميل إلى الخير ويحبّه، ويُبصر سبل الشرّ فينفر منها. وهذا التأثير يلمس الوجدان ويحرك المشاعر، ويفيض الدموع ويسمعه الذين تهيَّؤوا للإيمان فيسارعون إليه خاشعين»[١].

«وقد أدرك معلّم البشرية الأوّل النبي ﷺ تأثيرها، فاستخدمها لتكون وسيلة من وسائل التربية في إقناع المخالفين عن طريق الحوار. وقد تضمن القرآن الكريم أنواعاً من القصص القرآني، واستخدم كلّ أنواع القصة التاريخية الواقعية المقصورة على مناسبتها وأشخاصها وحوادثها، والقصة الواقعية التي تعرض نموذجاً لحالة بشرية، والقصة التمثيلية التي لا تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع في أيِّ لحظة من اللحظات، وفي أيِّ عصرٍ من العصور»[٢].

**د ـ أهمّ صفات وخصائص الشاب المسلم الخاشع الذي تعدّه التربية الإسلامية:**

١ ـ إنسان عابد لله، على المفهوم الشامل للعبادة الذي يشمل كل الحياة، وهو كذلك الإنسان الذي تتمثل فيه أخلاقيات (لا إله إلا الله).

إنسان يعرف ربه ويدين له بالطاعة والعبادة.

٢ ـ إنسان يحسّ بمراقبة الله الدائمة له في كلِّ تصرّف وكلّ فكرة وكل شعور وكلّ هاجسة في النفس مستورة، وكل خائنة في العين خافية. يهتزّ ويرتعش ويخرّ خاشعاً، ويراقب الله في الصغيرة والكبيرة في الجهر والخفاء، فلا يعمل شيئاً بغير إخلاص، لا يعمل شيئاً يقصد به الشرّ، لا يعمل شيئاً دون تفكّر، لا يعمل شيئاً مستهتراً ولا مستهيناً بالعواقب، ولا يعمل شيئاً لغير وجه الله، ويعلم أنّ الله يراقبه وهو يفكر. فالله مطّلع على أفكاره، فلا يفكر في الشرّ، ولا يتمنّاه للناس، وإنما يفكِّر فيما

(١) الحقيل، ١٤١٦هـ، ص٦١، ٦٢، بتصرف.

(٢) قطب، ١٣٩٨هـ، ص١٢، بتصرف.

ينفع الناس، يفكر في أنْ يعمل صالحاً حتى يصبح الخير له عادة متأصِّلة نابعة من أعماق النفس.

إنسان يعلم أنّ الله يراقبه وهو يحسّ، فالله يعلم السرّ وما خفى من السرّ، يعلم أنّ الله يراقبه في إحساسه، فلا يحسّ بإحساس غير نظيف، يراقبه فينظف مشاعره أولاً بأول، لا يحسد ولا يحقد، ولا يكره للناس الخير، ولا يتمنّى أن يحرمهم منه ويستحوذ هو عليه، ولا يشتهي الشهوات الباطلة والمتاع الدنس.

٣ ـ إنسان يعرف رسالته في الحياة الدنيا، ويعرف مصيره بعد هذه الحياة، موتٌ ثم بعثٌ ثم حسابٌ عن كلٍّ ما قدّمت يداه. ثم حياة خالدة يُجزى فيها عن قيامه بتبعات التكاليف والأمانة التي حملها في هذه الدنيا، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشرّ. وأنّ حياته ليست لهواً ولا لعباً، وأنه محاسَب على كل لحظة من لحظات عمره، وعن كل حاسّة وجارحة في جسده، وعن كلٍّ نشاط قام به عقله، وعن كلٍّ فائدة أفادها عِلمه، وعن كلٍّ ما اكتسبه أو أنفقه، وعن كل حِكمة تحركت بها شفاهه.

إنسان يعلم أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، وهو محاسَب عن كل ما يزرع فيها وعن عمرانها. إنسان يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

٤ ـ إنسان تشعّ التقوى من وجهه، ويتصف في حركاته وفي حديثه بالهدوء والوداعة والحياء.

٥ ـ إنسان يقف في وجه الشهوات بقوة، ولو أحسَّ بلذّتها في أعصابه؛ ولا يذلّ نفسه لشهوة تُدَنّسهُ وتمرّغه في الوحل من أجل متعة عابرة لن تغنيه. يقف في وجه القيم الزائفة بحزم؛ لأنّه يملك القِيَم الحقيقة المستمدّة من الله ومنهج الله، فلا تزلزله قِيم ومبادىء زائفة من صنع البشر.

٦ ـ إنسان يحبّ الخير للآخرين، ويحسّ نحوهم بالرحمة ولو كان لا يعرفهم ولا تربطه بهم رابطة أو صُحبة؛ لأنّه يستشعر مراقبة الله تعالى له، فتعمل طاقته للنفع، وليصيب النفع أكبر عدد من الناس.

٧ ـ إنسان متوازن تلمح الاعتدال في سلوكه وفكره وفي شعوره، متوازن لأنّ طاقته كلها تعمل وتأخذ نصيبها من الحياة. توازنٌ يمنعه من أن يقع في متاع الأرض ويغرق في عالَم المادّة، متوازن لا يستطيره خير يسمعه حتى يثبت ويتبين، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

٨ ـ إنسان نظيف في سلوكه، ونظيف في تعامله مع الناس، ونظيف في ثيابه. وهي نظافات متعددة من كلِّ جانب.

والخشوع في الصلاة والمحافظة عليها نظافة في التعامل مع الله، ونقاء في السيرة. والإعراض عن اللغو نظافة في الفكر والضمير واللسان، وصون لها من التفاهات والانحرافات. والزكاة تنظيف للنفس من شُحِّ المال، وحفظ الفرج نظافة من دنس الشهوة التي تدنس وتشيع الفاحشة في المجتمع فتدنسه، ورعاية الأمانة والعهد نظافة في التعامل مع الناس واستقامة في الطبع وصدق وإخلاص.

هذه بعض ملامح وصِفات ومواصفات الإنسان الذي تعدّه التربية الإسلامية.

وباختصار؛ فإنّ شخصية الإنسان الذي تعدّه التربية الإسلامية شخصية عابدة مؤمنة به، راضية بقضائه وقدرهَ، شغلها الشاغل الحصول على مرضاة الله جل وعلا. «هذه الشخصية شخصية متوازنة تعطي للجسم حقَّه من العناية والاهتمام»(١).

---

(١) الحقيل، ١٤١٦هـ، ص٨٩، ٩٢، باختصار.

## ثالثاً: المقترحات

١ ـ الحاجة الماسّة إلى فهم وتطبيق الخشوع وترسيخه في الميدان التربوي، سواء من خلال المنهج الدراسي أو غيره من القنوات التربوية والتعليمية.

٢ ـ أنّ منهج التدريب العملي لهذا المبدأ الهامّ يكون بدراسة سيرة النبي ﷺ بأساليب تربوية مؤثّرة، والوقوف على الأمثلة التطبيقية في حياته ﷺ.

٣ ـ الحاجة الماسّة إلى توفر قناعات تربوية من جميع القائمين على العملية التربوية بالضرورة القصوى لتحقيق هذا المطلب الإيماني المهمّ؛ لأنّ هذا الجانب الإيماني هو جهد بناءٍ وإعداد لا يستقيم ولا يتبلور في الميدان التربوي إلا إذا تحقق التكامل والتنسيق، وأشرفت على تحقيقه الكفاءات القادرة الأمينة.

٤ ـ لا ينشأ الخشوع الإيماني الصادق إلاّ إذا تعمّق في القلب حقيقة الألوهية والربوبية وحقيقة عبودية الإنسان لله الواحد القهار، والتفرغ والتذلل إليه سبحانه.

٥ ـ إنّ الإعداد النفسي والبناء التربوي والتربية والتدريب للنشء على ترسيخ هذا الجانب الإيماني، يبدأ أول ما يبدأ بتعميق الإيمان والتوحيد وتغذيتهما في نفوسهم قولاً وفعلاً واعتقاداً.

٦ ـ ضرورة أن تراعي المناهج تحقيق هذه الغاية العظيمة ووضع الخطط اللازمة.

٧ ـ الحاجة الماسَّة إلى الاهتمام الجادِ بموادّ التربية الإسلامية كمّاً وكيفاً، والعناية بها صياغةً وأهدافاً ومحتوىً. ولا سيما القرآن الكريم وزيادة الحصص المقررة له، ولا سيما في المرحلة الثانوية.

٨ ـ أهمية التخطيط التربوي للمناهج الدراسية والتركيز على التكامل فيما بينها، وصياغة إطار منهجي تكاملي شمولي للأهداف التربوية المتوخّاة من تلك المناهج الدراسية.

٩ ـ لا شكّ أنّ مناهج التربية الإسلامية في المراحل الدراسية الثلاث، ولا سيما المرحلتين: المتوسطة والثانوية فيها كثير من الإيجابيات وتحقق الكثير من الأهداف التربوية، وهي نموذج تربوي رائع لبناء تربية إيمانية راسخة. لكنها بحاجة إلى تكثيف الدورات التدريبية المؤثرة للمعلّمين وإحياء الدّور المهمّ والعظيم الذي يضطلع به المعلمون، وتنمية الروح الإيمانية الخاشعة في قلوبهم حتى تتماشى رغباتهم وتطلّعاتهم مع روعة مناهج التربية الإسلامية، ولا سيما إذا خضعت للتقويم والمراجعة المستمرة.

١٠ـ ضرورة الترغيب في طلب العِلْم الشرعي على وجه الخصوص، وعرض الجوانب المشرقة للثقافة الإسلامية بأساليب تربوية جذّابة، وترسيخها في وجدان النشء المسلم.

١١ـ ضرورة ارتباط القول بالعمل في الميدان التربوي لتحقيق تربية إسلامية مؤثرة.

١٢ـ الحاجة الماسّة إلى اهتمام المعلّمين بالأهداف التربوية والتعليمية للمتعلم ودراستها ومعرفة جدواها التلعيمية والتربوية، والتركيز على الأهداف الوجدانية، واستغلالها في إثارة كوامن الخير والفضائل داخل نفوس النشء المسلم، وتغذيتها بالمبادىء الإسلامية التي تؤدي إلى التربية الإيمانية الخاشعة.

١٣ـ ضرورة تعويد النشء المسلم على مختلف المهارات السلوكية لحفزهم على المقارنة والتفكير والتأمل والتدبر للوصول إلى الاقتناع الراسخ بما يُملَى عليه من حقائق إيمانية ومبادئ سامية وقيم فاضلة.

١٤ـ القرآن الكريم جاءنا ميسّراً بعد عناء وجهاد وتضحيات عظيمة شهد بها الله تعالى في كتابه الكريم، فنالَ أولئكَ الجيل الخاشع السعادة في الدنيا والآخرة. وهذا مطلب تربوي عظيم يجب نقله بكلّ أمانة إلى أذهان وقلوب الناشئة بأنّ الحياة الإيمانية حياة جِدٍّ ومثابرة وكِفاح وجهاد وصبر واحتساب، وليست حياة راحة ودَعَة وكسل وخمول.

١٥ـ للخشوع علاقة وثيقة ومباشرة بالحياة التي يعيشها المسلم في يومه كله، فعليه أن يستعين على خشوعه ـ بعد عون الله تعالى ـ بشيء من الزهد والتخفُّف من فضول الدنيا وكثرة مشاغلها حتى لا تتعقد حياته وتصبح متشابكة بعضها آخذٌ بِركاب بعض.

١٦ـ ضرورة ترسيخ مبدأ الإخلاص في النية والعبادات، ووجوب إخلاص العمل لله تعالى. وبيان عاقبة المنافقين، وأنّهم لا يخشعون في صلاتهم، بل يقومون إليها وهُم كُسالى، كما بيّن الله تعالى ذلك في كتابه الكريم. وتنفير النشء المسلم من صِفات المنافقين الذميمة.

١٧ـ ضرورة تدريب النشء المسلم على الانفتاح الفكري الأمين على خبرات العالم في المجالات المعلوماتية، وتقبّل الحق والنافع منها؛ ليعمل على الاستفادة منها في النهوض بواقعه داخل الثوابت الإيمانية الراسخة التي تحول بينه وبين كل تقليد أعمى أو اختلال أخلاقي أو سلوكي يعتريه.

١٨ـ بثّ روح القدرة على التحدي بين أوساط الشباب المسلم والقدرة على مغالبة الصعاب ومواجهة المشاكل والتصدي لها، ومحاولة إيجاد الحلول التربوية لها، فقد كان المعلم الأول رسولُ الله ﷺ يربي في صحابته هذه الروح الإيمانية العظيمة، فكانوا يواجهون التحديات رغم ضعف إمكانياتهم المادية، إلا أنهم كانوا كباراً بإيمانهم، أقوياء بصبرهم وعزائمهم وقلوبهم التي امتلأت إيماناً ويقيناً وخشوعاً.

١٩ـ ضرورة العناية بتنمية روح المسؤولية الاجتماعية لدى النشء المسلم، بحيث يكون لديه اهتمامٌ بشؤون مجتمعه وإدراكٌ لمشاكله وظروفه، واستعدادٌ للتضحية والبذل في سبيل تقدّمه والدفاع عنه تأكيداً لروح الأخوّة الإسلامية التي هي أساس المجتمع الإسلامي.

٢٠ـ ضرورة إيجاد مضامين تربوية عبر قنوات المناهج الدراسية وغيرها في الميدان التربوي والتعليمي يستطيع الشابّ المسلم من خلالها التكيّفَ الإيجابي مع المتغيرات الحضارية والخروج من دائرة الشعور بالتخلف الحضاري، وبناء إنسان متميز في شخصية لا يقف عند مصالح دنياه فحسب، بل يتجاوزها إلى المعنى الخالد إلى الحياة الأخرى، وذلك بُعدٌ تربوي مؤثر تستطيع التربية الإسلامية الجادّة أن تحفظ للشابّ المسلم توازنه، بل وتضمن له تنمية متكاملة وإنجازاً حضارياً يحفظ عليه شخصيته ودوره وفعاليته، وتحقيق ذلك ليس بالأمر السهل حتى يعيش الشابّ المسلم واقعاً إيمانياً ملموساً ومؤثراً في خِضمّ المغريات الكثيرة التي تحيط به من كلِّ جانب، وإنما يحتاج الأمر إلى رؤى تربوية تلامس شغاف الواقع، وذلك بمختلف الوسائل العصرية الممكنة، وهذا حِملٌ ثقيل يقع على عاتق التربويين تجاه أبناء مجتمعهم المسلم.

٢١ـ ضرورة الحاجة الماسّة إلى الإبداع والابتكار في صياغة الأساليب التربوية المؤثرة على سلوك النشء المسلم لتوجيهه نحو معالي الأمور، وكسر حاجز الملل الذي كثيراً ما يرتبط عند كثير من الشباب بسرد النصائح والتوجيهات دون اللجوء إلى الأساليب التربوية الأخرى، وهي كثيرة ومتعددة، حتى يتمّ تحقيق الأهداف التربوية من منطلق مبدأ الإقناع، مما يكون له أجمل الأثر في سلوك حياة إيمانية صادقة تترفع عن الشهوات والنزوات، وتدعو الشابّ المسلم إلى تحكيم العقل والعدل في نفسه

ومجتمعه بدلاً مِن تحكيم الهوى والعاطفة، وغرس المفاهيم التربوية في وجدانه، والسير في حياته بكلّ ثقة وثبات بإذن الله.

٢٢ـ أهمية التركيز على التنظيم ودوره في الميدان التربوي في تنسيق الجهود وتوفير الطاقات وتوظيف الإمكانات، وهذا مطلب تربوي مهمّ حتى تسير العملية التربوية مقرونة بأسباب النجاح نحو تغذيتها للطالب بالمبادىء والقيم التي تجعل منه عضواً فاعلاً في مجتمعه المسلم.

٢٣ـ ضرورة اهتمام معلم التربية الإسلامية على وجه الخصوص بأساليب الترغيب والتشويق والتنويع، والحذر والبُعد عن الأسلوب الإلقائي حتى لا يفقد الموضوع بهجته وتأثيره. وإيقاظ كوامن الطاقات الشابة وتوجيهها بالتأمل والتدبر، والتركيز على الحوار الهادف والمناقشة المستفيضة، وإتاحة المجال للمشاركة الجادّة المثمرة.

٢٤ـ يجب أن تكون المدرسة ـ بحقّ ـ مجتمعاً إسلامياً ينبض بالتعاطف والتراحم والتلاحم والتفاهم بين أفراد المجتمع المدرسي، والتواصي بينهم بالحَقّ والصبر.

٢٥ـ أن تضع المدرسة أهدافها التربوية في مقدّمة اهتماماتها للوصول إلى تربية إسلامية نافعة وإعداد جيل مسلم قولاً وعملاً واعتقاداً.

٢٦ـ يجب أن تكون خلاصة العملية التربوية غير مقتصرة على إعداد جيل آلي خالٍ من الروح، بل تكون مهمّتها العظمَى تنمية صِفات الإنسان الصالح والمسلم الواعي الذي يستطيع تحمّل المهام والقادر على البذل والتضحية بإيمانٍ وصِدقٍ وخشوع.

٢٧ـ الحاجة الماسّة والملحّة إلى نبذ الصورة المستقرّة في أذهان كثير من طلاب المرحلة الثانوية عن (قسم العلوم الشرعية) ووجوب تغييرها وفق منهجية علمية وبحث تربوي متكامل لأَبعاد هذه القضية المهمة. ووضع

الضوابط اللازمة لتغيير تلك الصورة القائمة عن هذا القسم، وذلك بقبوله الطلاب ذوي المستويات الضعيفة جداً، وغالباً الطلاب الذين ليس لديهم الرغبة في إتمام دراستهم الثانوية، وإقحامهم بهذا القسم. وضرورة وضع الضوابط اللازمة ليكون ـ بحقّ ـ وسيلة لإعداد جيل يحمل ثقافة شرعية لا بأس بها.

٢٨ـ الوضع التربوي للكثير من الأُسر المسلمة المعاصرة يحتاج إلى تصحيح وتذكير بأسس التربية السليمة، وجعل التربية الإسلامية واقعاً حياً بين أفرادها، والرجوع إلى منابع التربية الإيمانية السامية المنطلقة من كتاب الله تعالى ومِن سنّة نبيّه ﷺ لإعداد جيل مسلم صالح، وعدم تركيز الاهتمام بالنشء على الأمور المادية فحسب.

٢٩ـ تقع على المجتمع المسلم مسؤولية كبرى في تنشئة الأجيال المسلمة، وذلك بتهيئة الأجواء الإيمانية النقية وتربيتهم في ظلّ عقيدة إيمانية صادقة، ووجوب تكاتف مؤسسات المجتمع المسلم التربوية والإعلامية والثقافية وغيرها لتحقيق تلك الغاية، حتى يعيش الجيل المسلم حياة إيمانية نابضة بالصِّدق والإيمان واليقين، بعيدة عن الانفصام والتردّي والحيرة التي يعيشها كثيرٌ من أبناء المجتمع المسلم المعاصر حالياً.

٣٠ـ تقع على وسائل الإعلام بصِفة عامّة والمرئية بصفة خاصة مهمّة عُظمَى، فيجب عليها إبراز المبادىء التربوية والتعليمية التي تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح، وأن تتوجّه جهود العاملين في هذا المجال الخطير لتطبيق منهج الحقّ والإيمان في موادّها وفقراتها، وأن تكون وسائل بناء وسواعد خير، لا وسائل هدم وإفساد وتدمير!

٣١ـ إيجاد البديل المناسب والجائز شرعاً للأمور المحرّمة شرعاً يُعتبر من دعائم التربية السليمة التي تربّي جيلاً متفاعلاً مع مجتمعهِ المسلم، بعيداً عن كل ما يخالف منهج الإسلام.

# الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



# فهرس الآيات القرآنية الكريمة

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|

| طرف الآية | الصفحة |
| --- | --- |

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|
| ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ | ٥٧ |
| ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ... ﴿٦٧﴾ ﴾ | ٦٥ |
| **(سورة فصلت)** | |
| ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ... ﴿٣٤﴾ ﴾ | ١٣١ |
| ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ... ﴿٣٩﴾ ﴾ | ١٦٦ |
| ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ... ﴿٣٩﴾ ﴾ | ٢١، ١٦٥، ١٦٨ |
| ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ | ٨٩ |
| **(سورة الشورى)** | |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ | ١٣٢ |
| ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ... ﴿٤٣﴾ ﴾ | ٦١ |
| ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ | ١٥٢ |
| ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ ... ﴿٤٤﴾ ﴾ | ١٤٩، ١٥١ |
| ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ... ﴿٤٥﴾ ﴾ | ١٥٢ |
| ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ ... ﴿٤٥﴾ ﴾ | ٢٠ |
| **(سورة الجاثية)** | |
| ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ... ﴿٣٢﴾ ﴾ | ٧٣ |
| **(سورة الأحقاف)** | |
| ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ | ١٢٦ |
| **(سورة محمد)** | |
| ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ | ١٦٢ |
| ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴿٣٣﴾ ﴾ | ١٨٧ |
| **(سورة الفتح)** | |
| ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ﴾ | ١٨٩ |

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|
| ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ . . ﴿٢﴾ ﴾ | ١٨٩ |
| ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ . . . ﴿٩﴾ ﴾ | ٦٧ |
| ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ . . . ﴿٢٩﴾ ﴾ | ٢٢٤ |
| ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ . . . ﴿٢٩﴾ ﴾ | ١٨٣، ٢٢٤ |
| (سورة الحجرات) | |
| ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ . . . ﴿٣﴾ ﴾ | ٢٨٧ |
| ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ . . . ﴿٦﴾ ﴾ | ٣٠٤ |
| (سورة قٓ) | |
| ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ | ٢٢ |
| (سورة الذاريات) | |
| ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ | ٧٣ |
| ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ | ٢٩، ٢٧٩ |
| (سورة الطور) | |
| ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ | ٥٤ |
| (سورة القمر) | |
| ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ ﴾ | ٢١، ١٤٠، ١٤٣ |
| (سورة الواقعة) | |
| ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ | ٢٢٧ |
| (سورة الحديد) | |
| ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ . . . ﴿١٦﴾ ﴾ | ١٠، ١٩، ١٢٩، ١٤٩، ١٥٣ |
| ﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ . . . ﴿١٦﴾ ﴾ | |
| ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴿١٧﴾ ﴾ | ١١، ١٥٣ |



# فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث — الصفحة

(الألف)

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|

طرف الحديث | الصفحة



(الباء)

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|

(الغين)



(الفاء)



(القاف)



(الكاف)



(اللام)

| طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|

| طرف الحديث | الصفحة |
| --- | --- |

| طرف الحديث | الصفحة |
| --- | --- |

# قائمة المصادر والمراجع

● القرآن الكريم:

١ ـ آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد، ١٤٢٠هـ، موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)، ط١، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع.

٢ ـ إبراهيم وآخرون، فوزي، ١٤٠٦هـ، المناهج المعاصرة، ط٣، مكة المكرمة، دار الثقة للنشر والتوزيع.

٣ ـ ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر، مجدي السيد إبراهيم، ١٤١١هـ، مكارم الأخلاق، ط١، القاهرة، مكتبة القرآن.

٤ ـ ابن الجوزي، أبو الفرج، مجدي فتحي السيد، ١٤١٢هـ، سلوة الأحزان بما روي عن ذوي العرفان من الصحابة والتابعين والعباد الصالحين، ط١، طنطا، دار الصحابة للتراث.

٥ ـ ابن حميد، صالح بن عبد الله، ١٤١٩هـ، توجيهات وذكرى، ط١، مكة المكرمة، دار التربية والتراث.

٦ ـ ابن داود، منى بنت عبد الله حسن، ١٤١٧هـ، جوانب من الواقع التربوي المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ط١، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر.

٧ ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، ١٤١٧هـ، لسان العرب، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر.

٨ ـ أبو الحسين، محمد حامد الفقي، د.ت، ذيل طبقات الحنابلة، بيروت، دار المعرفة.

٩ ـ أبو العينين، علي خليل، ١٤٠٨هـ، القيم الإسلامية والتربية، ط١، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم حلبي.

١٠ـ أبو زيد، بكر بن عبد الله، ١٤٠٥هـ، ابن قيم الجوزية حياته وآثاره، ط٢، الرياض مكتبة المعارف.

١١ـ أبو عريش، مجدي، ١٤١٩هـ، كيف نخشع في الصلاة، ط١، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع.

١٢ـ أبو غدّة، عبد الفتاح، ١٤١٧هـ، الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، ط٢، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والتوزيع.

١٣ـ أبو يحيى وآخرون، محمد، ١٤٢٠هـ، الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، ط١، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.

١٤ـ الأتربي، أم عمرو بنت إبراهيم، مجدي قاسم، ١٤١٣هـ، بكاء الصحابة والتابعين والخوف من الله عز وجل، ط١، القاهرة، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

١٥ـ الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، أحمد عبد الرحيم السايح، ١٤١١هـ، أخلاق العلماء، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

١٦ـ الأزدي، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ت، سنن أبي داود، دار الفكر.

١٧ـ الأشقر، عمر سليمان، ١٤٢١هـ، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط٨، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع.

١٨ـ الأصبحي، مالِك بن أنس أبو عبد الله، محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت، موطأ مالك، مصر، دار إحياء التراث الإسلامي.

١٩ـ الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، ١٤١٨هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، دار الكتب العِلْمية.

٢٠ـ الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٥هـ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي.

٢١ـ الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٨هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط٤، الرياض، مكتبة المعارف.

٢٢ـ الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٨هـ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي.

٢٣ـ الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤١١هـ، صِفة صلاة النبي ﷺ، ط١، الرياض، مكتبة المعارف.

٢٤ـ إلهي، فضل، ١٤١٩هـ، السلوك وأثره في الدعوة، ط١، باكستان، إدارة، ترجمان الإسلام.

٢٥ـ إمام، محمد كمال الدين، ١٤٠٣هـ، النظرية الإسلامية للإعلام محاولة منهجية، ط٢، الكويت، دار البحوث العِلْمية.

٢٦ـ الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، ١٣٩٧هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، مكة المكرمة، المكتبة التجارية.

٢٧ـ البزار، عمر بن علي، زهير الشاويش، ١٤٠٠هـ، الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، ط٣، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

٢٨ـ البُستي، محمد ابن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، شعيب الأرناؤوط، ١٤١٤هـ، صحيح ابن حبان، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٢٩ـ البُستي، محمد بن حبان التميمي، رضاء الله بن محمد المباركفوري، ١٤٠٨هـ، كتاب العظمة، ط١، الرياض، دار العاصمة.

٣٠ـ البصري، أبو الحسن علي، ياسين محمد السواس، ١٤١٥هـ، أدب الدنيا والدين، ط٢، بيروت، دار ابن كثير.

٣١ـ البصري، أبو الحسن علي محمد عبد الرحيم محمد، ١٤١٠هـ، الزهد، جدة، دار الوليد.

٣٢ـ البغوي، الحسين بن مسعود، شعيب الأرناؤوط، ١٤٠٠هـ، شرح السنّة، ط١، دمشق، المكتب الإسلامي.

٣٣ـ البلالي، عبد الحميد جاسم، ١٤١٩هـ، وقفات تربوية، ط١، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٤ـ البيهقي، أحمد بن الحسين، محمد السعيد بسيوني، ١٤١٠هـ، شُعَب الإيمان، ط١، بيروت، دار الكتب العِلْمية.

٣٥ـ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، محمد عبد القادر عطا، ١٤١٤هـ، سنن البيهقي الكبرى، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز.

٣٦ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، أحمد محمد شاكر، د.ت، الجامع الصحيح، مكة المكرمة، المكتبة التجارية.

٣٧ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٠٥هـ، مختصر الشمائل المحمدية، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٣٨ـ توفيق، محمد عز الدين، ١٤١٤هـ، الخشوع في الصلاة، ط١، الرياض، دار النشر الدولي.
٣٩ـ جان، محمد صالح، ١٤١٩هـ، المناهج بين الأصالة والتغريب، ط٢، الطائف، دار الطرفين.
٤٠ـ الجرجاني، د.ت، التعريفات، بيروت، دار الكتب العِلْمية.
٤١ـ الجليّل، عبد العزيز ناصر، ١٤١٩هـ، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ط١، ج٢، الرياض، دار طيبة.
٤٢ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، بسام عبد الوهاب، ١٤١٦هـ، الصلاة وحُكم تاركها وسياق صلاة النبي، ط١، بيروت، دار ابن حزم.
٤٣ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، سليم بن عيد الهلالي، ١٤١٦هـ، صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ط٣، الدمام، دار ابن الجوزي.
٤٤ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ١٤١٢هـ، زاد المعاد، ط٦، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية.
٤٥ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، عبد الرحمٰن الوكيل، د.ت، إعلام الموقعين عند ربّ العالمين، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
٤٦ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، محمد حامد الفقي، ١٣٩٢هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار الكتاب العربي.
٤٧ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، محمد حامد فقي، ١٣٩٥هـ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ط٢، بيروت، دار المعرفة.
٤٨ـ الجوزية، شمس الدين ابن قيم، محمد عثمان الخشت، ١٤١٨هـ، الفوائد، ط٦، بيروت، دار الكتاب العربي.
٤٩ـ الحجاجي، حسن بن علي، ١٤٠٨هـ، الفكر التربوي عند ابن القيم، ط١، جدة، دار حافظ للنشر والتوزيع.
٥٠ـ الحراني، تقي الدين أحمد ابن تيمية، اعتنى بها: عامر الجزار، أنور الباز، ١٤١٩هـ، مجموعة الفتاوى، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

٥١ـ الحراني، تقي الدين أحمد ابن تيمية، عبد الله عمر الحلواني ومحمد كبير شودري، ١٤١٧هـ، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ط١، بيروت، دار ابن حزم.

٥٢ـ الحقيل، سليمان عبد الرحمٰن، ١٤١٦هـ، التربية الإسلامية مفهومها أساليبها وخصائصها، ط٢، الرياض، مطابع التقنية للأوفست.

٥٣ـ حمادة، فاروق، ١٤١٧هـ، أسس العِلْم وضوابطه في السنّة النبوية، ط١، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٥٤ـ حميد وآخرون، صالح، ١٤١٨هـ، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط١، جدة، دار الوسيلة.

٥٥ـ الحنبلي، أبو الفرج ابن رجب، أحمد عبد الرحمٰن الشريف، ١٤١١هـ، استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس، ط١، الرياض، دار الخاني.

٥٦ـ الحنبلي، أبو الفرج ابن رجب، بشير محمد عيون، ١٤١٣هـ، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ط٣، الرياض، مكتبة المؤيد.

٥٧ـ الحنبلي، أبو الفرج ابن رجب، طارق بن عوض الله محمد، ١٤١٥هـ، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط١، الدمام، دار ابن الجوزي.

٥٨ـ الحنبلي، أبو الفرج ابن رجب، عادل أبو المعاطي، ١٤٠٨هـ، الخشوع في الصلاة، ط١، القاهرة، دار المشرق العربي.

٥٩ـ الحنبلي، أبو الفرج ابن رجب، عادل أبو المعاطي، ١٤٠٨هـ، الخشوع في الصلاة، ط١، القاهرة، دار المشرق العربي.

٦٠ـ خالد، خالد محمد، ١٤١٦هـ، رجال حول الرسول، بيروت، دار الجيل.

٦١ـ الخريجي، منصور بن عبد العزيز، ١٤١٣هـ، الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ماضيه وحاضره، ط١، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع.

٦٢ـ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمٰن، فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، ١٤٠٧هـ، سنن الدارمي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.

٦٣ـ الدقر، عبد الغني، ١٤١٥هـ، الإمام سفيان الثوري، ط١، دمشق، دار القلم.

٦٤ـ الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، ١٤٠١هـ، تفسير ابن كثير، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٥ـ الذهبي، شمس الدين محمد، ١٤٠١هـ، سيَر أعلام البنلاء، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٦٦ـ الراوي، محمد عبد الرحمٰن، ١٤١٥هـ، حديث القرآن عن القرآن، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

٦٧ـ زمرلي، فواز أحمد، ١٤١٧هـ، كيف نتدبر القرآن، ط٣، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

٦٨ـ زمرلي، فواز أحمد، ١٤١٨هـ، كيف نخشع في الصلاة، ط٤، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

٦٩ـ السدلان، صالح بن غانم، ١٤١٥هـ، المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقته بمؤسسات الدعوة في المجتمع، ط١، الرياض، دار بلنسية.

٧٠ـ السدلان، صالح بن غانم، ١٤١٩هـ، الضرورة إلى العِلْم الشرعي، ط١، الرياض، دار بلنسية.

٧١ـ السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر، ١٤٠٨هـ، تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان، القاهرة، مطبعة المدني.

٧٢ـ السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر، ١٤١٤هـ، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ط١، الرياض، دار الشريف للنشر والتوزيع.

٧٣ـ السلمان، عبد العزيز أحمد، ١٤١٦هـ، موارد الظمآن لدروس الزمان، ط٢٦، الرياض، مطابع المدينة.

٧٤ـ سليمان محمود كرم، ١٤٠٩هـ، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، ط١، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٥ـ سويد، محمد نور عبد الحفيظ، ١٤١٩هـ، منهج التربية النبوية للطفل، ط١، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والتوزيع.

٧٦ـ السيوطي، جلال الدين، د.ت، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

٧٧ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمٰن، تقديم وتعليق: مصطفى ديب البغا، ١٤١٦هـ، الإتقان في علوم القرآن، ط٣، بيروت، دار ابن كثير.

٧٨ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمٰن، فتحي عبد القادر فريد، ١٤٠٦هـ، التحبير في عِلم التفسير، القاهرة، دار المنار.

٧٩ـ الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، سليم بن عيد الهلالي، ١٤١٢هـ، الاعتصام، ط١، الخبر، دار ابن عفان.

٨٠ـ الشريف، محمد بن حسن بن عقيل، ١٤١٦هـ، نزهة الفضلاء تهذيب سيَر أعلام النبلاء، ط١، جدة، دار الأندلس الخضراء.

٨١ـ الشريف، محمد بن حسن بن عقيل، ١٤١٩هـ، العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين، ط١، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع.

٨٢ـ شوق، محمود أحمد، ١٤١٣هـ، مهمات المناهج الدراسية في بناء المجتمع المسلم، الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨٣ـ الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله، د.ت، مسند أحمد، مصر، مؤسسة قرطبة.

٨٤ـ الصباغ، محمد لطفي، ١٤١٩هـ، الخشوع في الصلاة، ط٢، الرياض، دار الورّاق للنشر والتوزيع.

٨٥ـ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، حبيب الرحمٰن الأعظمي، ١٤٠٣هـ، مصنف عبد الرزاق، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي.

٨٦ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، ١٤١٥هـ، المعجم الأوسط، ط١، مصر، دار الحرمين.

٨٧ـ الطبري، محمد بن جرير، بشار عوّاد معروف وعصام فارس الحرستاني، ١٤١٥هـ، تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

٨٨ـ طهطاوي، سيد أحمد، ١٤١٦هـ، القيم التربوية في القصص القرآني، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي.

٨٩ـ الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد، ١٤١٦هـ، الصلاة، ط١، الرياض، دار الوطن.

٩٠ـ الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد، ١٤١٧هـ، فيض الرحيم الرحمٰن في أحكام ومواعظ رمضان، ط١، الرياض، دار الوطن.

٩١ـ عبد الباقي، محمد فؤاد، ١٤١٤هـ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٤، بيروت، دار المعرفة.

٩٢ـ عبد البر، أبو عمر يوسف، أبو الأشبال الزهيري، ١٤١٦هـ، جامع بيان العِلْم وفضله، ط٢، الدمام، دار ابن الجوزي.

٩٣ـ عبد الصمد، محمد كامل، ١٤١٧هـ، الإعجاز العلمي في الإسلام، السنّة النبوية، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

٩٤ـ عبد الصمد، محمد كامل، ١٤١٧هـ، الإعجاز العِلْمي في الإسلام في القرآن الكريم، ط٤، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

٩٥ـ عبد العزيز، صالح، د.ت، التربية وطرق التدريس، ط١٢، القاهرة، دار المعارف.

٩٦ـ العجمي، حمد بن بليه، ١٤٢٠هـ، التفوق والنجابة على نهج الصحابة، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان.

٩٧ـ عرجون، محمد الصادق إبراهيم، ١٤١٠هـ، القرآن العظيم، هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، ط٢، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٨ـ العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، محبّ الدين الخطيب، ١٤٠٩هـ، فتح الباري، ط٢، القاهرة، دار الريان للتراث.

٩٩ـ العسكري، أبو هلال، ١٤٠٣هـ، الفروق اللغوية، بيروت، لجنة إحياء التراث الإسلامي، دار الآفاق الجديدة.

١٠٠ـ العفاني، سيد حسين، ١٤١٠هـ، رهبان الليل، ط١، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.

١٠١ـ العفاني، سيد حسين، ١٤٢٠هـ، ترطيب الأفواه بذكر مَن يظلهم الله، ط١، القاهرة، مكتبة معاذ بن جبل.

١٠٢ـ العقل، ناصر بن عبد الكريم، ١٤١٤هـ، التقليد والتبعية وأثرها في كيان الأمّة الإسلامية، ط٢، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع.

١٠٣ـ علوان، عبد الله ناصح، ١٤٠١هـ، تربية الأولاد في الإسلام، ط٣، بيروت، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠٤ـ العُمري، أكرم ضياء، ١٤١٥هـ، السيرة النبوية الصحيحة، ط٦، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.

١٠٥ـ العُمري، أكرم ضياء، ١٤١٧هـ، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، ط١، الرياض، دار أشبيليا للنشر.

١٠٦ـ العودة، سليمان بن حمد، ١٤١٩هـ، شعاع من المحراب، ط١، الرياض، دار المسلم للنشر والتوزيع.

١٠٧ـ الغزالي، محمد، ١٤١٨هـ، الجانب العاطفي من الإسلام، ط١، دمشق، دار القلم.

١٠٨ـ فائز، أحمد، ١٤٠٦هـ، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ط١، القاهرة، دار الشروق.

١٠٩ـ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، ١٩٨٠م، معاني القرآن، ط٢، بيروت، عالم الكتب.

١١٠ـ فرحان، إسحاق أحمد وآخرون، ١٤٠٤هـ، استراتيجيات تعليم محتوى المنهاج التربوي، ط١، عمّان، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

١١١ـ فريد، أحمد، ١٤١١هـ، البحر الرائق في الزهد والرقائق، ط٢، جدة، مكتبة الصحابة.

١١٢ـ فودة وآخرون، عبد الله، ١٤٠٨هـ، المرشد في كتابة البحوث التربوية، ط٢، مكة المكرمة.

١١٣ـ الفيروزآبادي، مجد الدين محمد، محمد علي النجار، ١٤١٦هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ط٣، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية.

١١٤ـ القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، ١٤١٧هـ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، ط٣، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع.

١١٥ـ القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، راجعه: عبد الله بن عبد الرحمٰن الجبرين، ١٤١١هـ، شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنّة، ط٢، الرياض، مطبعة سفير.

١١٦ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، ١٩٦٥م، الجامع لأحكام القرآن، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١١٧ـ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، فواز أحمد زمرلي، ١٤٠٨هـ، التذكار في أفضل الأذكار، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.

١١٨ـ القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت، سنن ابن ماجه، بيروت، دار الفكر.

١١٩ـ قطب، سيد، ١٣٩٨هـ، التصوير الفنّي في القرآن، بيروت، دار الشروق.

١٢٠ـ قطب، سيد، ١٤٠٢هـ، في ظلال القرآن، ط١١، القاهرة، دار الشروق.

١٢١ـ قطب، سيد، ١٤٠٣هـ، معركة التقاليد، بيروت، دار الشروق.

١٢٢ـ قطب، محمد، ١٤٠١هـ، منهج التربية الإسلامية، ط٢، بيروت، دار الشروق.

١٢٣ـ قطب، محمد، د.ت، دراسات قرآنية، بيروت، دار الشروق.

١٢٤ـ الكاندهلوي، محمد يوسف، نايف العباس ومحمد علي دولة، ١٤٠٣هـ، حياة الصحابة، ط٢، دمشق، دار القلم.

١٢٥ـ الكوفي، أبو بكر عبد الله بن محمد، كمال يوسف الحوت، ١٤٠٩هـ، مصنف ابن أبي شيبة، ط١، الرياض، مكتبة الرشد.

١٢٦ـ الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤٠٥هـ، الفكر التربوي عند ابن تيمية، الأردن، مكتبة الكتاب الحديث.

١٢٧ـ الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤٠٥هـ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط٢، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث.

١٢٨ـ الكيلاني، ماجد عرسان، ١٤١٩هـ، مناهج التربية الإسلامية والمربّون العاملون فيها، بيروت، مؤسسة الريان.

١٢٩ـ مجلة التربية الإسلامية، كلية التربية، المدينة المنورة، العدد١، شهر محرم ١٤٠٣هـ.

١٣٠ـ مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٤، شهر رجب ١٤١١هـ.

١٣١ـ محمود، عبد الله عبد الحميد، ١٤١٥هـ، إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية، ط١، المدينة المنورة، دار البخاري.

١٣٢ـ مرسي، محمد منير، ١٤١٣هـ، التربية الإسلامية أصولها وتطوّرها في البلاد العربية، ط٢، القاهرة، عالم الكتب.

١٣٣ـ المروزي، عبد الله بن المبارك، ١٤١٥هـ، الزهد والرقائق، تحقيق وتعليق: أحمد فريد، ط١، الرياض، دار المعراج الدولية للنشر.

١٣٤ـ المروزي، محمد بن نصر، عبد الرحمٰن بن عبد الجبار الغريوائي، ١٤٠٦هـ، تعظيم قدر الصلاة، ط١، المدينة المنورة، مكتبة الدار.

١٣٥ـ المزيدي، زهير منصور، ١٤١٣هـ، مقدّمة في منهج الإبداع رؤية إسلامية، ط١، مصر، دار الوفاء للنشر والطباعة والتوزيع.

١٣٦ـ مسعود، جبران، ١٩٨١م، رائد الطلاب، ط٧، بيروت، دار العِلْم للملايين.

١٣٧ـ معلوم، سالك أحمد، ١٤١٣هـ، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، ط١، د.ن.

١٣٨ـ المغربي، أبو عبد الله علي بن محمد، راجعه: أبو عبد الله مصطفى العدوي، ١٤١٦هـ، الصحيح المسند من فضائل الأعمال والأوقات والأمكنة، ط١، الخبر، دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

١٣٩ـ المقدسي، أحمد بن محمد بن قدامة، محمد وهبي سليمان وعلي عبدالحميد بلطرجي، ١٤١٤هـ، مختصر منهاج القاصدين، ط١، الرياض، مكتبة الورّاق.

١٤٠ـ المناوي، عبدالرؤوف، ١٣٥٦هـ، فيض القدير وشرح الجامع الصغير، ط١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.

١٤١ـ موسى، محمد بن حسن بن عقيل، ١٤١٧هـ، إعجاز القرآن بين الإمام السيوطي والعلماء (دراسة نقدية مقارنة)، ط١، جدة، دار الأندلس الخضراء.

١٤٢ـ النجّار، عبد الحميد عمر، ١٤١٢هـ، مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
١٤٣ـ النحلاوي، عبد الرحمٰن، ١٤٠٣هـ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط٢، دمشق، دار الفكر.
١٤٤ـ النحلاوي، عبد الرحمٰن، ١٤١٠هـ، رسالة الخليج العربي، السنة العاشرة، العدد ٣٢، الرياض، مكتب التربية العربية لدول الخليج.
١٤٥ـ الندوي، أبو الحسن، ١٤٠٥هـ، السيرة النبوية، ط٦، بيروت، دار الشروق.
١٤٦ـ النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمٰن، عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ١٤١١هـ، السنن الكبرى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٤٧ـ النشمي، عجيل جاسم، ١٤٠٩هـ، طريق البناء التربوي الإسلامي، ط١، الكويت، دار الدعوة للنشر والتوزيع.
١٤٨ـ النقراشي، محمود السيد علي، ١٤٠٧هـ، مناهج المفسرين، ط١، القصيم، مكتبة النهضة.
١٤٩ـ النقيب، عبد الرحمٰن عبد الرحمٰن، د.ت، التربية الإسلامية رسالة ومسيرة، القاهرة، دار الفكري العربي.
١٥٠ـ النووي، محيي الدين، خليل مأمون شيحا، ١٤١٤هـ، صحيح مسلم، ط١، بيروت، دار المعرفة.
١٥١ـ النيسابوري، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي، محمد مصطفى الأعظمي، ١٣٩٠هـ، صحيح ابن خزيمة، بيروت، المكتب الإسلامي.
١٥٢ـ النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، مصطفى عبد القادر عطا، ١٤١١هـ، المستدرك على الصحيحين، ط١، بيروت، دار الكتب العلْمية.
١٥٣ـ الهاشمي، عبد الحميد، ١٤٠١هـ، الرسول العربي المربّي، ط١، دمشق، دار الثقافة للجميع.
١٥٤ـ الهاشمي، محمد علي، ١٤١٠هـ، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنّة، ط٤، بيروت، دار البشائر الإسلامية.

١٥٥ـ الهلالي، سليم بن عيد، ١٤١٠هـ، التواضع في ضوء القرآن والسنّة الصحيحة، ط١ ، الدمام، دار ابن القيم للتوزيع والنشر.

١٥٦ـ الهلالي، سليم بن عيد، ١٤١٢هـ، الخشوع وأثره في بناء الأمّة، ط٢ ، الدمام، دار ابن الجوزي.

١٥٧ـ هناد، ابن السَّري الكوفي، عبد الرحمٰن محمد، ١٤٠٦هـ، الزهد، ط١ ، الكويت، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.

١٥٨ـ هوساوي، عبد الرحمٰن بن عبد الجبار، ١٤١٦هـ، منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول ﷺ وتكريمه، ط١ ، الدمام، دار الذخائر.

١٥٩ـ يا لجن، مقداد، ١٤٠٩هـ، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، ط٣، الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع.

١٦٠ـ يالجن، مقداد، ١٤١٣هـ، توجيه المعلم إلى معالم طرق تعليم العلوم الإسلامية ووسائلها، ط١، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦١ـ يالجن، مقداد، ١٤١٦هـ، دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع، ط١ ، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة.

١٦٢ـ يالجن، مقداد، ١٤١٧هـ، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط٢، الرياض، دار عالم الكُتب للنشر والتوزيع.

١٦٣ـ يالجن، مقداد، ١٤٢٠هـ، سُبل النهوض بالطلاب خُلقياً وعلمياً إلى مستوى أهداف الأمّة، ط١، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٦٤ـ يالجن وآخرون، مقداد، ١٤٠١هـ، علم النفس التربوي في الإسلام، الرياض، دار المريخ.

# فهرس المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضوع الصفحة

الفصل الرابع: مكانة الخشوع في السنّة النبوية
وعند بعض الصحابة رضي الله عنهم

الموضوع الصفحة

الفصل الخامس: خاتمة الدراسة